

كُرْسِيُّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
Chair of Qur'anic Sciences



الإِصْدَارُ الْأَوَّلِيُّ

علوم القرآن

عِنْدَ الْإِمَامِ أَبِي جُرَيْجٍ الْكَلْبِيِّ

وَأَنزَلَهَا فِي تَفْسِيرِهِ "الشَّرْهَ فِي لُغَوِي التَّنْزِيلِ"

تأليف

د. طَارِقُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ

كُرْسِيُّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
بِجَامِعَةِ الْمَلِكِ سُلَيْمَانَ

مَنْعُضُ السَّعْرِ

صَمِيعُ حُقُورٍ لَطِيفٌ مَحْفُوظَةٌ
لِلْكَرْبِيِّ الْقُرْآنِيِّ الْكَرِيمِ وَغُلُومِهِ
جَامِعَةُ الْمَلِكِ سُفُود
الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ

يَهْتَمُّ الْكَرْبِيُّ بِنَشْرِ الْبُحُوثِ الْمُمَيَّزَةِ وَالْجَادَةِ
فِي التَّفْسِيرِ وَغُلُومِهِ تَحْقِيقًا وَدِرَاسَةً

جَامِعَةُ الْمَلِكِ سُفُود - كَلْبَةُ لُزْبِيَّة - فَرْعُ الْقَاعَةِ الْإِسْلَامِيَّة - مَبْنَى ١٥
هَاتِف: ٠٠٩٦٦١١٤٦٧٤٧٤٤ - جَوَال: ٠٠٩٦٦٥٥٢٣٥٥٢١٣ - ص.ب. ٢٤٢١٩٩ الرِّيَاض ١١٣٢٢
بَرِيد إلكتروني: quranchair@ksu.edu.sa - الموقع: http://c.ksu.edu.sa/quranchair
تَوَيْتَر: @quranchair

مَتَاوُذُ الْبَيْعِ

الرِّيَاض: ٤٤٥٦٢٢٩ / ٠١١ - مَكَّة الْمُكَرَّمَة: ٥٧٦١٣٧٧ / ٠١٢ - الْمَدِينَةُ النَّبَوِيَّة: ٨٤٦٧٩٩٩ / ٠١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ كُرْسِيِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَعُلُومِهِ

يُعَدُّ تَفْسِيرُ «التسهيل، لعلوم التنزيل» للعلامة محمد بن أحمد بن جزي الكلبّي الغرناطي الأندلسي المتوفى سنة ٧٤١هـ من أهمّ كتب التفسير في المكتبة القرآنية؛ لِمَا تميّزَ به من جودة العبارة واختصارها، وحسن الترتيب، ومقدّمته الغزيرة بالفوائد والقواعد، ولِمَا اشتملَ عليه من فنون علوم القرآن؛ من ذكر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمناسبات، وغير ذلك، ولمكانة مؤلفه العلمية وتبحّره في فنون العلم؛ مما جعل طلاب العلم منذ تأليفه يُقبلون عليه، وعلى دراسته وتدرّسه في حلقات العلم، لاختصاره وتوسّط حجه.

وقد قام الدكتور طارق بن أحمد الفارس باستقراء هذا التفسير المبارك، وجمع كلّ مسائل علوم القرآن فيه، وترتيبها وتبويبها ودراستها في بحثه هذا، وتقدّم بهذا البحث لنيل درجة الدكتوراه من جامعة أمّ القرى، فأحسن في هذا البحث أيّما إحسان، وقرب للباحثين ما اشتملَ عليه هذا التفسير من مسائل علوم القرآن، مع دراستها، وموازنتها بما في كتب علوم القرآن، مع الترجيح والبيان للراجع من مسائل هذا البحث، سواء كان هذا الصواب مع ابن جزي في تفسيره أم مع غيره من علماء

علوم القرآن والتفسير، وقد اشتملَ بحثُه على بيان أثرِ تناوُلِ هذه المسائل في التفسير، فكان في ذلك إضافةً علميةً مهمةً لطلاب الدراسات القرآنية. ولقيلة الدراسات التي دارت حول تفسير ابن جزير الكلبّي مع أهميته، وللقيمة العلمية لهذا البحث؛ رَغِبَ كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود في نشرِ هذا الكتاب، سائلين الله تعالى القَبُولَ والسدادَ والتوفيقَ للباحثِ الكريم، وأن يجعلَ في نشر هذا البحثِ النفعَ والفائدةَ لطلاب العلم، وأن يكونَ ذلك من الصَّدَقَةِ الجاريةِ للداعمينَ والمؤلف، ومن العلمِ الذي يتفَعُّ به؛ إنَّ ربي رحيمٌ ودود.

أ.د. عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَرْمَعَاظَةُ الشَّهْرِي
المُرَفَّعُ عَلَى الْكَرْبِيِّ

المُقَدِّمَةُ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وبعث:

فإن من أعظم النعم التي يُفرح بها، ويُغبط صاحبها عليها: نعمة حفظ القرآن، وفهمه، وخدمته، والعمل بما فيه ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

ومن الوسائل المعينة على فهم وتدبر القرآن الكريم هو معرفة العلوم المتعلقة به، ولذلك اهتم العلماء قديماً وحديثاً بالمواضيع المتعلقة بعلوم القرآن: فمنهم من أفرداها بالتصنيف، ومنهم من أفرد بعض مباحثه بالتصنيف، ومنهم من جعله في مقدمات تفسيره وإنزالها على الآيات لفهم معاني كلام الله تعالى.

ومن أولئك نفر: الإمام محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ) الذي خط بيراعه في كتابه الموسوم بـ«التسهيل لعلوم التنزيل» فوائد جلية، ودبح بقلمه درراً ثمينة، وحقق مسائل عويصة، محسناً في ذلك كله الصنعة التفسيرية، فقد استهلَّ كتابه بمقدمة نفيسة في علوم القرآن بطريقة فريدة لم يسبق إليها، واستخدم هذه العلوم في ثنايا تفسيره للوصول إلى معرفة مراد الله تعالى بأسلوب سلس وميسر، وباختصار غير

مُخِلٌّ، مما أبرز قوته العلمية في هذا الفن - أعني: علوم القرآن - مما جعلني أعقد العزم على خوض غمار كتابه، واستخراج ما فيه من أقوال وآراء في علوم القرآن من خلال التجميع والتصنيف حسب موضوعات علوم القرآن، مع البذل والسعي - بإذن الله تعالى - في دراستها وموازنتها ومناقشتها، فكان هذا البحث:

عِلْمُ الْقُرْآنِ عِنْدَ الْإِمَامِ ابْنِ جُرَيْجٍ الْكَلْبِيِّ
وَأَرْهَافِي تَفْسِيرِهِ «التَّسْهِيلُ لِلْعُلُومِ الْقُرْآنِيَّةِ»

الذي أسعد بتقديمه لنيل درجة الدكتوراه من شعبة التفسير بقسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى، سائلاً المولى أن يشرفني بخدمة كتابه وسنة نبيه، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

❖ أولاً: أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع من عدة وجوه يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

١ - أن كتاب ابن جزي قد جمع فيه علمين: تفسير القرآن، وعلوم القرآن، ويظهر ذلك من وجهين:

الأول: تسمية الكتاب:

فقد سَمَّى مصنّفه «التسهيل لعلوم التنزيل» فهو اسم يوهم أنه في علوم القرآن، مثل: «البرهان في علوم القرآن» للزركشي، و«الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي، وربما اختار هذه التسمية لتتطابق مع مقدمتيه اللتين وضعهما لتفسيره، وهما في علوم القرآن.

الثاني: تصريحه هو بذلك:

إذ قال: (... وصنّفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم،

وسائر ما يتعلق به من العلوم^(١).

٢ - أن ابن جزى اختار من موضوعات علوم القرآن التي قدمها بين يدي تفسيره جملة من أهم الموضوعات التي لا يستغني عنها عالم أو متعلم، واستطاع من خلالها أن يقدم فوائد جلية، فهو لم يقصد جمع جميع علوم القرآن، وإنما ذكر ما يحتاج إليه في تفسيره للآيات فقد قال: (...). ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن اللباب المرغوب فيه دون القشر المرغوب عنه من غير إفراط ولا تفريط^(٢).

٣ - توضيح موقف ابن جزى من مسائل وقضايا علوم القرآن، فالمفسرون جعلوا لمفاهيمها النظرية جانباً تطبيقياً في تفاسيرهم.

٤ - تكشف وتوضح عن آراء أجلة من العلماء المتقدمين ممن صنفوا في علوم القرآن، فقد حفظ لنا ابن جزى آراءهم وأقوالهم؛ ويشهد لذلك مقدمته التفسيرية التي زخرت بأسماء العديد من المصنّفات والمصنّفين، وهذا ليس بغريب عليه فقد جاء في ترجمته أنه (جماعة للكتب ملوكي الخزانة)^(٣)، ويشهد لذلك عزوه المتناثر خلال تفسيره إلى كثير من المصنّفين، مثل: أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، وأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، وأبي القاسم السهيلي (ت ٥٨١هـ)، والخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ)، والقاضي أبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ)، وابن الحسن كياه المعروف بالكياء الهراسي (ت ٥٠٤هـ) وغيرهم.

٥ - المقارنة بين ما قرره ابن جزى في علوم القرآن في تفسيره وما قرره أشهر المفسرين في تفاسيرهم وأشهر المصنّفين في علوم القرآن.

(٢) التسهيل (٦/١).

(١) التسهيل (٦/١).

(٣) الإحاطة (٢١/٣).

٦ - الكشف عن الأثر العملي للقضايا النظرية المقررة في علوم القرآن في فهم كلام الله.

٧ - حسن السبر والتقسيم الذي أظهر إمام ابن جزي بعلوم القرآن، وقد ظهر ذلك جلياً في طرحه لعدة موضوعات تشترك في الناحية الموضوعية تحت اسم واحد، فمثلاً عند اسم نزول القرآن تعرض ابن جزي لأكثر من ثمانية موضوعات لها جميعاً ارتباط واضح بموضوع الباب.

٨ - ابتدأ ابن جزي تفسيره بمقدمتين مهمتين في علوم القرآن، انفرد بهما عن غيره من المفسرين في طريقة العرض واختيار الموضوعات، فقد تكلم في أمور لم يتعرض لها أحد قبله.

٩ - المقدمة الثانية التي هي بمثابة معجم مصغر لألفاظ القرآن الكريم، انفرد ابن جزي عن غيره من المفسرين بها، فقد خصها لتفسير معاني اللغات، وعرض فيها الكلمات التي كثر دورانها في القرآن، وهو بهذا يُعد رائد هذا النهج بين المفسرين - بحدود علمي - وقصد منها أموراً ثلاثة كما ذكر: تيسير تلك الكلمات والمعاني للحفظ، وجعلها كالأصول الجامعة لمعاني التفسير، والاختصار بحيث يستغني عن ذكرها في صلب التفسير.

١٠ - مكانة تفسير ابن جزي، فقد حوى كثيراً من العلم، ومع صغر حجمه نسبياً فقد استفاد منه طلاب العلم والعلماء بعده.

١١ - مكانة ابن جزي السامية، وقيمة أقواله وآرائه عند العلماء، وعلو قدره، فقد كانت له مساهمة جادة في قضايا التفسير، وبذل مجهوداً لا يستهان به في هذا المجال، ويظهر ذلك عند البحث في تفسيره وقراءة ترجمته في كتب التراجم.

١٢ - يعد تفسير ابن جزى من أواخر التفاسير الأندلسية التي تناولت القرآن جميعه مما وصل إلينا، وتظهر مدى عناية الأندلسيين بعلوم القرآن وتبرز جهودهم.

فلهذه الأسباب وغيرها تبرز أهمية دراسة هذا الجانب - علوم القرآن - من كتاب (التسهيل لعلوم القرآن).

❖ ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

١ - أهمية علم «علوم القرآن»، إذ هو من أهم العلوم التي تعين على فهم القرآن، والعمل به.

٢ - الإفادة من آراء الإمام ابن جزى وترجيحاته في علوم القرآن، فتفسيره حوى مباحث كثيرة تستحق أن تفرد في دراسة مستقلة، لا سيما أنه متقدم على الزركشي (ت ٧٩٤هـ) مصنف «البرهان في علوم القرآن»، والسيوطي (ت ٩١١هـ) مصنف «الإتقان في علوم القرآن» اللذين يعد كتاباهما مرجعًا رئيسًا في هذا.

٣ - الوقوف على الراجح في مسائل علوم القرآن وقضاياها بعد مقابلتها بآراء أشهر المفسرين في علوم القرآن وشرح السُّنة ثم مقارنتها ومناقشتها.

٤ - تخريج الروايات المسندة التي يستدل بها في مسائل علوم القرآن وقضاياها والحكم عليها، مما يساعد على الترجيح ويخلص علوم القرآن من آراء بُنيت على روايات ضعيفة وأقوال شاذة.

٥ - امتلاك ابن جزى لقدرة فائقة في تسخير العلوم المتعلقة بالقرآن لخدمة أغراض التفسير، بالعموم: كعلم الحديث، وعلم الفقه، وعلم الأصول، وعلم النحو...، وبالخصوص: كعلم القراءات وعلم النسخ

والمنسوخ وأصول التفسير، وغريب القرآن، والمتشابه اللفظي والترجيح...

٦ - جدة هذا الموضوع، فلم يصل إلى علمي أن يكون أحد الباحثين قد تعرض لدراسة جامعة لأنواع علوم القرآن من خلال هذا الكتاب.

٧ - الرغبة في الإفادة والاشتغال بجزئية علوم القرآن وأصول التفسير من خلال هذا الكتاب وهي التي لا غنى لمتخصص في التفسير وعلومه عنها.

٨ - دراسة تفسير ابن جزي تجعل الباحث يبحث ويرجع إلى كثير من المصادر والمراجع المهمة المتنوعة إما للتحقيق أو المقارنة.

٩ - تعلق هذا الموضوع بدراساتي في قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم تعلقاً مباشراً.

١٠ - ومن الأمور المهمة في رأيي التي يجدر التنبيه إليها: أن التنوع في تناول المواضيع المتعلقة بعلوم القرآن أمر في غاية الأهمية، فالجوانب النظرية أشبعت طرْحاً وتناولاً وشرْحاً، والحاجة ما زالت ملحة إلى الجانب التطبيقي، إذ المقصد الرئيس من معرفة العلوم المتعلقة بالقرآن هو الوصول إلى مراد الله تعالى من معاني الآيات، ودراستها من خلال منهج أحد المفسرين ومعرفة كيفية تطبيقه لها في تفسيره وفق القواعد والضوابط العلمية، هو جانب تطبيقي هام لمسائل علوم القرآن، سواء وافق الباحث فيها المصنف أم لا، وعدم سلوك هذا المسلك التطبيقي جعل البعض يحسب أن علم علوم القرآن عبارة عن قوالب مصبوبة قد انتهى البحث فيها، فلا جديد في مسأله، ولا ثمرة بعد ما ذكره الأقدمون ممن كتبوا في هذا العلم، فكتب التفسير ميدان رحب

لتطبيقات مسائل علوم القرآن، ودراستها عند أحد المفسرين سيثري مواضيع علوم القرآن.

❖ ثالثاً: الدراسات السابقة:

لم يتطرق أحد من الباحثين - حسب علمي - إلى مسائل علوم القرآن عند الإمام ابن جزى الكلبي من خلال تفسيره بدراسة مستقلة، وإنما كانت هناك دراسات في منهجه في تفسيراته، وترجيحاته التفسيرية واستنباطاته، ولا تزال الحاجة إلى الدراسات اللغوية والنحوية، والترجيحات الفقهية من خلال كتابه «التسهيل لعلوم التنزيل».

ومن الدراسات السابقة:

١ - ابن جزى ومنهجه في التفسير، لعلبي بن محمد الزبيري، دراسة مسهبة عن الإمام ابن جزى، وتوضيح مفصل لمنهجه في تفسيره، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية (١٣٩٨هـ).

٢ - مقاصد التنزيل من خلال كتاب «التسهيل» لابن جزى الكلبي لإدريس فريان، رسالة دكتوراه في كلية الآداب في الدار البيضاء بالمغرب (١٩٩١م).

٣ - ابن جزى الكلبي ومنهجه في التفسير لفراس يحيى الهيتي، رسالة ماجستير، جامعة صدام للعلوم الإسلامية ببغداد (١٩٩٥م).

٤ - ابن جزى الكلبي وأثره في الفقه الإسلامي لسليمان أبي الريش، رسالة دكتوراه في كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر (١٣٩٥هـ).

٥ - الإمام ابن جزى الكلبي وجهوده في التفسير من خلال «التسهيل لعلوم التنزيل» لعبد الحميد محمد ندا، رسالة ماجستير في كلية الدعوة وأصول الدين بالأزهر (١٤٠٠هـ).

٦ - «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزي الكلبي، تحقيق ودراسة وتخريج الأحاديث والآثار من القسم الأول من أول الكتاب إلى سورة النور، لسامي مساعد الجهني، ماجستير كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة (١٤١٦هـ) وبحسب علمي أن الباحث الدكتور يعمل على تحقيق الكتاب كاملاً، فأسأل الله أن يعينه بالتعجيل على إخراجه وطباعته بسبب الضعف والأخطاء الكثيرة في الطباعات الموجودة حالياً فلعله يطبع قريباً.

٧ - ابن جزي الكلبي ومنهجه في التفسير، لإقبال عمر محجوب، رسالة ماجستير في كلية القرآن بالسودان (٢٠٠١م).

٨ - قواعد الترجيح عند ابن جزي في تفسيره لعبد الله بن حمد الجمعان، بحث تكميلي لدرجة الماجستير بجامعة الملك سعود.

٩ - ترجيحات الإمام ابن جزي في التفسير، جمعاً ودراسة موازنة، وهو مشروع في قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أم القرى تم تقسيمه على مجموعة من طلاب الماجستير والدكتوراه.

١٠ - علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير من نشأتها إلى نهاية القرن الثامن الهجري، رسالة دكتوراه في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، لمحمد صفا شيخ إبراهيم.

١١ - شرح مقدمة «التسهيل» لابن جزي الكلبي، شرحها الدكتور مساعد الطيار.

١٢ - استنباطات ابن جزي الكلبي في تفسيره، لعلي بن عبد الرحمن النجاشي، رسالة دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض قسم القرآن وعلومه.

١٣ - مدرسة التفسير في الأندلس، لمصطفى المشيني، رسالة دكتوراه في جامعة الأزهر.

١٤ - منهج ابن جزي الكلبي في تفسيره، إعداد الدكتور عبد السلام حمدان اللوح، الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بغزة.

ومن الدراسات التي شدد انتباهي لا لتمييزها وإنما لتعصب كاتبها وتحامله على مذهب أهل السُّنة والجماعة وإن كان يدعي انتماءه لمذهب أهل السنة ودفاعه عنه، بحث بعنوان: «رسالة البرهان القوي في بيان اعتقاد الإمام ابن جزي» إعداد وجمع نزار بن علي حمادي منشور في موقع يسمى «منتدى الأزهريين» على الشبكة العنكبوتية.

❖ رابعاً: حدود البحث:

سيكون البحث في المسائل التي ذكرها الإمام ابن جزي في علوم القرآن الواردة في كتابه «التسهيل لعلوم التنزيل» مع الاقتصار على نماذج تطبيقية منها دون الاستقصاء لها كاملة.

❖ خامساً: مميزات ابن جزي الكلبي وتفسيره «التسهيل لعلوم التنزيل»:

- تفسير ابن جزي إلى التفسير بالمأثور أقرب منه إلى التفسير بالرأي، مع أنه لم يَعتنِ عناية كاملة بالحديث النبوي وتصحيح الروايات أو تضعيفها وإن كان قد شارك بجهد لا بأس به في ذلك وهو إلى التفسير بالمأثور أقرب لأنه احتوى على معظم تفاسير السلف للقرآن في عبارة وجيزة، وأسلوب مُيسّر ملخص، ووجود وفرة من الأحاديث النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

- ومما تميز به ابن جزي في تفسيره نهجه منهج التحقيق لا النقل المجرد، ويظهر ذلك عند حديثه في مقدمته عن الفائدة الرابعة: (الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين والفرقة بين السقيم منها والصحيح،

وتمييز الراجع من المرجوح^(١)، مما أوجد في تفسيره النقاشات العلمية والترجيحات والتحريرات التفسيرية، فهو بذلك يكون قد قدم تنظيراً متكاملًا مع التطبيقات في التفسير.

- رجع ابن جزى إلى مصادر متعددة غير كتب التفسير، منها اللغوي، النحوي، مثل كتب غريب القرآن، ومعاني القرآن، ومنها النحوي المتخصص كالكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرد، ومنها ما هو من قبيل الدراسات المتخصصة في علوم القرآن ككتاب درة التنزيل للإسكافي، وكتاب التعريف والإعلام للسهلي.

- ومما يزيد في قيمة تفسير ابن جزى ابتداءه بمقدمتين:

المقدمة الأولى: في أصول التفسير وقواعده وما يتعلق به من علوم القرآن، وقد جعلها في اثني عشر باباً.

المقدمة الثانية: وهي مقدمة لغوية خاصة بالألفاظ التي يكثر دورانها في القرآن، وهذه المقدمة بمثابة معجم مصغر لألفاظ القرآن الكريم.

وتفسير ابن جزى ينفرد بهاتين المقدمتين عن بقية كتب التفسير، وإن كان سبقه في بعض مما ذكره في المقدمة الأولى ابن عطية والقرطبي، وخاصة ابن عطية في تفسيره «المحرر الوجيز» الذي كان مصدرًا أساسيًا وهامًا عند ابن جزى وقد اعتبره أحسن التأليف وأعدلها كما ذكره في مقدمته؛ إلا أن ابن جزى تميز وانفرد عن ابن عطية في عدة أمور أعطت له الاستقلالية والتميز.

ومن ذلك:

أولاً: في مقدمة ابن جزى؛ حيث تكلم في مقدمته الأولى عن أمور

لم يتعرض لها ابن عطية مثل المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن، وكالباب الذي خصه عن الوقف، وكذلك أصول التفسير، والاختلاف في التفسير وجعلها في ثلاثة أنواع، وأسباب الخلاف بين المفسرين وجعلها في اثني عشر سبباً، ووجوه الترجيح وقواعده وصيغه وجعلها في اثني عشر وجهاً، وأحكام القرآن، والفصاحة والبلاغة، وأدوات البيان وغيرها.

فهذه جملة من مواضيع علوم القرآن لم يتعرض لها ابن عطية في تفسيره.

ثانياً: في المقدمة الثانية وهي بمثابة معجم مصغر لألفاظ القرآن الكريم انفرد بها تماماً عن ابن عطية بل عن جميع المفسرين.

ثالثاً: اسم الكتاب؛ فقد سَمَّى ابن عطية كتابه «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» على الخلاف في نسبة تسميته، ولعل الاسم مأخوذ من مقدمته التي ذكر فيها الدافع للتصنيف (... وقد قصدت أن يكون جامعاً وجيزاً محرراً)^(١)، فإن مقصده الأساسي من تأليفه لكتابه تفسير القرآن الكريم.

وأما ابن جزي فقد سَمَّى كتابه «التسهيل لعلوم التنزيل» مما يدل على أن دراسة مواضيع وقضايا علوم القرآن مقصد أساسي من مقاصد التأليف عند ابن جزي لهذا الكتاب، فهو لم يُسَمِّ كتابه تفسيراً بل سماه «التسهيل لعلوم التنزيل»، ويعد هذا منهجاً من مناهج العلماء في التصنيف والحديث عن علوم القرآن.

ومقولة: (إن مقدمة ابن جزي تشبه إلى حد كبير مقدمة ابن عطية).

فيقال: هذا صحيح فيما ذكره ابن عطية، وإلا فما انفرد به ابن جزي كثيرًا، وأضاف إضافات كثيرة لم يذكرها ابن عطية، وهذا واضح وجلي عند مطالعة المقدمة وتتبع واستقراء التفسيرين، فابن جزي شخصية علمية محققة لها استقلالها البارز في آرائه المتعلقة بعلوم القرآن، وبَحَثَ في قضايا قلَّ من تعرض لها.

أقول: نعم تأثر ابن جزي بابن عطية لكنه رَحَّلَهُ ترك تراثًا كبيرًا ومفيدًا في قضايا علوم القرآن نظريًا وعمليًا من خلال تفسيره، فكان له أثر واضح فيمن بعده كما تأثر هو بمن سبقه وهو ما يَدُلُّ على استقلال شخصيته العلمية، وأنه وإن كان قد اختصر تفسير ابن عطية إلا أنه في كل خطوة له شخصيته المتميزة وفهمه المستقل في كل مسألة تناولها، فهو ليس شخصية مقلدة وليس مما يروي كلام غيره بدون إضافة علمية جديدة.

❁ سادسًا: خطة البحث:

وتتكوّن من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة:

وتحتوي على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج الكتابة فيه.

التمهيد:

الفصل الأول: علوم القرآن تعريفها ونشأتها؛ وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: علوم القرآن بالمعنى اللغوي.

المبحث الثاني: علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي.

المبحث الثالث: مصطلح «علوم القرآن» ومرادفاته في أحاديث

النبي ﷺ وآثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

المبحث الرابع: نشأة علوم القرآن.

الفصل الثاني: التأليف في علوم القرآن وأنواعها؛ وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن الرابع الهجري.

المبحث الثاني: من نهاية القرن الرابع الهجري إلى بداية القرن التاسع الهجري.

المبحث الثالث: من بداية القرن العاشر إلى العصر الحالي.

المبحث الرابع: علوم القرآن وعلاقتها بالتفسير والفرق بينها وبين أصول التفسير.

المبحث الخامس: الفرق بين التأويل والتفسير.

الباب الأول: ابن جزري عصره وحياته الشخصية والعلمية؛ وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عصر ابن جزري؛ وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحياة السياسية.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية.

المبحث الثالث: الحياة العلمية والثقافية.

الفصل الثاني: حياة ابن جزري الشخصية؛ وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اسمه ونسبه ونسبته.

المبحث الثاني: مولده ونشأته.

المبحث الثالث: معتقده ومذهبه.

الفصل الثالث: حياة ابن جزري العلمية؛ وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأته ومكانته العلمية.

المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه ورحلاته.

المبحث الثالث: آثاره ومؤلفاته.

المبحث الرابع: وفاته.

الباب الثاني: التعريف بكتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» ومنهج ابن جزي فيه؛ وفيه فصلان:

الفصل الأول: التعريف بكتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» ومنهج ابن جزي فيه؛ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: القيمة العلمية للكتاب.

المبحث الثاني: نسخ الكتاب وطبعاته.

الفصل الثاني: منهج المصنف في كتابه.

الباب الثالث: منهج ابن جزي في علوم القرآن؛ وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: نبذة عن مقدمة الكتاب وعرض موضوعات علوم القرآن.

الفصل الثاني: منهج ابن جزي في علوم القرآن؛ وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم علوم القرآن عند ابن جزي.

المبحث الثاني: لماذا سَمَّى كتابه بـ«التسهيل لعلوم التنزيل».

المبحث الثالث: أنواع علوم القرآن التي ذكرها ابن جزي في تفسيره.

المبحث الرابع: مصادره في علوم القرآن.

المبحث الخامس: الإضافات في علوم القرآن التي احتواها كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل».

الباب الرابع: موضوعات علوم القرآن عند ابن جزري؛ وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: تاريخ توثيق القرآن؛ وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: فضائل القرآن؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.

- المطلب الثاني: موقف ابن جزري في مسألة فضائل القرآن.

- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراساتها.

المبحث الثاني: نزول القرآن وجمعه وترتيبه؛ وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.

- المطلب الثاني: موقف ابن جزري في مسألة نزول القرآن وجمعه

وترتيبه.

المبحث الثالث: الوحي، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التعريفات.

- المطلب الثاني: موقف ابن جزري في مسألة الوحي.

المبحث الرابع: أسباب النزول؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.

- المطلب الثاني: موقف ابن جزري في مسألة أسباب النزول.

- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراساتها.

المبحث الخامس: المكي والمدني؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.

- المطلب الثاني: موقف ابن جزري في مسألة المكي والمدني.

- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراساتها.

المبحث السادس: القراءات؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
 - المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة القراءات.
 - المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.
- الفصل الثاني: أصول التفسير عند ابن جزي؛ وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: أنواع التفسير؛ وفيه ثلاثة مطالب:
 - المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
 - المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة أنواع التفسير.
 - المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.
- المبحث الثاني: طبقات المفسرين؛ وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
 - المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة طبقات المفسرين.
- المبحث الثالث: أسباب الخلاف بين المفسرين؛ وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
 - المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة أسباب الخلاف بين المفسرين.

- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.
- المبحث الرابع: وجوه وقواعد الترجيح عند المفسرين؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.

- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة وجوه وقواعد الترجيح.

- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

الفصل الثالث: اللغة العربية؛ وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أوجه الإعراب؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.

- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة أوجه الإعراب.

- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

المبحث الثاني: مفردات اللغة؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.

- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة مفردات اللغة.

- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

المبحث الثالث: علم التصريف؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.

- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة علم التصريف.

- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

المبحث الرابع: علم الفصاحة والبلاغة؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.

- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة الفصاحة والبلاغة.

- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

الفصل الرابع: دلالات الألفاظ؛ وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: المتشابه اللفظي؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** التعريفات وأهمية الموضوع.
 - **المطلب الثاني:** موقف ابن جزى في مسألة المتشابه اللفظي.
 - **المطلب الثالث:** جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.
- المبحث الثاني: العام والخاص؛ وفيه ثلاثة مطالب:**
- **المطلب الأول:** التعريفات وأهمية الموضوع.
 - **المطلب الثاني:** موقف ابن جزى في مسألة العام والخاص.
 - **المطلب الثالث:** جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

المبحث الثالث: المطلق والمقيد؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** التعريفات وأهمية الموضوع.
- **المطلب الثاني:** موقف ابن جزى في مسألة المطلق والمقيد.
- **المطلب الثالث:** جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

المبحث الرابع: الإظهار والإضمار؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** التعريفات وأهمية الموضوع.
- **المطلب الثاني:** موقف ابن جزى في مسألة الإظهار والإضمار.
- **المطلب الثالث:** جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

المبحث الخامس: التقديم والتأخير؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** التعريفات وأهمية الموضوع.
- **المطلب الثاني:** موقف ابن جزى في مسألة التقديم والتأخير.
- **المطلب الثالث:** جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

الفصل الخامس: موضوعات علوم القرآن الأخرى؛ وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: النسخ؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.

- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة النسخ.

- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

المبحث الثاني: الإسرائيليات والقصص القرآني؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.

- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة الإسرائيليات

والقصص القرآني.

- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

المبحث الثالث: الوقف والابتداء؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.

- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة الوقف والابتداء.

- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

المبحث الرابع: إعجاز القرآن؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.

- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة إعجاز القرآن.

- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية.

الفصل السادس: تطبيقات لبعض مواضيع علوم القرآن الأخرى لم

يذكرها ابن جزي في مقدمته؛ وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الرسم العثماني؛ وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة الرسم العثماني.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.
- المبحث الثاني: الفروق اللغوية؛ وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة الفروق اللغوية.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.
- المبحث الثالث: المناسبات؛ وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة المناسبات.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.
- المبحث الرابع: المبهمات؛ وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة المبهمات.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

الخاتمة:

وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

وتتضمن الفهارس الآتية:

١ - فهرس الآيات القرآنية.

٢ - فهرس القراءات الشاذة.

- ٣ - فهرس الأحاديث النبوية.
- ٤ - فهرس الآثار.
- ٥ - فهرس الأعلام.
- ٦ - فهرس الأماكن والبلدان.
- ٧ - فهرس الشواهد الشعرية.
- ٨ - فهرس المصادر والمراجع.
- ٩ - فهرس الموضوعات.

❖ سابعاً: منهج البحث:

- سيخضع البحث - بإذن الله - لمنهجين أساسيين، وهما:
- المنهج الأول:** المنهج الاستقرائي، ويتمثل في أقوال الإمام ابن جزي الكلبي في مسائل علوم القرآن.
- المنهج الثاني:** المنهج الاستنباطي، ويتمثل في استنباط ترجيحات الإمام ابن جزي الكلبي المتعلقة بعلوم القرآن.
- وذلك من خلال العرض التالي:
- ١ - العناية بالنقل الحرفي من المصدر «التسهيل لعلوم التنزيل» لابن جزي، وقد أختصره أحياناً حسب الحاجة.
 - ٢ - تتبعت مواضع علوم القرآن التي تطرق لها ابن جزي من خلال مقدمته وفي ثنايا تفسيره.
 - ٣ - أعتمد في ترتيب مسائل علوم القرآن على ترتيب ابن جزي في مقدمة تفسيره.
 - ٤ - أذكر في صدر مسألة كل فصل وموضوع ومبحث بتعريف

مختصر بمفرداته، مع الحرص على ذكر أفضل وأرجح تعريف لكل مصطلح.

٥ - أوضح أهمية المسألة من خلال أقوال العلماء فيها.

٦ - أذكر بعد ذلك رأي ابن جرير ومنهجه وطريقته في عرض المادة العلمية.

٧ - جمع بعض الأمثلة التطبيقية المتعلقة بما ذكره ابن جرير مما يتعلق بعلوم القرآن في تفسيره ودراستها، ومناقشاتها نقاشاً علمياً مبيّناً أثرها في تفسيره.

٨ - بعد ذكر كلام ابن جرير المتعلق بأي موضوع أو مبحث أقوم بدراسته وتقسيمه وترتيبه.

٩ - أجمع المسائل المتعلقة بعلوم القرآن في حال ذكرها متفرقة لتوضيح رأي ابن جرير، والتوفيق بينها حال التعارض - وهذا نادر جداً -.

١٠ - أحرص على ذكر الرأي الذي أرجحه أو أميل إليه عندما يكون هناك خلاف في أي مسألة، مع ذكر السبب الذي دعاني لهذا.

١١ - وأما توثيق المادة العلمية فعلى النحو التالي:

أ - عزو الآيات إلى سورها في القرآن الكريم.

ب - توثيق القراءات من خلال مصادرها الأصلية.

ج - تخريج الأحاديث والآثار حسب الطريقة المتبعة في البحوث العلمية.

د - الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في المتن ترجمة موجزة.

هـ - شرح الكلمات الغريبة بالرجوع إلى كتب الغريب والمعاجم.

و - التعريف بالمصطلحات التي تحتاج إلى تعريف.

- ز - عزو الأبيات الشعرية إلى قائلها.
- ح - توثيق النصوص والنقولات من مصادرها الأصلية.
- ط - تذييل البحث بفهارس كاشفة لتيسير الوصول إلى المعلومة.
- وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
- والحمد لله رب العالمين.



التَّهْيِيد

وفيه فصلان:

- الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: علوم القرآن تعريفها ونشأتها.
- الْفَصْلُ الثَّانِي: التأليف في علوم القرآن وأنواعها.

أَلْفَضْلُ الْأَوَّلُ

علوم القرآن تعريفها ونشأتها

وفيه أربعة مباحث:

- لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ : علوم القرآن بالمعنى اللغوي.
- لِلْبَحْثِ الثَّانِي : علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي.
- لِلْبَحْثِ الثَّلَاثِ : مصطلح (علوم القرآن) ومرادفاته في أحاديث النبي ﷺ وآثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.
- لِلْبَحْثِ الرَّابِعِ : نشأة علوم القرآن.

لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ

علوم القرآن بالمعنى اللغوي

❖ العلم لغة:

نقيض الجهل يقال: علم علماً، ورجل عالم، وعليهم من قوم علماء.

وجمع علم: علوم، وهو مصدر بمعنى الفهم والمعرفة، ويطلق ويراد به اليقين^(١).

أما لفظ «قرآن» من الناحية اللغوية فقد اختلف العلماء فيه من جهة الاشتقاق وعدمه، ومن جهة كونه مهموزاً أو غير مهموز، ومن جهة كونه مصدرًا أو وصفًا على أقوال نجملها فيما يأتي:

قال جماعة منهم اللحياني^(٢): القرآن مصدر قرأ بمعنى تلا كالرجحان والغفران^(٣) وهو موافق للقراءة، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٧].

وقول حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه:

-
- (١) انظر: لسان العرب (علم) (٤٢٧/٩)، القاموس المحيط (علم) (ص ١٢٠٥).
 (٢) هو: علي بن حازم اللحياني من أكابر أهل اللغة كان أحفظ الناس للنوادر عن الكسائي، والفراء، وغيرهما. انظر: طبقات النحويين للزبيدي (ص ١٩٥)، إنباء الرواة للقفطي (٢/٢٥٥).
 (٣) انظر: مفردات غريب القرآن للراغب (قرأ) (ص ٦٦٨).

صَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُتَوَانُ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقَرَأْنَا^(١)

أي: قراءة، وعلى هذا يكون على وزن فُعْلَان.

وقال قطرب^(٢): (سمي القرآن قرآنًا لأن القارئ يظهره ويبينه من فيه أخذًا من قول العرب: ما قرأت الناقة سَلَى قط، أي: ما رمت بولد، أي: ما أسقطت ولدًا.

والقرآن يلفظه القارئ من فيه ويلقيه فسمي قرآنًا)^(٣).

وقال الفراء^(٤): (هو مشتق من القرائن لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضًا، ويشابه بعضها بعضًا، وهي قرائن؛ أي: أشباه، ونظائر)^(٥). وقال الزجاج^(٦): (إنه وصف على فعْلان مشتق من القرء بمعنى الجمع.

يقال في اللغة: قرأت الماء في الحوض أي: جمعته ثم سمي به

(١) البيت في ديوانه (ص ٩٦)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤/١).

(٢) هو: محمد بن المستنير أبو علي الشهير بـ (قطرب) وهو لقب لقبه به أستاذه سيويه، نحوي، عالم بالأدب واللغة من أهل البصرة له مؤلفات منها: المثلثات، معاني القرآن، توفي سنة (٢٠٦هـ).

انظر: أخبار النحويين البصريين للسيرافي (ص ٦٥)، بغية الوعاة للسيوطي (١٠٤/٢).

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (قرأ) (٢١١/٩).

(٤) هو: يحيى بن زياد أبو زكريا الفراء، إمام أهل الكوفة، قال أبو العباس ثعلب: (لولا الفراء لما كانت اللغة ولولا الفراء لسقطت العربية) له مؤلفات منها: معاني القرآن، والمذكر والمؤنث. توفي سنة (٢٠٧هـ).

انظر: فهرست ابن النديم (٦٦ - ٦٧)، مراتب النحويين لأبي الطيب (ص ١٣٩).

(٥) تهذيب اللغة للأزهري (قرأ) (٢١١/٩). ولم أجد هذا القول في معاني القرآن للفراء.

(٦) هو: إبراهيم بن السري الزجاج أبو إسحاق، من أكابر أهل العربية، كان حسن العقيدة جميل الطريقة، أخذ عن ثعلب، ولزم المبرد، له مصنفات جليلة منها: معاني القرآن وإعرابه، فعلت وأفعلت، ما ينصرف وما لا ينصرف. مات سنة (٣١٠هـ). انظر: أخبار النحويين البصريين للسيرافي (ص ١٠٨)، معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٣٠/١).

الكلام المنزل على النبي ﷺ؛ لجمع السور والآيات فيه أو القصص والأوامر، والنواهي؛ أو لجمعه ثمرات الكتب السابقة.

يقال: ما قرأت هذه الناقة سلى قط أي: لم يضطّم رحمها على الولد وأنشد^(١):

هَجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا

ويروى عن الإمام الشافعي^(٢) رحمه الله أنه كان يقول: (القرآن اسم، وليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة، والإنجيل، ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن؛ كما تقول إذا قرأت القرآن)^(٣).

وهو موافق لقراءة ابن كثير^(٤).

وقال أبو بكر بن مجاهد^(٥): (كان أبو عمرو بن العلاء^(٦) لا يهمز

(١) عجز بيت من معلقة عمرو بن كلثوم وصدره برواية أبي عبيدة:

فِرَاعَنِي حُرَّةٌ أَقْمَاءُ بِكُحْرٍ

انظر: شرح المعلقات السبع لابن الأنباري (ص ٣٨٠)، والنص في معاني القرآن وإعرابه (٢٥٨/١).

(٢) هو: محمد بن إدريس المطلبي ولد بغزة سنة (١٥) تتلمذ على أجلاء عصره كالإمام مالك وغيره، حتى صار علماً من الأعلام، وأحد الأئمة الأربعة، له مؤلفات جليلة منها: الرسالة، الأم، وغيرهما. توفي سنة (٢٠٤هـ).

انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٥٥/١).

(٣) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (قرأ) (٢١١/٩).

(٤) هو: عبد الله بن كثير المكي الداري نسبة إلى بطن من لخم، كان ورعاً زاهداً أجمع أهل مكة على قراءته.

انظر: طبقات القراء للذهبي (٦٩/١)، غاية النهاية لابن الجزري (٦١٩/١).

(٥) هو: أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي الإمام المقرئ هو أول من سجع السبعة له العديد من المؤلفات منها: كتاب السبعة. مات سنة (٣٢٤هـ). انظر: طبقات القراء للذهبي (٣٣٣/١)، غاية النهاية لابن الجزري (١٣٩/١).

(٦) هو: زبان بن العلاء بن عمار بن العريان، علم مشهور من أعلام القراءة، واللغة، =

الْقُرْآن، وكان يقرؤه كما روي عن ابن كثير^(١).



= والعربية، أخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي. توفي أبو عمرو سنة (١٥٤هـ).
انظر: أخبار النحويين للسيرافي (٢٨٠٣١)، مراتب النحويين (١٣).
(١) السبعة (ص ٥٦).

لِلْبَحْثِ الثَّانِي

علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي

العلم: معرفة الشيء على ما هو به^(١)، أو المسائل المضبوطة ضبطاً خاصاً^(٢).

والقرآن هو: كلام الله المنزل على رسوله وخاتم أنبيائه محمد ﷺ بواسطة جبريل، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المعجز، المجموع بين دفتي المصحف، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس^(٣).

أما علوم القرآن بمعناه الإضافي؛ أي: المركب من كلمة (علوم) وكلمة (قرآن) فهذه الإضافة تشير إلى كل المعارف والعلوم المتصلة بالقرآن، ومن ثم جُمِعَ لفظ علوم ولم يفرد.

قال الزرقاني^(٤): (يشمل كل علم يخدم القرآن أو يستند إليه، وينتظم ذلك علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الرسم العثماني، وعلم إعجاز القرآن، وعلم أسباب النزول، وعلم النسخ والمنسوخ، وعلم

(١) الكليات لأبي البقاء الكفوي (ص ٦١٠).

(٢) المحرر في علوم القرآن لمساعد الطيار (ص ٢٠).

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكاني (٢/ ٣٣٠)، روضة الناظر لابن قدامة (٦/ ٦١).

(٤) هو: محمد عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر الشريف بمصر: تخرج من كلية أصول الدين وعمل مدرّساً لعلوم القرآن، والحديث. توفي بالقاهرة سنة (١٣٦٧هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢١٠).

إعراب القرآن، وعلم غريب القرآن، وعلوم الدين واللغة إلى غير ذلك^(١).

أما معناه اللقبى فهو الفن المدون فيعرف بأنه مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وجمعه، وقراءاته، وتفسيره، وناسخه ومنسوخه، وأسباب نزوله، وجمعه، ومكيه ومدنيه ونحو ذلك^(٢).



(١) مناهل العرفان (١/٦١).

(٢) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد أبو شهبه (ص ٢٥)، ودراسات في علوم القرآن لفهد الرومي (ص ٧).

لِلْبَحْثِ الثَّالِثِ

مصطلح «علوم القرآن» ومرادفاته في أحاديث النبي ﷺ وآثار الصحابة والتابعين

مرادفات علوم القرآن في أحاديث النبي ﷺ يمكن التدليل عليها بعدة أمثلة، منها دعاؤه ﷺ لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: (اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي الْكِتَابَ) (١).

وفي رواية عند الإمام أحمد (٢): (اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْنِي التَّأْوِيلَ) (٣).

وقوله ﷺ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ) (٤).

وعن أبي عبد الرحمن السلمي (٥)، قال: (حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما أنهم

(١) الحديث أخرجه البخاري كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: (اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي الْكِتَابَ) برقم (٧٥).

(٢) هو: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني إمام أهل السنة والجماعة وأحد الأئمة الأربعة، ولد عام (١٦٤هـ) له مؤلفات كثيرة منها: المسند، فضائل الصحابة، الزهد وغيرها. توفي عام (٢٤١هـ).

انظر: طبقات الحنابلة لأبي يعلى (٤/١ - ٢٠)، الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد للعليني (٤٤/١ - ٥١).

(٣) المسند برقم (٣٣٧٩).

(٤) أخرجه البخاري كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه برقم (٥٠٢٧).

(٥) هو: عبد الله بن حبيب من مشاهير التابعين بالكوفة. مات سنة (٧٤هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٩/٤٣١)، التقريب لابن حجر (١/٤٠٨).

كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل^(١).

وأخرج البيهقي^(٢) في «شعب الإيمان» عن الحسن^(٣) قال: (أَنْزَلَ اللهُ مِثَّةً وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ، أَوْدَعَ عِلْمُهَا أَرْبَعَةً مِنْهَا: التَّوْرَةَ، وَالْإِنْجِيلَ، وَالزَّبُورَ، وَالْفُرْقَانَ، ثُمَّ أَوْدَعَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ الْفُرْقَانَ، ثُمَّ أَوْدَعَ عِلْمَ الْقُرْآنِ الْمُفَصَّلَ، ثُمَّ أَوْدَعَ الْمُفَصَّلَ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ، فَمَنْ عَلِمَ تَفْسِيرَهَا كَانَ كَمَنْ عَلِمَ تَفْسِيرَ جَمِيعِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ)^(٤).



-
- (١) المصنف لابن أبي شيبه رقم (٢٩٩٢)، والطبري في جامع البيان (٣٩/١).
- (٢) هو: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الإمام الحافظ الفقيه الأصولي ولد عام (٣٨٤هـ) سمع بخراسان، ومكة، والعراق، له مؤلفات منها: السنن الكبرى، والأسماء والصفات. توفي سنة (٤٥٨هـ).
- انظر: تبين كذب المفتري لابن عساكر (٢٩٥)، طبقات الشافعية للسبكي (٢٨/٤).
- (٣) هو: الحسن بن يسار ولد لستين بقيتا في خلافة عمر رضي الله عنه كان من علماء التابعين بالقرآن، والفقه. توفي سنة (١١٠هـ). انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٢٨)، وطبقات المفسرين للداودي (١/١٤٧).
- (٤) شعب الإيمان (٢/٤٥٠).

لِلْبَحْثِ الرَّابِعِ

نشأة علوم القرآن

نشأة علوم القرآن ترتبط ارتباطًا وثيقًا ببداية نزول جبريل عليه السلام بالقرآن على النبي ﷺ وتلاوته على أصحابه، وأمره كُتَاب الوحي بتدوينه في اللخاف^(١)، والعسب^(٢) والصحف، وغيرها.

ثم تطورت تلك النشأة مع تطور الحياة العلمية والثقافية، وهكذا تدرجت في النماء والتطور^(٣).

وكان الصحابة رضي الله عنهم في هذه المدة يحفظون ما يسمعون من النبي ﷺ ويثبتونه في صدورهم، وبعضهم يدون ما يستشكل عليه من المعاني بحواشي مصحفه.

وبعد وفاة النبي ﷺ واصل الصحابة جهودهم في هذا السبيل فتوسعت دائرة علوم القرآن قليلًا، فنقل القرآن الكريم في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من السُّعُوف، واللخاف، والأكتاف^(٤) إلى الصحف، وظلت عنده هذه الصحف مدة خلافته، وحين توفاه الله تسلمها عمر رضي الله عنه من بعده، وبعد أن تولى الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه كانت رقعة الإسلام

(١) اللخاف بكسر اللام، وبخاء معجمة خفيفة آخره فاء جمع لخفة، بفتح اللام، وسكون الخاء الحجازة الرقاق. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (١٥٥/٤).

(٢) العسب هو: جريد النخل. انظر: لسان العرب (عسب) (٢٧٧/٩).

(٣) انظر: محاضرات في علوم القرآن لغانم قدوري (ص٧).

(٤) الأكتاف: جمع كتف، وهو عَظْمُ الكتف المسطح العريض. انظر: لسان العرب (كتف) (٢٨/١٢).

قد اتسعت اتساعًا ملحوظًا وتفرق المسلمون في الأمصار، وصار كل واحد يقرأ بالقراءة التي اشتهرت في ذلك المِصر؛ فنجم خلاف بين معلمي القرآن، وصار كل واحد يصوب قراءته، فكان هذا من الدواعي التي دعت إلى جمع القرآن في مصحف واحد وحرق ما عداه من المصاحف التي كانت منتشرة بين الصحابة رضوان الله عليهم، فكان القرآن في مصحف واحد وفق الرسم الذي عرف فيما بعد بالرسم العثماني لأمره بذلك، ونسخ من ذلك المصحف مصاحف، وأرسل إلى كل مصر مصحفًا من تلك المصاحف فقضى على الخلاف من جذوره ﷺ، فكان عمله رائدًا باركه الصحابة ﷺ واستصوبوه، فكانت هذه المرحلة التي عاشها ﷺ وخلفاؤه الأربعة برز فيها كثير من علوم القرآن منها:

- نزوله، وقراءته، ورسمه، وناسخه ومنسوخه، ومكيه ومدنيه.

وتلقى هذه العلوم عنهم التابعون وأتباع التابعين، وكان يغلب عليها طابع المشافهة، فما دُوِّن منها في هذه المرحلة إلا قليل.

ولم ينته القرن الأول حتى بدأت حركة التدوين تتسع وتنتشر في علوم القرآن والسنة من نقط المصاحف وشكلها وضبطها^(١).

قال الإمام أبو عمرو الداني^(٢): (فَأُلْفَتْ كُتُبٌ فِي أَنْوَاعِ عِلْمِ الْقُرْآنِ، وَاتَّجَهَتْ الْهَمَمُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى التَّفْسِيرِ بِاعْتِبَارِهِ أَمَ الْعِلْمِ

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/١٣١ - ١٤٠)، الإتيقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/٣٧٧ - ٣٩٣).

(٢) هو: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني إمام القراء، الدِّينُ الفاضل الورع ولد سنة (٣٧٢هـ) بلغ الغاية في القراءات، ومعرفتها وانتهت إليه رواية أسانيدها، وتعددت تأليفه فيها وعول الناس عليها، وعدلوا عن غيرها، منها: التيسير وجامع البيان، والمقنع. مات سنة (٤٤٤هـ). انظر: طبقات القراء للذهبي (٢/٦١٧)، غاية النهاية لابن الجزري (١/٧٠٠).

القرآنية؛ لما فيه من التعرض لها في كثير من المناسبات عند شرح الكتاب العزيز).

فظهرت الكتابة الجزئية في علوم القرآن، والغالب على هذه المؤلفات تناولها لنوع واحد من تلك العلوم كالناسخ والمنسوخ، والقراءة، وكتب التفسير وهكذا دواليك.

منها على سبيل المثال: تفسير أبي العالية، وتفسير سعيد بن جبير، وتفسير مجاهد، ومنها:

- كتاب «هجاء المصاحف» لعبد الله بن عامر اليحصبي.

ثم توالى التأليف في أنواع علوم القرآن.

ويذكر ابن النديم في «الفهرست» كثيرًا من المصنفات في هذا الشأن خلال هذه المدة منها:

- كتاب «الوقف والابتداء» لخلف، وكتاب «الوقف والابتداء» لابن الأنباري، وكتاب «اختلاف المصاحف» لابن أبي داود السجستاني، وكتاب «وقف التمام» للأخفش سعيد، ولنافع بن عبد الرحمن، وكتاب «مقطوع القرآن وموصوله» للكسائي ولحمزة بن حبيب، وكتاب «الحسن بن أبي الحسن في نزول القرآن»، وكتاب «الناسخ والمنسوخ» لأحمد بن حنبل ومقاتل بن سليمان^(١).



(١) انظر: الفهرست لابن النديم (ص ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧).

أَلْفَصْلُ الثَّانِي

التأليف في علوم القرآن وأنواعها

وفيه خمسة مباحث:

- لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ : من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن الرابع الهجري.
- لِلْبَحْثِ الثَّانِي : من نهاية القرن الرابع الهجري إلى بداية القرن التاسع الهجري.
- لِلْبَحْثِ الثَّلَاثِ : من بداية القرن العاشر إلى العصر الحالي.
- لِلْبَحْثِ الرَّابِعِ : علوم القرآن وعلاقتها بالتفسير والفرق بينهما وبين أصول التفسير.
- لِلْبَحْثِ الْخَامِسِ : الفرق بين التأويل والتفسير.

لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ

من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن الرابع الهجري

بدأت حركة التدوين في علوم القرآن في القرن الأول فكانت النواة والأصل للقرون الثلاثة التي تلتها، واتسعت دائرتها في القرن الثاني أكثر من الأول، فقد ازدهرت الحياة العلمية في القرن الثاني والثالث ازدهاراً ملحوظاً ليس في علوم القرآن فحسب وإنما في علوم الإسلام قاطبة، فما دخل القرن الرابع إلا وقد تأصلت العلوم واشتد عودها، وقد امتازت مصنفات هذه المرحلة بالإبداع والتجديد، وإن الغالب على ما ألف في علوم القرآن في هذه المدة تغلب عليه سمات التخصص بحيث يفرد كل موضوع بمصنف.

وفيما يلي رصد لأهم المصنّفات التي ألفت في علوم القرآن من القرن الأول إلى نهاية القرن الرابع:

- «تفسير سعيد بن جبير الأسدي» (ت ٩٥هـ)^(١).
- «تفسير مجاهد بن جبر المكي» (ت ١٠٤هـ)^(٢).
- «تفسير الضحاك بن مزاحم الهلالي» (ت ١٠٥هـ)^(٣).

(١) المؤلف والمختلف للدارقطني (١٨٦/٣)، طبقات المفسرين للداودي (١٨٠/١).

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي (٩٢/١)، طبقات ابن سعد (٣٤٣/٥).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٩٨/٤)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٣٩٧/٤).

- «تفسير عكرمة بن عبد الله البربري» مولى ابن عباس (ت ١٠٧هـ) ^(١).
- «تفسير محمد بن كعب القرظي» (ت ١٠٨هـ) ^(٢).
- «تفسير الحسن بن أبي الحسن البصري» (ت ١١٠هـ) ^(٣).
- «تفسير عطاء بن أبي رباح» (ت ١١٤هـ) ^(٤).
- «تفسير قتادة بن دعامة السدوسي» (ت ١١٧هـ) ^(٥).
- «تفسير عبد الله بن عامر اليحصبي» (ت ١١٨هـ) ^(٦).
- «اختيار في القراءة على مذهب العربية» لابن محيصن (ت ١٢٣هـ) ^(٧).
- «الناسخ والمنسوخ» لمحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) ^(٨).
- «تفسير عطاء بن دينار» (ت ١٢٦هـ) ^(٩).
- «تفسير إسماعيل السدي» (ت ١٢٧هـ) ^(١٠).
- «معاني القرآن» لواصل بن عطاء الغزال (ت ١٣١هـ) ^(١١).

-
- (١) طبقات المفسرين للداودي (٣٨٦/١).
 - (٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٦/٥)، المعارف لابن قتيبة (ص ٤٥٨).
 - (٣) تاريخ العلماء لابن الفرضي (١٦٥/١)، الفهرست لابن النديم (ص ٣٦).
 - (٤) تذكرة الحفاظ للذهبي (٩٨/١)، البداية والنهاية لابن كثير (٣٠٦/٩).
 - (٥) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٩، ١٧)، غاية النهاية لابن الجزري (٢٥/٢).
 - (٦) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥، ٢٩٢)، غاية النهاية لابن الجزري (١، ٤٢٣).
 - (٧) الفهرست لابن النديم (ص ٣٣)، معرفة القراء الكبار للذهبي (٩٨/١).
 - (٨) تذكرة الحفاظ للذهبي (١٠٨/١)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٩، ٣٩٥).
 - (٩) تهذيب التهذيب لابن حجر (٧، ١٧٩)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٦، ٢٨٣).
 - (١٠) تهذيب التهذيب لابن حجر (١، ٣١٣)، طبقات المفسرين للداودي (١، ١٠٩).
 - (١١) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٦، ٢٧٩٥)، فوات الوفيات للكتبي (٢، ٦٢٤).

- «تفسير عطاء بن أبي مسلم الخراساني» (ت ١٣٥هـ) ^(١).
- «تفسير زيد بن أسلم العدوي» (ت ١٣٦هـ) ^(٢).
- «تفسير داود بن دينار القشيري» (ت ١٣٩هـ) ^(٣).
- «ناسخ القرآن ومنسوخه» لمحمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ) ^(٤).

- «تفسير شبيل بن عباد المكي» (ت ١٤٨هـ) ^(٥).
- «تفسير ثابت بن دينار الثمالي» (ت ١٥٠هـ) ^(٦).
- «تفسير مقاتل بن حيان البلخي» (ت ١٥٠هـ) ^(٧).
- «تفسير مقاتل بن سليمان البلخي» (ت ١٥٠هـ) ^(٨).
- «تفسير عبد الملك بن جريج الأموي» (ت ١٥٠هـ) ^(٩).
- «متشابه القرآن» لمقاتل الأزدي (ت ١٥٠هـ) ^(١٠).
- «القراءات» لأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) ^(١١).

-
- (١) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٠٢/٧)، تقريب التهذيب لابن حجر (٢٣/٢).
 - (٢) تذكرة الحفاظ للذهبي (١٣٢/١)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٥٣).
 - (٣) العبر للذهبي (١٨٩/١)، طبقات المفسرين للداودي (١٦٩/١).
 - (٤) طبقات المفسرين للداودي (١٤٩/٢)، تهذيب التهذيب لابن حجر (١٥٧/٩).
 - (٥) تقريب التهذيب لابن حجر (٣٤٦/١)، غاية النهاية (٣٢٣/١).
 - (٦) طبقات المفسرين للداودي (١٢٣/١)، الأعلام للزركلي (٩٧/٢).
 - (٧) ميزان الاعتدال للذهبي (١٧١/٤)، الفهرست لابن النديم (ص ٥٣).
 - (٨) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٦٠/١٣)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١٢/٣١٧).
 - (٩) تذكرة الحفاظ للذهبي (١٦٩/١)، الإرشاد للخليلي (٣٩٢/١).
 - (١٠) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٦٠/١٣)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١٢/٣١٧).
 - (١١) الفهرست لابن النديم (ص ٥٣).

- «القراءات» لحمزة الكوفي (ت ١٥٦هـ) ^(١).
- «تفسير شعبة بن الحجاج» (ت ١٦٠هـ) ^(٢).
- «تفسير سفيان الثوري» (ت ١٦١هـ) ^(٣).
- «القراءة» لنافع المدني (ت ١٦٩هـ) ^(٤).
- «تفسير مالك بن أنس الأصبحي» (ت ١٧٩هـ) ^(٥).
- «الناسخ والمنسوخ» لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي (ت ١٨٢هـ) ^(٦).
- «تفسير هشيم بن بشير السلمي» (ت ١٨٣هـ) ^(٧).
- «معاني القرآن» للكسائي (ت ١٨٩هـ) ^(٨).
- «فضائل القرآن» لابن الضريس (ت ١٩٤هـ) ^(٩).
- «تفسير وكيع بن الجراح» (ت ١٩٧هـ) ^(١٠).
- «تفسير سفيان بن عيينة» (ت ١٩٨هـ) ^(١١).

-
- (١) غاية النهاية لابن الجزري (٢٦١/١)، معرفة القراء الكبار للذهبي (١١١/١).
 - (٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢٥٥/١)، معجم المفسرين لعادل نويس (١/٢٢٧).
 - (٣) تذكرة الحفاظ للذهبي (٢٠٣/١)، طبقات المفسرين للداودي (١٨٦/١).
 - (٤) الفهرست لابن النديم (ص ٣١)، غاية النهاية لابن الجزري (٢/٣٣٠).
 - (٥) ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/٩٤)، العبر للذهبي (١/٢٧٢).
 - (٦) الفهرست لابن النديم (ص ٤٠)، طبقات المفسرين للداودي (١/٢٧١).
 - (٧) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٨٥/١٤)، العبر للذهبي (١/٢٨٦).
 - (٨) إنباء الرواة للقفطي (٢/٢٦٥)، الفهرست لابن النديم (ص ٥٤).
 - (٩) طبقات المفسرين للداودي (٢/١٠٩)، شذرات الذهب لابن العماد (٢/٢١٦).
 - (١٠) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٣/٤٦٦)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٤/٣١١).
 - (١١) طبقات المفسرين للداودي (١/١٩٠)، الفهرست لابن النديم (ص ٥٣).

- «تفسير عبد الرزاق الصنعاني» (ت ٢٠٠هـ) ^(١).
- «فضائل القرآن» لمحمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) ^(٢).
- «تفسير يحيى بن سلام التيمي» (ت ٢٠٥هـ) ^(٣).
- «الناسخ والمنسوخ» لحجاج بن محمد الأعور (ت ٢٠٦هـ) ^(٤).
- «معاني القرآن» ليحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ^(٥).
- «إعراب القرآن» لأبي عبيدة (معمر بن المثنى) (ت ٢٠٩هـ) ^(٦).
- «معاني القرآن» للأخفش (سعيد بن مسعدة) (ت ٢١٦هـ) ^(٧).
- «غريب القرآن» لأبي عبيد (القاسم بن سلام) (ت ٢٢٣هـ) ^(٨).
- «أسباب النزول» لعلي بن المديني (شيخ البخاري) (ت ٢٣٤هـ) ^(٩).
- «تفسير إسحاق بن راهويه» (ت ٢٣٧هـ) ^(١٠).
- «إعراب القرآن» لابن حبيب القرطبي (ت ٢٣٨هـ) ^(١١).
- «تفسير أحمد بن حنبل الشيباني» (ت ٢٤١هـ) ^(١٢).

-
- (١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧٣/١٨)، الغنية للقاضي عياض (ص ١٦٣).
 - (٢) طبقات الشافعية للسبكي (١/٥٥)، طبقات الشافعية للأسنوي (١/١١ - ١٤).
 - (٣) تاريخ العلماء لابن الفرضي (١/٣٥٧)، معجم المفسرين لعادل نويس (٢/٧٣١).
 - (٤) الفهرست لابن النديم (ص ٣٧ - ٤٠)، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٢/١٨١).
 - (٥) الفهرست لابن النديم (ص ٢٤).
 - (٦) إنباء الرواة للقفطي (٣/٢٨٠).
 - (٧) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٣/١٣٨٦).
 - (٨) الفهرست لابن النديم (ص ٧١)، البداية والنهاية في القرآن الكريم لمصطفى زيد (١/٣٢٠).
 - (٩) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤١/١١)، إيضاح المكنون للخطيب البغدادي (٣/٦٩).
 - (١٠) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٦/٣٤٥)، تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/٤٣٣).
 - (١١) طبقات المفسرين للداودي (١/٣٥٥)، ترتيب المدارك للقاضي عياض (٣/٣٠).
 - (١٢) طبقات الحنابلة لأبي يعلى (٤/٢٠).

- «فهم القرآن» للحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣هـ)^(١).
- «غريب القرآن» لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)^(٢).
- «فضائل القرآن» لهشام بن عمار الظفري (ت ٢٤٥هـ)^(٣).
- «إعراب القرآن» لأبي حاتم سهل السجستاني (ت ٢٤٨هـ)^(٤).
- «تفسير عمرو بن علي الفلاس» (ت ٢٤٩هـ)^(٥).
- «تفسير عبد بن حميد الكشي» (ت ٢٤٩هـ)^(٦).
- «القراءة» لأحمد بن جبير الكوفي (ت ٢٥٨هـ)^(٧).
- «فضائل القرآن» ليحيى بن زكريا بن مزيد (ت ٢٥٩هـ)^(٨).
- «تفسير ابن ماجه القزويني» (ت ٢٧٣هـ)^(٩).
- «الناسخ والمنسوخ» لأبي داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ)^(١٠).
- «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)^(١١).
- «تفسير بقي بن مخلد القرطبي» (ت ٢٧٦هـ)^(١٢).

-
- (١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١١٠/١٢)، حلية الأولياء لأبي نعيم (٧٣/١٠).
 - (٢) الفهرست لابن النديم (ص ٧٢)، هدية العارفين للبغدادي (٥٣٦/٢).
 - (٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٧٦/١٠).
 - (٤) الفهرست لابن النديم (ص ٥٨)، طبقات المفسرين للداودي (٢١٧/١).
 - (٥) تذكرة الحفاظ للذهبي (٤٨٧/٢)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٩٣/٣).
 - (٦) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣٥/١٢)، شذرات الذهب (١٢٠/٢).
 - (٧) معرفة القراء الكبار للذهبي (٢٠٧/١).
 - (٨) طبقات المفسرين للداودي (٣٦٨/٢).
 - (٩) البداية والنهاية لابن كثير (٥٢/١١)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٤٨٤/١).
 - (١٠) الفهرست لابن النديم (ص ٦٢).
 - (١١) طبقات المفسرين للداودي (٢٥١/١)، مرآة الجنان لليافعي (١٩١/٢).
 - (١٢) الصلة لابن بشكوال (١١٨/١).

- «إعراب القرآن» لمحمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦هـ)^(١).
- «إعراب القرآن» لأحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ)^(٢).
- «معاني القرآن» لابن كيسان (ت ٢٩٩هـ)^(٣).
- «توضيح المشكل من القرآن» لسعيد بن الحداد المغربي (ت ٣٠٢هـ)^(٤).
- «فضائل القرآن» لأحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)^(٥).
- «الحاوي في علوم القرآن» لابن المرزبان (ت ٣٠٩هـ)^(٦).
- «جامع البيان من تأويل آي القرآن» لابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)^(٧).
- «معاني القرآن وإعرابه» لإبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ)^(٨).
- «غريب القرآن» لمحمد بن العباس اليزيدي (ت ٣١١هـ)^(٩).
- «أمثال القرآن» للحكيم الترمذي (ت ٣١٣هـ)^(١٠).
- «تفسير أبي بكر النيسابوري» (ت ٣١٨هـ)^(١١).

-
- (١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/١٤)، مرآة الجنان لليافعي (٢/٢١٠).
 - (٢) إنباه الرواة للقفطي (١/١٥١).
 - (٣) مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (١/١٦٠).
 - (٤) مرآة الجنان لليافعي (٢/٢٤٠)، الأعلام للزركلي (٣/١٠٠).
 - (٥) البداية والنهاية لابن كثير (١١/١٢٣).
 - (٦) طبقات المفسرين للداودي (٩٥).
 - (٧) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٢/١٦٢).
 - (٨) الفهرست لابن النديم (ص ٦٠).
 - (٩) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/٣٦١).
 - (١٠) صفة الصفوة لابن الجوزي (٤/١٤٠)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص ٣٥٢).
 - (١١) طبقات المفسرين للداودي (٢/٥٥).

- «تفسير محمد بن المنذر» (ت ٣١٩هـ)^(١).
- «معرفة الناسخ والمنسوخ» لعلي بن حزم الظاهري (ت ٣٢٠هـ)^(٢).
- «معاني القرآن» لابن دريد (محمد بن الحسن) (ت ٣٢١هـ)^(٣).
- «أمثال القرآن» لنفطويه الأزدي (إبراهيم بن محمد بن عرفة) (ت ٣٢٣هـ)^(٤).
- «القراءات السبع» لابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)^(٥).
- «تفسير ابن أبي حاتم الرازي» (ت ٣٢٧هـ)^(٦).
- «الناسخ والمنسوخ» لابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)^(٧).
- «متشابه القرآن» لابن المنادي (ت ٣٣٦هـ)^(٨).
- «الناسخ والمنسوخ» لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)^(٩).
- «معاني القرآن» لمحمد بن الحسن النقاش (ت ٣٥١هـ)^(١٠).
- «الإعجاز والإيجاز» لأبي منصور الثعالبي (عبد الله بن محمد) (ت ٣٥٥هـ)^(١١).

-
- (١) الوافي بالوفيات للصفدي (٣٣٦/١).
 - (٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٧/١٥).
 - (٣) طبقات المفسرين للأذنهوي (ص ٦١).
 - (٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧٥/١٥).
 - (٥) طبقات القراء للذهبي (٣٣٣/١)، غاية النهاية لابن الجزري (١٣٩/١ - ١٤٢).
 - (٦) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦٣/١٣)، فوات الوفيات للكتبي (٢٨٧/٢).
 - (٧) طبقات المفسرين للداودي (٢٢٨/٢).
 - (٨) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٦٩/٤).
 - (٩) إنباء الرواة للقفطي (١٠١/١)، طبقات المفسرين للداودي (٦٨/١).
 - (١٠) الوافي بالوفيات للصفدي (٣٤٥/٢).
 - (١١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٣٧/١٧)، شذرات الذهب لابن العماد (٢٤٦/٣).

- «الناسخ والمنسوخ» لأبي الحسين محمد النيسابوري (ت ٣٦٨هـ) ^(١).
- «معاني القرآن» لابن آشته (محمد بن عبد الله) (ت ٣٧٠هـ) ^(٢).
- «إعراب ثلاثين سورة من القرآن» لابن خالويه (الحسين بن أحمد) (ت ٣٧٠هـ) ^(٣).
- «القراءة» للحسين بن عثمان البغدادي (أول من نظم القراءات السبع) (ت ٣٧٨هـ) ^(٤).
- «تفسير عمر بن أحمد بن شاهين» (ت ٣٨٥هـ) ^(٥).
- «الشامل والغاية» لأبي بكر بن مهران (ت ٣٨٦هـ) ^(٦).



-
- (١) طبقات المفسرين للداودي (٢/٢٣٦).
 - (٢) الوافي بالوفيات للصفدي (٣/٣٤٧)، غاية النهاية لابن الجزري (٢/١٨٤).
 - (٣) إنباه الرواة للقفطي (١/٩٢)، معجم الأدباء لياقوت الحموي (٣/١٠٣٦).
 - (٤) طبقات القراء للذهبي (١/٤٥٥)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٨/٨٤)، غاية النهاية لابن الجزري (١/٢٤٣ - ٢٤٤).
 - (٥) تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/٣٣٨٧).
 - (٦) معرفة القراء الكبار للذهبي (١/٣٤٧).

لِلْبَحْثِ الثَّانِي

من نهاية القرن الرابع الهجري إلى بداية القرن التاسع الهجري

تميزت هذه المرحلة بالنهضة العلمية الكبيرة وازدهار حركة التأليف والتصنيف كما تميزت بتشعب العلوم واتساعها، حيث نهجت نهج الاستقراء والاستيعاب، وفيما يلي رصد لأهم المصنّفات التي صنف من نهاية القرن الرابع الهجري إلى بداية القرن التاسع الهجري:

- «الناسخ والمنسوخ» لعبد الرحمن محمد بن عيسى بن فطيس (ت ٤٠٢هـ)^(١).

- «التنبيه على فضل علوم القرآن» للحسن بن محمد أبي القاسم النيسابوري (ت ٤٠٢هـ)^(٢).

- «القصص والأسباب التي نزل من أجلها القرآن» لأبي المطرف عبد الرحمن بن أصبغ (ت ٤٠٢هـ)^(٣).

- «إعجاز القرآن» لأبي بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)^(٤).

- «أمثال القرآن» لمحمد بن حسين السلمي النيسابوري (ت ٤٠٦هـ)^(٥).

(١) تاريخ قضاة الأندلس (ص ٨٧).

(٢) طبقات المفسرين للداودي (١/١٤٠)، بغية الوعاة للسيوطي (١/٥١٩).

(٣) الصلة لابن بشكوال (ص ٣٠٣).

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥/٣٧٩)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/١٩٠).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/٢٤٧).

- «حل الآيات المتشابهات» لمحمد بن الحسن بن فورك (ت ٤٠٦هـ) ^(١).

- «المتشابهات في القرآن» للشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) ^(٢).

- «المنتهى في القراءات» لأبي الفضل محمد الخزاعي (ت ٤٠٨هـ) ^(٣).

- «الناسخ والمنسوخ» لأبي القاسم هبة الله المفسر الضرير (ت ٤١٠هـ) ^(٤).

- «الكلام في وجوه إعجاز القرآن» لمحمد بن عبد السلام العكبري (ت ٤١٣هـ) ^(٥).

- «المغني في إعجاز القرآن» لعبد الجبار الهمذاني (ت ٤١٥هـ) ^(٦).

- «الناسخ والمنسوخ» لأبي منصور عبد القاهر الأسفراييني (ت ٤٢٩هـ) ^(٧).

- «الأشباه والنظائر في القرآن الكريم» لأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ^(٨).

- «إعراب القرآن» لعلي بن إبراهيم الحوفاي (ت ٤٣٠هـ) ^(٩).

(١) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (٢٤٠/٤)، طبقات المفسرين للداودي (١٣٢/٢).

(٢) إيضاح المكنون للبغداد (٤٢٦/٤).

(٣) غاية النهاية لابن الجزري (١٠٩/٢).

(٤) طبقات المفسرين للداودي (٣٤٨/٢).

(٥) إيضاح المكنون للبغداد (٣٧٥/٤).

(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٤٤/١٧).

(٧) إنباء الرواة للقفطي (١٨٥/٢)، طبقات المفسرين للداودي (٣٣٢/١).

(٨) شذرات الذهب لابن العماد (٢٤٦/٣).

(٩) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٣٢/١)، بغية الوعاة للسيوطي (٣٢٥/٢).

- «وجوه القرآن» لإسماعيل بن أحمد الحيري النيسابوري (ت ٤٣٠هـ)^(١).

- «درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز» لمحمد بن عبد العزيز الإسكافي (ت ٤٣١هـ)^(٢).

- «الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القراءات وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه» لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)^(٣).

- مقدمة تفسير «التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل» لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت ٤٤٠هـ)^(٤).

- «التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)^(٥).

- «نظم السور» لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ)^(٦).

- مقدمة تفسير «النكت والعيون في تفسير القرآن» لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ)^(٧).

- «الناسخ والمنسوخ» لأبي محمد علي بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ)^(٨).

- مقدمة تفسير «البسيط» و«الوسيط» و«الوجيز» لعلي بن أحمد

(١) طبقات المفسرين للداودي (١٠٦/١)، شذرات الذهب لابن العماد (٣/٣٣٨).

(٢) بغية الوعاة للسيوطي (١/١٤٩).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/٥٩١).

(٤) غاية النهاية لابن الجزري (١/٩٢)، طبقات المفسرين للداودي (١/٥٦).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/٧٧ - ٨٣).

(٦) وفيات الأعيان لابن خلكان (١/٣٣)، معجم الأدياء لياقوت (١/١٨١).

(٧) طبقات الشافعية للسبكي (٥/٢٦٧)، شذرات الذهب لابن العماد (٣/٢٨٥).

(٨) نفح الطيب للمقري (١/٣٦٤)، وفيات الأعيان لابن خلكان (١/٣٤٠).

الواحدي (ت ٤٦٨هـ) ^(١).

- «دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) ^(٢).

- «الوجوه والنظائر» للحسن بن أحمد بن البنا الحنبلي (ت ٤٧١هـ) ^(٣).

- «مفردات غريب القرآن» للحسين بن علي الراغب (ت ٥٠٢هـ) ^(٤).

- «أسرار التكرار في القرآن» لمحمود الكرمانى (ت ٥٠٥هـ) ^(٥).

- مقدمة تفسير «معالم التنزيل» لأبي محمد البغوي (ت ٥١٦هـ) ^(٦).

- «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لابن عطية (ت ٥٤١هـ) ^(٧).

- «المبهمات» لعبد الرحمن السهيلي (ت ٥٨١هـ) ^(٨).

- «فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن» لأبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ^(٩).

- مقدمة التفسير الكبير «مفاتيح الغيب» لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ^(١٠).

(١) معجم الأدباء لياقوت (٢٥٧/١٢)، بغية الوعاة للسيوطي (١٤٥/٢).

(٢) مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (١٦٥/١) مرآة الجنان لليافعي (١٠١/٣).

(٣) المقصد الأرشد لابن مفلح (٣٠٩/١).

(٤) مرآة الزمان (٤٨٣/٨)، هدية العارفين للبغدادي (٥٢١/١).

(٥) غاية النهاية لابن الجزري (٢٩١/٢).

(٦) تذكرة الحفاظ للذهبي (١٢٥٧/٣)، معجم المفسرين لعادل نويهض (١٦١/١).

(٧) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٨٧/١٩)، الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب (٥٤٠/٣).

(٨) طبقات المفسرين للداودي (٢٧٢/١).

(٩) معجم المؤلفين لرضا كحالة (٨٤٦/٣)، معجم المفسرين لعادل نويهض (٥٨٠/٢).

(١٠) معجم الأدباء لياقوت (٢٥٨٩/٦)، معجم المفسرين لعادل نويهض (٥٩٦/٢).

- «إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن» لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)^(١).
- «ري الظمآن في متشابه القرآن» لأبي محمد الأنصاري الأندلسي (ت ٦٣٤هـ)^(٢).
- «التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام» لابن عسكر (ت ٦٣٦هـ)^(٣).
- «جمال القراء وكمال الإقراء» لعلم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ)^(٤).
- مقدمة تفسير «الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السُّنة وآي الفرقان» لأبي عبد الله القرطبي (ت ٦٧١هـ)^(٥).
- «الإكسير في علوم التفسير» لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي الصرصري (ت ٧١٦هـ)^(٦).
- «مقدمة في أصول التفسير» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ (ت ٧٢٨هـ)^(٧).
- مقدمة «لباب التأويل في معاني التنزيل» لأبي الحسن علي الخازن (ت ٧٤١هـ)^(٨).

(١) طبقات المفسرين للداودي (٢٣٢/١)، بغية الوعاة للسيوطي (٢٨١/١).

(٢) إيضاح المكنون للبغدادي (٦٠٤/٣).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٦٥/٢٣).

(٤) غاية النهاية لابن الجزري (٥٦٨/١)، بغية الوعاة للسيوطي (١٩٢/٢).

(٥) الوافي بالوفيات للصفدي (١٢٢/٢)، شذرات الذهب لابن العماد (٥٨٤/٧).

(٦) الدرر الكامنة لابن حجر (٢٤٦/٢)، روضات الجنات للخوانساري (٨٩/٤ - ٩٠).

(٧) طبقات المفسرين للداودي (٤٦/١)، البداية والنهاية لابن كثير (١٦٣/١٤).

(٨) معجم الأدباء لياقوت (٢٦٨٧/٦)، معجم المفسرين لعادل نويهض (٣٧٩/١).

- مقدمة تفسير «البحر المحيط» لأبي حيان الغرناطي (ت ٧٤٥هـ) ^(١).
- «رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات» لمحمد بن أحمد بن اللبان (ت ٧٤٩هـ) ^(٢).
- «بهجة الأريب في غريب القرآن» لابن التركماني المارديني (ت ٧٥٠هـ) ^(٣).
- «الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان» لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ^(٤).
- «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون» للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) ^(٥).
- مقدمة تفسير «القرآن العظيم» لعماد الدين ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ^(٦).
- «ضمائر القرآن» لمحمد بن يوسف الكرمانى (ت ٧٨٦هـ) ^(٧).
- «البرهان في علوم القرآن» لبدر الدين محمد الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ^(٨).
- «تفسير غريب القرآن» لأبي حفص عمر بن أبي الحسين علي بن

(١) طبقات المفسرين للداودي (٢/٢٨٩)، صلة الخلف للروادى (١٤٣٥).
 (٢) مرآة الجنان لليافعى (٤/٣٣٣)، الدر الكامنة لابن حجر (٣/٣٣٠).
 (٣) طبقات المفسرين للداودي (١/٤٢٠).
 (٤) شذرات الذهب لابن العماد (٦/٤٧)، الوافي بالوفيات للصفدي (٢/٢٧١).
 (٥) شذرات الذهب لابن العماد (٦/١٧٩)، روضات الجنات للخوانساري (ص ٨٥).
 (٦) طبقات المفسرين للداودي (١/١١١)، الأعلام للزركلي (١/٣٢٠).
 (٧) الأعلام للزركلي (٧/١٥٣)، معجم المفسرين لعادل نويهض (٢/٦٥٢).
 (٨) الدر الكامنة لابن حجر (٣/٣٩٧)، شذرات الذهب لابن العماد (٦/٣٣٥).

أحمد الأنصاري المعروف بابن الملقن (ت ٨٠٤هـ)^(١).

- «الناسخ والمنسوخ» لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)^(٢).

- «تحفة الإخوان في إعراب بعض آيات القرآن» لعبد الرحمن بن محمد الجزائري المعروف بالثعالبي (ت ٨٧٥هـ)^(٣).

- «مدد الرحمن في أسباب نزول القرآن» لزين الدين عبد الرحمن بن علاء الدين علي بن إسحاق التميمي المقدسي الشافعي (ت ٨٧٦هـ)^(٤).

- «التيسير في قواعد علم التفسير» للكافيجي أبي عبد الله محيي الدين (ت ٨٧٩هـ)^(٥).

- «كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر» لمحمد بن محمد بن علي البليسي المعروف بابن العماد (ت ٨٨٧هـ)^(٦).

- «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» لبرهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي (٨٨٥هـ)^(٧)، و«دلالة البرهان القويم على تناسب أي القرآن العظيم»^(٨).

- «التحبير في علوم التفسير» لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي

(١) الضوء اللامع (٣/١٠١ - ١٠٢)، شذرات الذهب (٧/٤٥)، وكتابه مطبوع بتحقيق: سمير طه المجذوب.

(٢) نظم العقيان للسيوطي (ص ٤٥ - ٤٦)، البدر الطالع للشوكاني (١/٨٧ - ٩٢).

(٣) شجرة النور لمخلوف (ص ٢٦٤ - ٢٦٥).

(٤) الضوء اللامع للسخاوي (٤/٩٥)، إيضاح المكنون (٤/٤٥٥).

(٥) بغية الوعاة (١/١١٧)، البدر الطالع (٢/١٧١)، وكتابه مطبوع بتحقيق: ناصر بن محمد المطرودي.

(٦) الضوء اللامع للسخاوي (٩/١٦٢) وكتابه مطبوع.

(٧) شذرات الذهب لابن العماد (٧/٣٤٠)، البدر الطالع للشوكاني (١/١٩) وكتابه مطبوع متداول.

(٨) إيضاح المكنون (٣/٤٧٥).

- (ت ٩١١ هـ) ^(١).
- «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي جلال الدين بن عبد الرحمن
(ت ٩١١ هـ) ^(٢).
- «تناسق الدرر في تناسب السور» للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ^(٣).
- «معترك الأقران في إعجاز القرآن» لجلال الدين السيوطي
(ت ٩١١ هـ) ^(٤).
- «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» لجلال الدين السيوطي
(ت ٩١١ هـ) ^(٥).
- «مفحمت الأقران بمبهمات القرآن» ^(٦) لجلال الدين السيوطي
(٩١١ هـ).
- «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع» للسيوطي ^(٧).
- «ربط السور والآيات» لمحمد بن مبارك المعروف بحكيم شاه
القزويني (ت ٩٢٠ هـ) ^(٨).
- «الآيات التي فيها الناسخ والمنسوخ» لإبراهيم بن محمد
المعروف بابن أبي شريف المقدسي (ت ٩٢٣ هـ) ^(٩).
- «نظم سور القرآن» لعبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد
المكناسي (ت ٩٦٤ هـ) ^(١٠).

(١) حسن المحاضرة، وانظر: مكتبة الجلال السيوطي لأحمد الشرقاوي، والكتاب مطبوع.
(٢) الكتاب مطبوع متداول ويعد بعد البرهان للزركشي مرتكزاً في هذا الفن.
(٣) مطبوع.
(٤) مطبوع بتحقيق: محمد البجاوي.
(٥) مطبوع بتحقيقات عدة آخرها تحقيق: عبد الله التركي.
(٦) مطبوع بتحقيق: إياد خالد الطباع.
(٧) مطبوع بتحقيق: عبد المحسن العسكر.
(٨) الأعلام للزركلي (١٧/٧)، هذبة العارفين (٢٢٩/٢).
(٩) شذرات الذهب لابن العماد (١١٨/٨).
(١٠) الكواكب السائرة (١٦٩/٢) وكتابه مخطوط نظم فيه كتاب الجواهر في علم التفسير للسيوطي.

لِلْبَحْثِ الثَّالِثِ

من بداية القرن العاشر الهجري إلى العصر الحالي

تميزت هذه المرحلة بضعف التأليف في كافة العلوم عامة، وفي علوم القرآن خاصة، كما تميزت باعتماد مؤلفيها على جهود سابقهم فغلب على مؤلفاتهم الاختصار حيناً والشرح والتبسيط حيناً آخر، ولم يظهر من مصنفاتهم إلا اليسير النادر، وفيما يلي رصد لأهم المصنفات التي صنف من بداية القرن العاشر الهجري إلى العصر الحالي:

- «قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن» لمرعي بن يوسف الكرمي (١٠٣٣هـ)^(١).

- «تحفة الفقير ببعض علوم التفسير» لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن سلامة الإسكندري المالكي (ت ١١٤٩هـ)^(٢).

- «الزيادة والإحسان في علوم القرآن» لابن عقيلة محمد بن أحمد الحنفي المكي (ت ١١٥٠هـ)^(٣).

- «الفوز الكبير في أصول التفسير» لولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ)^(٤).

(١) انظر: خلاصة الأثر للمحبي (٣٥٨/٤) السحب الوابلة لابن حميد (١١١٨/٣) (١١٢١) والكتاب مطبوع بتحقيق: سامي عطا حسن.

(٢) سلك الدرر للمرادي (١٢٣/٤)، فهرس الفهارس للكتاني (٨٢٩) والكتاب مطبوع وهو تفسير منظوم للقرآن الكريم.

(٣) سلك الدرر للمرادي (٣٠/٤) والكتاب حقق في رسائل جامعية وطبعته جامعة الشارقة الإمارات العربية.

(٤) نزهة الخواطر (٣٩٨/٦ - ٤٥٠) والكتاب مطبوع نقله من الأصل الفارسي إلى اللغة العربية سلمان الحسيني الندوي وصدر عن دار البشائر الإسلامية.

- «إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن» لعطية الله بن عطية البرهان الأجهوري (١١٩٠هـ)^(١).
- «لب التفاسير في معرفة أسباب النزول والتفسير» لمحمد بن عبد الله القاضي الرومي (ت ١١٩٥هـ)^(٢).
- «عجيب البيان في علوم القرآن» لعبد الباسط بن رستم بن علي أصغر القنوجي (ت ١٢٢٣هـ)^(٣).
- «جواهر القرآن في التجويد» لمحمود بن محمد بن مهدي العلوي التبريزي (ت ١٢٨٧هـ)^(٤).
- «الإيجاز والبيان في علوم القرآن» لمحمد صادق قمحاوي.
- «تاريخ القرآن» لعدنان زرزور.
- «البيان في علوم القرآن» لمحمد حسنين مخلوف العدوي.
- «البيان في مباحث من علوم القرآن» لعبد لوهاب غرلان (١٣٧٧هـ).
- «التيان في علوم القرآن» للقصبي محمود زلط.
- «التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتيان» لطاهر بن صالح بن أحمد الجزائري الدمشقي (ت ١٣٣٨هـ).
- «دراسات في أصول القرآن» لمحسن عبد الحميد.
- «دراسات في التفسير ورجاله» لأبي اليقظان عطية.

(١) سلك الدرر للمرادي (٢٦٥/٣)، وإيضاح المكنون للبغدادي (٦٠/١) وقد حقق في رسائل جامعية في كل من الجامعة الزيتونية بتونس وجامعة أم القرى.
 (٢) إيضاح المكنون للبغدادي (٤٠/٤). (٣) الأعلام للزركلي (٢٧١/٣).
 (٤) علوم القرآن دراسة تاريخية (ص ٢٣٤).

- «دراسات في علوم القرآن الكريم» لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي.
- «علوم القرآن» لمحمد الكومي ومحمد القاسم.
- «علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه» لعبدان زرزور.
- «القرآن المجيد: تنزيله، أسلوبه، أثره، جمعه» لمحمد عزة دروزة.
- «لمحات في علوم القرآن واتجاهات المفسرين» لمحمد لطفي الصباغ.
- «مباحث في علوم القرآن» لصبحي الصالح (ت ١٤٠٧هـ).
- «مباحث في علوم القرآن» لمناع بن خليل القطان (١٤٢٠هـ).
- «المعجزة الكبرى القرآن: نزوله، كتابته، جمعه، إعجازه، جدله، علومه، تفسيره، حكم الغناء به» لمحمد أبو زهرة.
- «مدخل إلى علوم القرآن والتفسير» لفاروق حمادة.
- «المدخل لدراسة القرآن الكريم» لمحمد محمد أبو شعبة.
- «مناهل العرفان في علوم القرآن» لمحمد بن عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ).
- «منهج الفرقان في علوم القرآن» لمحمد بن علي سلامة (ت ١٣٦٢هـ).
- «يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن» لمحمد يوسف البنوري.
- «إتقان البرهان في علوم القرآن» لفضل عباس.

- «الإحسان في علوم القرآن» و«منة المنان في علوم القرآن» كلاهما لإبراهيم خليفة.

- «المحرر في علوم القرآن» لمساعد الطيار.

- «المقدمات الأساسية في علوم القرآن» عبد الله الجديع.

وكذلك ساهمت النهضة الحديثة في الجامعات العربية والإسلامية في النهوض بعلوم القرآن حين توجه كثير من طلابها إلى الكتابة في هذا الإطار؛ فكثرَت الرسائل العلمية في علوم القرآن كثرة ملحوظة وهي مبنوثة في المكتبات العلمية وبين طلاب العلم.



المَبْحَثُ الرَّابِعُ

علوم القرآن وعلاقته بالتفسير والفرق بينه وبين أصول التفسير

علاقة التفسير بعلوم القرآن علاقة الجزء بالكل.
فالتفسير جزء من علوم القرآن إلا أن مصطلح علوم القرآن أعم
لاشتماله على كثير من المسائل والعلوم التي لا تخدم التفسير، بينما
أصول التفسير كلها تصب في خدمته.
ومن العلوم التي لا تدخل في أصول التفسير وهي من علوم
القرآن: «عدّ آي القرآن» و«رسم المصحف».
فهذه علوم تخدم القرآن الكريم ولا تخدم شيئاً من التفسير^(١).



(١) انظر: علوم القرآن بين البرهان والإتقان لحازم حيدر (ص ٢٨)، والمحرر في علوم
القرآن للطيار (ص ٥٤).

الْبَحْثُ الْخَامِسُ

الفرق بين التأويل والتفسير

عرض كثير من المفسرين والمصنفين في علوم القرآن للفرق بين التأويل والتفسير، وإن كان كثير منهم ينحو بمصطلح التأويل منحى المتكلمين وهو: صرف اللفظ عن ظاهره.

وهذا خروج بهذا المصطلح عن دلالة الأصلية كما سيظهر ذلك بعد عرض بعض الفروق التي ذكروها بين التفسير والتأويل، منها: قال أبو هلال العسكري^(١) في الفرق بين التأويل والتفسير: (إن التفسير هو: الإخبار عن أفراد آحاد الجملة. والتأويل: الإخبار بمعنى الكلام.

وقيل: التفسير: أفراد ما انتظمه ظاهر التنزيل، والتأويل: الإخبار بغرض المتكلم بكلام)^(٢).

وقال الثعلبي^(٣): (التفسير: كشف المنغلق من المراد بلفظ أو

(١) هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن مهران العسكري أديب لغوي صاحب التصانيف الأدبية له عدة مؤلفات منها: «جمهرة الأمثال» و«المحاسن في تفسير القرآن». توفي سنة (٣٩٥هـ).

انظر: إنباء الرواة للقفطي (١٨٩/٤)، بغية الوعاة للسيوطي (٥٠٦/١ - ٥٠٧).

(٢) الفروق في اللغة (ص ٧٤).

(٣) أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (أبو إسحاق) مفسر، مقرئ، واعظ، ثقة حافظ، العالم بوجوه القراءات والإعراب، له تصانيف جلييلة منها: الكشف والبيان في تفسير القرآن، وعرائس المجالس في قصص الأنبياء. توفي سنة (٤٣٧هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٨٠/١). والأعلام للزركلي (٢١٢/١).

إطلاق المحتبس عن فهمه. والتأويل: صرف الآية إلى معنى تحتمله موافق لما قبلها وما بعدها، وأصله من الأول وهو الرجوع، تقول العرب: أولته فآل؛ أي: صرفته فانصرف^(١).

وقال الماتريدي^(٢): (التفسير: القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أن عني باللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه، والتأويل ترجيح أحد المحتملين دون القطع والشهادة على الله)^(٣).

وقال الراغب الأصفهاني^(٤): (التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعمال التأويل في المعاني كتأويل الرؤيا، وأكثره يستعمل في الكتب الإلهية. والتفسير يستعمل في غيرها، والتفسير أكثر ما يستعمل في معاني مفردات الألفاظ.

واعلم أن التفسير في عرف العلماء «كشف معاني القرآن، وبيان المراد» أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره، وبحسب المعنى الظاهر وغيره، والتفسير أكثره في الجمل، والتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ كالبَحيرة، والسائبة، والوَصيلة، أو في وجيز مبين بشرح كقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [المزمل: ٢٠].

وإما في كلام مضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا لمعرفة كقوله:

(١) الكشف والبيان (٨٧/١).

(٢) هو: محمد بن محمد أبو نصر الماتريدي المتكلم تفقه على شيوخ عصره له مؤلفات عديدة منها: «التوحيد»، و«تأويلات القرآن». توفي عام (٣٣٣هـ).

انظر: الجواهر المضية للقرشي (١٣٠/٢)، تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص ٢٤٩).

(٣) تأويلات أهل السنة (ص ٥).

(٤) هو: الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بـ (الراغب الأصفهاني) له آثار منها: «مفردات غريب القرآن». و«الذريعة إلى مكارم الشريعة». توفي عام (٥٠٢هـ).

انظر: بغية الوعاة للسيوطي (٣٩٧/١).

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [النسوة: ٣٧] وقوله: ﴿وَلَيْسَ إِلَهِهُ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

أما التأويل فإنه يستعمل مرة عاماً ومرة خاصاً نحو: (الكفر) يستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود الباري خاصة، والإيمان المستعمل في التصديق تارة، وفي تصديق الحق تارة، وإما في لفظ مشترك بين معان مختلفة^(١).

وعرفه ابن جزي بقوله: (فإن قيل: ما الفرق بين التفسير والتأويل؟ فالجواب: أن في ذلك ثلاثة أقوال: الأول: أنهما بمعنى واحد.

الثاني: أن التفسير للفظ، والتأويل للمعنى.

الثالث - وهو الصواب -: أن التفسير الذي هو الشرح والتأويل: هو نقل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك، ويخرج على ظاهره^(٢).

وكل هذه التعريفات بعدت بهذا المصطلح عن معناه الأصلي وهو: تفسير الكلام وبيانه.

والثاني أنه يطلق على المعنى المراد من الكلام^(٣).

وهذا هو معناه الحقيقي الذي درج عليه المتقدمون، أما المعاني المشار إليها والفروق، فهي في آثار المتكلمين على هذا المصطلح وإخراجه عن معناه الحقيقي إلى معنى حادث، والله أعلم^(٤).

(١) مقدمة جامع التفاسير (ص ٤٧). (٢) التسهيل (١/ ١٥).

(٣) ينظر: الإكليل في المتشابه والتأويل لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٨/ ٢) (ضمن الرسائل الكبرى له).

(٤) انظر في هذا الموضوع: مفهوم التفسير والتأويل لمساعد الطيار.

البَابُ الْأَوَّلُ

التعريف بابن جزي بإيجاز

وفيه ثلاثة فصول:

- الْفَصْلُ الْأَوَّلُ : عصر ابن جزي بإيجاز.
- الْفَصْلُ الثَّانِي : حياة ابن جزي الشخصية بإيجاز.
- الْفَصْلُ الثَّالِثُ : حياة ابن جزي العلمية بإيجاز.

أَفْصَلُ الْأَوَّلُ

عصر ابن جزي بإيجاز

وفيه ثلاثة مباحث:

- للْبَحْثُ الْأَوَّلُ : الحياة السياسية.
- للْبَحْثُ الثَّانِي : الحياة الاجتماعية.
- للْبَحْثُ الثَّالِثُ : الحياة العلمية.

لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ

الحياة السياسية

كان مولد ابن جزي سنة (٦٩٣هـ) يوافق عهد ثاني ملوك بني الأحمر بغرناطة وهو محمد بن محمد بن يوسف بن الأحمر، الملقب بالفقيه^(١) لاشتغاله بالفقه زمن صباه، وقد عاش مفسرنا رَحِمَهُ اللهُ ثمانياً وأربعين سنة حتى استشهاده في عهد سابع ملوك بني الأحمر بغرناطة أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل الأحمر، وقد عاصر بذلك ستة من ملوك غرناطة، اتسمت دولتهم بأنها كانت أيام جهاد وفتوح واستشهاد، لا سيما في عهد محمد الثاني وابنه محمد الثالث من بني نصر^(٢).

ولكن شهدت المدة من عام (٧٠٩هـ) إلى عام (٧١٣هـ) عداء بين مملكتي غرناطة بالأندلس وبني مرين بالمغرب الأقصى، لم تنتهِ إلا بتولي أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن الأحمر العرش السلطاني، الذي أحيا عهد الجهاد، واستنجد ببني مرين على النصاري أعداء الدين، واستطاع هذا الملك أن يقصم ظهر الجيوش النصرانية بقيادة خمسة وعشرين ملكاً وأميراً كبيراً، وبجيوش ضَمَّتِ الأسبان والفرنسيين والإنجليز، فهزموا شر

(١) انظر أخبار هذا السلطان في: كتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» لعبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار - دار الفكر - بيروت - لبنان - ط ٣ - ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، (١٩١/٧).

(٢) انظر حول سيرة هذين الملكين وأحداث أيامهما: «الإحاطة في أخبار غرناطة» لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب - تحقيق: محمد عبد الله عنان - مكتبة الخانجي للطبع والنشر - القاهرة - مصر - ط ١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، (١/ ٥٤٤ - ٥٦٦).

هزيمة سنة (٧١٩هـ)، فكان السلطان أبو الوليد إسماعيل من أعظم ملوك غرناطة^(١).

وأما آخر الملوك الغرناطيين الذين أدركهم ابن جزي رَحِمَهُمُ اللهُ فهو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل (٧٣٢هـ - ٧٥٥هـ) الذي دخلت غرناطة في عهده عصرًا ذهبيًا، حيث أنشئت المدارس والمصانع، وبنيت الحصون، وجدد البعض الآخر^(٢)، ووقعت في عهده المعركة المعروفة بـ(وقعة طريف) سنة (٧٤١هـ)، وفيها فقد ابن جزي شهيدًا في سبيل الله تبارك وتعالى.



(١) انظر حول أخباره: كتاب «العبر» لابن خلدون (١٧٣/٤)، والإحاطة لابن الخطيب (٣٧٧/١).

(٢) مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، أحمد محمد الطوخي، تقديم: أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٧م، ص ٣٨.

المبحث الثاني

الحياة الاجتماعية

منذ أن نشأت مملكة غرناطة سنة (٦٣٥هـ) على يد ابن الأحمر في أقصى جنوب جزيرة الأندلس وهي تنعم بحالة من الرخاء الاقتصادي بسبب فشو تجارتها وقوة صناعتها وجودة زراعتها، حتى عمت المجتمع الغرناطي حالة من الترف لم يخفف من حدته سوى صيحات الجهاد وأنات الاستشهاد التي كانت تعلو بين الفينة والأخرى، نتيجة للعدوان النصراني المتواصل على ما بقي من أراض في حوزة المسلمين.

ويلاحظ أن الوضع الجغرافي لهذه المملكة الصغيرة بين دول نصرانية كبيرة كقشتالة وأراجون في الشمال والبرتغال في الغرب قد جعلها في حالة توجس واستعداد لأي خطر يتهدها من جيرانها المحيطين بها^(١).

ولقد كان المجتمع الغرناطي مكوناً من العرب والبربر المُدَجَّجِينَ - وهم المسلمون الذين سكنوا لمدّة طويلة في مملكتي قشتالة وأراجون - وهناك بعض الأفارقة السود رافقوا الجيش الإسلامي مع حركات الفتح والعبور المتواصلة من العدو المغربي إلى العدو الأندلسية^(٢).

وكان عدد سكان غرناطة في ازدياد كبير بسبب سيل المهاجرين

(١) صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، أحمد مختار العبادي، طبع نشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٤١.

(٢) مظاهر الحضارة في الأندلس، أحمد محمد الطوخي، ص(٧٠) بتصرف.

إليها من مسلمي بَلَنْسِيَّةَ ومُرْسِيَّةَ وَجَيَّانَ وإشبيلية وقرطبة وغيرها من قواعد الأندلس المحتلة^(١).

وكانت التأثيرات المغربية وحتى النصرانية واضحة في المجتمع الغرناطي، كما أن بعض أهل غرناطة كانوا يتشبهون بالمشاركة في ذلك العهد، ومنهم من كان يتشبه بالروم لكن مع شدة الإنكار عليه^(٢).

ولقد كان مسلمو غرناطة على صلة وثيقة بأحكام الشرع، يحرصون على تطبيقها، يحدوهم حماس بالغ في نصرة الإسلام وظهوره على أعدائه، إذ بَعَثَتِ الحروب المتوالية مع نصارى الأندلس في نفوسهم الحمية جيلاً بعد جيل، وأدركوا أن بقاءهم في تلك البلاد رهن ببقاء الإسلام والتزام أحكامه^(٣).



(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: الإحاطة لابن الخطيب (١٤٠/٢).

(٣) مظاهر الحضارة في الأندلس، أحمد محمد الطوخي، (ص ٩٩).

لِلْبَحْثِ الْفَالِكِ

الحياة العلمية

لقد كانت الأندلس منذ افتتاحها وإلى خروج المسلمين منها اضطراباً بعد ثمانية قرون مركزاً للعلم والحضارة باعتراف العدو قبل الصديق، ولقد كان العالم عند أهل غرناطة معظماً من الخاصة والعامة، يشار إليه ويحال عليه وينبه على قدره وذكره بين الناس ويكرم في جوار أو ابتياح حاجة^(١)، ولقد كان طلبة العلم يتلقون العلوم في المساجد في حلقات أو في منازل المشايخ نظير دفع أجر مقابل ذلك^(٢).

وقد جعل أهل غرناطة القرآن الكريم أساساً في التعلم، وأخذوا يدرسون بجانبه الشعر والترسل، وقوانين العربية وتجويد الخط، وصار حُسن الخط من المميزات التي يجب أن تتوافر في طلاب العلم والعلماء^(٣).

ولقد تبارى الغرناطيون في عهد بني نصر في امتلاك المكتبات الخاصة^(٤)، وكانت الرحلة إلى المشرق هي غاية الأمل لكل طالب علم في غرناطة، مما جعل التفوق بين الغرناطيين على المغاربة بسبب رحلة

(١) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، لشهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، (١/٢٠٥).

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) مظاهر الحضارة في الأندلس، أحمد محمد الطوخي، (ص ٣١٩).

(٤) انظر: الإحاطة لابن الخطيب (٢/٢٧٩).

علمائهم إلى تلقيه من أربابه في المشرق^(١).

وإلى جانب الرحلة في طلب العلم ازدهرت مسألة تبادل الكتب والمؤلفات بين المشاركة والمغاربة وعلماء غرناطة، بل وحتى تبادل الأسئلة الشرعية وأجوبتها، كما يتضح ذلك على سبيل المثال في مراسلة الشيخ محمد المَوَاقِ الغرناطي (المتوفى سنة ٨٩٧هـ) للشيخ محمد الرِّصَّاعِ التِّلْمَسَانِيَّ ثم التونسي (المتوفى سنة ٨٩٤هـ) يسأله عن جملة من الأمور الفقهية^(٢).



(١) انظر: كتاب «العبر» لابن خلدون (١/٥٤١)، ومظاهر الحضارة في الأندلس، لأحمد محمد الطوخي، (ص ٣٢٣).

(٢) انظر: كتاب «الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية» لمحمد المواق ومحمد الرصاع، تحقيق: محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ط)، ٢٠٠٧م، (ص ٥٨)، وما بعدها.

الْفَصْلُ الثَّانِي

حياة ابن جزي الشخصية بإيجاز

وفيه ثلاثة مباحث:

□ لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ : اسمه ونسبه ونسبته.

□ لِلْبَحْثِ الثَّانِي : مولده ونشأته.

□ لِلْبَحْثِ الثَّلَاثِ : معتقده ومذهبه.

لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ

اسمه ونسبه ونسبته

أ - اسمه:

هو: محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي المالكي، أبو القاسم الغرناطي^(١)، كان يعرف بـ(محمد بن جزي)^(٢)، وأما بيت ابن جزي فقد كان بيتاً كبيراً مشهوراً بالمغرب والأندلس^(٣).

ب - نسبته:

وقد كان ابن جزي يعرف بـ(محمد الكلبي) نسبة إلى قبيلته العربية اليمانية (بني كلاب) حيث استوطن الكلييون غرناطة وأثروا في المجتمع الغرناطي منذ أن بدأت غرناطة تزاحم باقي المدن الأندلسية^(٤). ويرجع أصل نسب ابن جزي إلى (وَلَمَة)^(٥) إحدى الحصون الواقعة

(١) «طبقات المفسرين» لشمس الدين محمد بن علي الداودي (ت ٩٤٥هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت)، (٨٥/٢).

(٢) قال مرتضى الزبيدي في تاج العروس، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ، (١٩/٢٨٥): جُزْيٌ بِالْكَسْرِ، وَكُسْمِيٌّ وَعَلِيٌّ: أَسْمَاءٌ؛ فَمِنْ الْأَوَّلِ: خَزِيمَةُ بْنُ جُزْيٍ، (صحابي)، ومن الثاني: ابن جُزْيٍ الْبَلَنْسِيُّ الذي اختصر رحلة ابن بطوطة.

(٣) نفع الطيب للمقري (١٤٢/١٠).

(٤) «ابن جزي ومنهجه في التفسير» (دراسة مسهبة عن الإمام المفسر الأندلسي الشهيد ابن جزي، وتوضيح مفصل لمنهجه في تفسيره «التسهيل لعلوم التنزيل»)، علي محمد الزبيري، دار القلم، دمشق، سوريا، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، (١/١٤٨).

(٥) انظر تعريفها في: «معجم البلدان»، لياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: زيد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت)، (٥/٤٤١).

في منطقة البشرات الجبلية، حيث نزل بها أولهم عند الفتح، وكانت
لجَدِّهِم بِجَيَّان رئاسةً وانفراداً وتدير^(١).

ج - كنيته:

كان يكنى بـ(أبي القاسم) ويشاركه فيه جده محمد بن عبد الله بن
يحيى.

د - شهرته:

اشتهر بـ(ابن جُزَيٍّ) بالتصغير، وهي تسمية معروفة عند العرب.



(١) الإحاطة لابن الخطيب (٢٠/٣).

لِلْبَحْثِ الثَّانِي

مولده ونشأته وفضله

ولد ابن جزى في ربيع الثاني من سنة (٦٩٣هـ - ١٢٩٤م) بغرناطة حاضرة مملكة الأندلس^(١)، وكانت هذه المدة تعد من أزهى عصور مملكة غرناطة، حيث أحيأ فيها الجهاد، ونصبت سوق الاستشهاد في عهد السلطان أبي الوليد إسماعيل، ثم ابنه أبي عبد الله محمد، ثم أخيه أبي الحجاج يوسف.

نشأ ابن جزى وتربى في حجر والده ورضع من معينه أول رضعات العلم والسماع^(٢)، فقد كان بيته بيت حسب نبيل وفقه وعلم مشهود في الأندلس، الأمر الذي كان له أثره الواضح في تكوين شخصيته العلمية.

يقول ابن حجر العسقلاني في ترجمة والده: (كان من أهل الأصالة والذكاء، وإليه النظر في أمر الغنائم ببلده، وكان محموداً وله طلب وسماع)^(٣).

فاجتهد ابن جزى في الأخذ عن علماء بلدة «غرناطة» التي كانت

(١) «نفع الطيب» للمقري، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت)، (٢٨٥/٨)، وانظر حول حياته واستشهاده: الإحاطة لابن الخطيب (٢٣/٣).

(٢) «ابن جزى ومنهجه في التفسير» (دراسة مسهبة عن الإمام المفسر الأندلسي الشهيد ابن جزى، وتوضيح مفصل لمنهجه في تفسيره «التسهيل لعلوم التنزيل»)، علي محمد الزبيري، (١٨٥/١).

(٣) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٣٢٦/١).

في تلك المدة عامرة بالعلم والعلماء في شتى أنواع الفنون والمعارف، حتى برع في جميع العلوم، وألف في ذلك المؤلفات القيمة المختلفة، فأصبح من علماء الأندلس البارزين الذين يقصدهم الطلاب من كل مكان^(١).



(١) الإحاطة لابن الخطيب (٢٣/٣).

لِلْبَحْثِ الثَّالِثِ

معتقده ومذهبه

أ - معتقده :

إن سلامة المعتقد هي من أولى المهمات التي يسعى إليها كل مسلم، وهو مطالب بها، كيف لا والله تعالى قد قضى وحكم أنه لا يقبل عملاً إلا به. فالتمسك بعقيدة التوحيد والدفاع عنها هي سبيل النجاة لكل إنسان.

وكان هذا النهج واضحاً في منهج ابن جزي، فقد نهج منهج السلف الصالح في تقرير الأمور العقيدية، والرد على من خالف عقيدة التوحيد من أهل الكتاب أو من الفرق المخالفة كالمرجئة والخوارج والمعتزلة وأهل الكلام والفلسفة.

- ومن أمثلة رده على اليهود والنصارى ومشركي العرب عند تفسير قوله تعالى في سورة الصمد: ﴿لَمْ يَكِلْهُ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

قال ابن جزي: (هذا رد على كل من جعل لله ولدًا، فمنهم النصارى في قولهم: (عيسى ابن الله) واليهود في قولهم: ﴿عَزَّزْتُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] والعرب في قولهم: (الملائكة بنات الله)...)^(١).

- ومن أمثلة رده على الفرق المخالفة عند تفسير قوله تعالى في سورة الليل: ﴿لَا يَصْلَهُنَّ إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [١٥].

(١) التسهيل (٤/٤٣٦).

قال ابن جزي: (استدل المرجئة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلا الكفار لقوله: ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل: ١٦] وتأولها الناس بثلاثة أوجه:

أحدها: أن المعنى لا يصلها صلي خلود.

والآخر: أنه أراد نارًا مخصوصة.

الثالث: أنه أراد بالأشقى كافرًا معينًا وهو أبو جهل وأمية بن خلف، وقابل به الأنقى وهو أبو بكر الصديق، فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص لا مخرج الإخبار على العموم^(١).

وعند تفسير قوله تعالى في سورة الزلزلة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧]؛ قال ابن جزي: (...). وهذه الآية هي في المؤمنين لأن الكافر لا يجازى في الآخرة على حسناته إذ لم تقبل منه، واستدل أهل السنة بهذه الآية أنه لا يخلد مؤمن في النار لأنه إذا خلد لم ير ثوابًا على إيمانه وعلى ما عمل من الحسنات^(٢).

وفي مقدمة كتابه «التسهيل» تكلم عن الزمخشري وضم مذهبه «مذهب المعتزلة» حيث قال: (ومما بأيدينا من تأليف أهل المشرق تفسير أبي القاسم الزمخشري، فمُسَدَّدُ النظر، بارع في الإعراب، متقن في علم البيان، إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشهرهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدر صفوه، وتمرر حلوه)^(٣).

ولأخذ فكرة واضحة عن عقيدة ابن جزي واتجاهه العقائدي نجد

(١) التسهيل (٤/٣٨٧).

(٢) التسهيل (٤/٤٠٨).

(٣) التسهيل (١/٢٩).

ذلك واضحاً من خلال كتابه «التسهيل لعلوم التنزيل» وكتابه «قوانين الأحكام الشرعية»^(١).

ولقد نهج ابن جزي منهج السلف الصالح في تقرير الأمور العقدية، ويتضح ذلك في موقفه من المسائل الآتية:

١ - الرؤية^(٢).

٢ - خلق الأفعال^(٣).

٣ - ثبوت الشفاعة^(٤).

٤ - خلق الجنة والنار^(٥).

وأما مذهبه في الأسماء والصفات فهو بالجملة ينحو منحى أهل السنة والجماعة من إمرار الصفات كما وردت من غير تكيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، ولا تعطيل، حيث قال في كتابه «قوانين الأحكام الشرعية» ما يدل على ذلك:

(تنبيه: ورد في القرآن والحديث ألفاظ يوهم ظاهرها التشبيه كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] و﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وكحديث نزول الله كل ليلة إلى السماء وغير ذلك وهي كثيرة تفرق الناس فيها ثلاث فرق:

-
- (١) انظر: قوانين الأحكام الشرعية لابن جزي من ص ١٧ إلى ص ٣١.
 (٢) انظر: تفسير قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ﴾ [٢٢]، التسهيل (٣٠٧/٤).
 (٣) انظر: تفسير قوله تعالى في سورة الصفات: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٦٩]، التسهيل (٣٢٠/٣).
 (٤) انظر: تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أَتَقِفُوا مِمَّا رَزَقْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ﴾ [٢٥٤]، التسهيل (٢١٤/١).
 (٥) انظر: تفسير قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُوتِيَهَا النَّاسُ وَالْجَارُ﴾ [البقرة: ٢٤]، التسهيل (١١١/١).

الفرقة الأولى: السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، آمنوا بها ولم يبحثوا عن معانيها ولا تأولوها، بل أنكروا على من تكلم فيها ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] فهذه طريقة التسليم التي تعود إلى السلامة، وبها أخذ مالك والشافعي وأكثر المحدثين...^(١).

ومن أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَجَاءَ رُؤُكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [٢٢].

قال ابن جزى: (وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التي يجب الإيمان بها من غير تكيف ولا تمثيل)^(٢).

ومع ذلك كانت هناك بعض المآخذ على ابن جزى من تأويله لبعض الصفات والتي نسأل الله أن يتجاوز عنه مقابل ما قدم للأمة من علم وجهاد. ومن ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

قال ابن جزى: (عبارة عن إنعامه وجوده، وإنما ثنيت اليدين هنا وأفردت في قول اليهود: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] ليكون ردًا عليهم ومبالغة في وصفه تعالى بالجود كقول العرب: فلان يعطي بكلتا يديه، إذا كان عظيم السخاء)^(٣).

وغير ذلك من الأمثلة التي سلك فيها ابن جزى مسلك التأويل وهي قليلة^(٤) لا تمثل رأيه ومنهجه الحقيقي الذي ذكره وسلكه في ثانيا مؤلفاته.

(١) قوانين الأحكام الشرعية (ص ١٢).

(٢) التسهيل (٤/٣٧٦).

(٣) التسهيل (١/٣٩٣).

(٤) انظر مثلاً: عند تفسيره لآية ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، التسهيل (٤/٩٧)، وآية ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ١]، التسهيل (١/٨٣)، وآية ﴿وَبَيْنَ يَدَيْهِ رُؤُوسُ الدُّجَانِ وَالْأَكْرَادِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، التسهيل (٤/١٦١).

ب - مذهبه الفقهي:

يُعَدُّ ابن جزري من أعيان الفقه المالكي ومن مُنْظِرِي هذا المذهب ومرجعاً من مراجعه، حيث اعتنى بتقرير مذهب الإمام مالك والاستدلال له وبذكر الخلاف الموجود فيه، وكتابه «قوانين الأحكام الشرعية» خير شاهد على ذلك، حيث إن مادته هي الفقه المقارن، وهو كتاب مشهور عند علماء المالكية، حيث قال في مقدمة الكتاب: (فهذا كتاب في الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية على مذهب إمام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي^(١)، إذ هو الذي اختاره أهل بلدنا بالأندلس وسائر المغرب)^(٢).

وقال في موضع آخر: (وإذا قلنا المذهب فنعني: مذهب مالك)^(٣).

ومن أمثلة ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ [البقرة: ٢٣٥] إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا عُقَدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

قال ابن جزري:

(وقال مالك فيمن يخطب في العدة ثم يتزوج بعدها: فِرَاقُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ، ثم يكون خاطباً من الخطاب)^(٤).

(١) هو: مالك بن أنس الأصبحي أبو عبد الله، شيخ الإسلام، إمام دار الهجرة، صاحب المذهب المشهور (٩٣ - ١٧٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء: (٣/٣١٤٥)، وطبقات المفسرين للداودي: (٤٩٦)، وطبقات المفسرين للأذهوي: (ص٢٣).

(٢) قوانين الأحكام الشرعية (ص٢). (٣) قوانين الأحكام الشرعية (ص٣).

(٤) التسهيل (١/٢٠٦).

وعند مقارنة الأقوال بين المذاهب الفقهية الأخرى نجد أن ابن جزى يتطرق إلى مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم، ومن ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩].

قال ابن جزى: (وهذا موضع سجدة عند الشافعي وليست عند مالك من عزائم السجود)^(١).

ومع هذا فلم يكن ابن جزى متعصباً لمذهب الإمام مالك، إذ قال بعد ذكره المذاهب الفقهية والأئمة المجتهدين: (فإن كل واحد منهم مجتهد في دين الله، ومذاهبهم طرق موصلة إلى الله)^(٢).

ومما يدل على ذلك أنه عند تفسير قوله تعالى في سورة البينة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [٥].

قال ابن جزى: (استدل المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء وهو بعيد...) (٣).



(١) التسهيل (٤/٤٠٠).

(٢) قوانين الأحكام الشرعية (ص ٣).

(٣) التسهيل (٤/٤٠٥).

أَلْفَصْلُ الثَّالِثُ

حياة ابن جزي العلمية بإيجاز

وفيه أربعة مباحث:

- للمَبْحَثِ الْأَوَّلُ : نشأته ومكانته العلمية.
- للمَبْحَثِ الثَّانِي : شيوخه وتلاميذه ورحلاته.
- للمَبْحَثِ الثَّالِثِ : آثاره ومصنفاته.
- للمَبْحَثِ الرَّابِعِ : وفاته.

لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ

نشأته ومكانته العلمية

نشأ ابن جزي نشأة علمية كان لها أثرها في مستقبل حياته العلمية والعملية.

فلما اشتد عوده تفرغ ﷺ لتعليم كتاب الله وتجويده والقراءات لطلبة العلم، كما كان الطلبة يسمعون منه الحديث خاصة أمهات الكتب المشهورة كالصحيحين والسنن والموطأ^(١).

وكان المفسر الجليل أبو القاسم ابن جزي عالماً فذاً، مشاركاً في فنون العربية والأصول والقراءات والحديث والأدب، مستوعباً لأقوال المفسرين، كما كان قائماً على التدريس والخطابة بالمسجد الأعظم بغرناطة على حداثة سنه^(٢).

ولقد كان ﷺ على طريقة مثلى في العكوف على العلم والاقتصاد والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين^(٣).

ولقد جمع ﷺ من الوظائف بين التدريس والتأليف والإمامة والخطابة بالمسجد الأعظم والإفتاء، وأما القضاء فقد اعتذر عن توليه تورعاً واحتياطاً، وكان مع كل ذلك ذا شعر جيد، نظم في الزهد والمديح النبوي والفخر وغيرها^(٤).

(١) ابن جزي ومنهجه في التفسير (١/١٩٦).

(٢) طبقات المفسرين (٢/٨٥) بتصرف. (٣) الإحاطة (٣/٢٠ - ٢١) بتصرف.

(٤) الإحاطة (٣/٢٣).

ومن نماذج شعره في مدح النبي ﷺ قوله:

أَرْوَمُ امْتِدَاحَ الْمُصْطَفَى وَيَرْدُنِي قُصُورِي عَنِ ادْرَاكِ لِكُلِّ الْمَنَاقِبِ
وَمَنْ لِي بِحَصْرِ الْبَحْرِ وَالْبَحْرِ زَاخِرٌ وَمَنْ لِي بِإِحْصَاءِ الْحَصَى وَالْكَوَائِبِ^(١)

ولقد تميز أسلوب ابن جزيّ البيانيّ بمسحة الأدب والوضوح، إذ كان المؤلف نابغة في اللغة والبلاغة والأدب، وتجلت في تفسيره قوة التعبير وجمال التصوير وروعة العرض للمعاني، مما يجعل القارئ لا يمل وإن طال وامتد به الوقت^(٢).



(١) الإحاطة (٢٣/٣).

(٢) من مقدمة المحقق لكتاب «التسهيل» لابن جزي، محمد اليونيسي وإبراهيم عوض، نشر أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، (د. ط)، (د. ت)، ص (ب).

لِلْبَحْثِ الثَّانِي

شيوخه وتلاميذه

أ - شيوخه:

أخذ أبو القاسم بن جزي رحمته الله العلم عن مشايخ كانوا رجالاً مؤثرين في الحياة الأندلسية والمغربية، وكانوا علماء عاملين حتى الذين وُسِّمُوا بالولاية والتصوف^(١).

ولقد أخذ العربية والفقه والحديث والقراءات على الشيخ الأستاذ أبي جعفر بن الزبير (المتوفى سنة ٧٠٨هـ)^(٢)، ولازم الخطيب أبا عبد الله بن برطال والأستاذ أبا القاسم قاسم بن عبد الله النشاط (المتوفى سنة ٧٢٣هـ)^(٣)، ولازم كذلك الخطيب أبا عبد الله بن رشيد (المتوفى سنة ٧٢١هـ)^(٤).

وروى الحديث عن أبي الحسن بن مستقور وعن الشيخ الوزير أبي أحمد بن المؤذن، وقرأ القرآن على المقرئ أبي عبد الله بن الكماد (المتوفى سنة ٧١٢هـ)^(٥).

(١) ابن جزي ومنهجه في التفسير، علي الزبيري، (١/١٧١)، وانظر حول بعض هؤلاء الشيوخ: الإحاطة لابن الخطيب (٣/٢١)، وطبقات المفسرين للداودي (٢/٨٥).

(٢) انظر في ترجمته: الإحاطة لابن الخطيب (١/١٨٨).

(٣) انظر في ترجمته: الإحاطة لابن الخطيب (٤/٢٥٩).

(٤) الإحاطة لابن الخطيب (٣/١٣٥).

(٥) الإحاطة لابن الخطيب (٣/٦٠).

ب - تلاميذه :

لقد كانت جلالة المكانة العلمية لابن جزى وغزارة علمه سبباً في اتساع عدد تلاميذه حيث تخرج عليه الكثير من العلماء والأدباء والقضاة والكتاب، ومن هؤلاء :

١ - الأديب المؤرخ الكاتب أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بلسان الدين بن الخطيب الغرناطي (المتوفى سنة ٧٧٦هـ) صاحب كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة»^(١).

٢ - القاضي الفقيه عبد الحق بن محمد بن عطية (المتوفى سنة ٧٧٠هـ)^(٢).

٣ - المقرئ أبو القاسم محمد بن محمد بن الخشاب (المتوفى سنة ٧٧٤هـ)^(٣).

٤ - القاضي الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الله النباهي (المتوفى سنة ٧٩٢هـ)^(٤).

٥ - الفقيه المقرئ أبو محمد عبد المهيم بن محمد الحضرمي (المتوفى سنة ٧٤٩هـ)^(٥).

٦ - أبو عبد الله محمد بن القاسم الأنصاري، المعروف بـ«الشُدَيْد» (المتوفى سنة ٧٧٦هـ)^(٦).

(١) انظر: نفع الطيب (٧٥/٥)، والدرر الكامنة (٢١٣/٥)، والأعلام (٢٣٥/٦).

(٢) انظر: الإحاطة (٥٥٥/٣)، والكتيبة الثامنة (٢٦٩).

(٣) انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٢٥٧/٢)، والدرر الكامنة (٥١٤/٥)، والأعلام (٤٠/٧).

(٤) انظر: أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن (١٧٠)، ونيل الابتهاج (٣٢٩).

(٥) انظر: نفع الطيب (٣٨٤/٧)، والإحاطة (١١/٤).

(٦) انظر: الإحاطة (١٩٦/٣)، وابن جزى ومنهجه في التفسير للزبيري (٢١١/١).

لِلتَّحْقُثِ الثَّلَاثِ

مؤلفاته وآثاره

ألف ابن جزى رَحِمَهُ اللهُ الكثير في فنون شتى، منها ما هو مخطوط قد طبع، ومنها ما هو مفقود، ومن بين هذه الكتب نذكر:

١ - «التسهيل لعلوم التنزيل»:

وهو كتاب في التفسير، أشار إليه ابن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة»^(١)، والكتاني في «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات»^(٢)، وذكره إسماعيل باشا في «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون»^(٣)، والزركلي في «الأعلام»^(٤)، وغيرهم^(٥)، وسيأتي الحديث عنه مفصلاً في الباب الثاني بإذن الله.

(١) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٢٢/٣).

(٢) انظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات للكتاني (٣٠٦/١).

(٣) انظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٢٨٨/١).

(٤) انظر: الأعلام (٣٢٥/٥).

(٥) الكتاب طبع مراراً، فطبعته المكتبة التجارية الكبرى في مصر سنة (١٣٥٥هـ)، ثم طبعته دار الكتاب العربي في بيروت بلبنان عام (١٣٩٣هـ)، ثم دار الكتب الحديثة بتحقيق: محمد اليونسى، وإبراهيم عوض، ثم طبعته دار الكتب العلمية في بيروت بلبنان عام (١٤١٥هـ)، بضبط وتصحيح: محمد سالم هاشم، ثم طبعته دار الأرقم بن أبي الأرقم في بيروت بلبنان عام (١٤١٦هـ) باعتناء: د. عبد الله الخالدي، ثم طبعته مؤخراً المكتبة العصرية في بيروت بلبنان عام (١٤٢٣هـ)، بتحقيق: رضا فرج الهمامي، وكلها طبعات سقيمة، مليئة بالسقط والأخطاء والتصحيح.

٢ - «المختصر البارع في قراءة نافع»:

وهو كتاب في قراءة نافع كما هو واضح من العنوان، ذكره ابن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة»^(١)، وابن فرحون في «الديباج المذهب»، في معرفة أعيان علماء المذهب^(٢)، وغيرهما^(٣).

٣ - «أصول القراء الستة غير نافع»:

وهو كتاب في القراءات، ذكره ابن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة»^(٤)، وابن فرحون في «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب»^(٥)، والمقري في «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»^(٦)، وغيرهم.

٤ - «الأنوار السنية في الكلمات السنية»:

وهو كتاب مختصر في الأحاديث النبوية، ألفه لابنه محمد المكنى بأبي بكر، رغبة منه في أن يفوز بحظ من حفظ حديث رسول الله ﷺ.

اشتمل الكتاب على موضوعات مختلفة في الإيمان والإسلام، وأحاديث الأحكام، والحلال والحرام، والرقائق والآداب، ورتبه على الكتب العلمية في الأبواب الشرعية، وحذف فيه أسانيده، مقتصرًا على الصحيح المعروف. والكتاب ذكره ابن الخطيب في «الإحاطة في

(١) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٢٢/٣).

(٢) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢٩٥).

(٣) الكتاب مخطوط، وتوجد منه نسخة خطية في المكتبة الوطنية بتونس، تحت رقم (١/١٨٤)، انظر: الفهرس الشامل للتراث الإسلامي المخطوط (مخطوطات القراءات) (١٨٢).

(٤) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٢٢/٣).

(٥) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢٩٥).

(٦) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥١٥/٥).

أخبار غرناطة^(١)، والداودي في «طبقات المفسرين»^(٢)، والمقري في «أزهار الرياض»^(٣)، والكتاني في «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات»^(٤)، والزركلي في «الأعلام»^(٥)، وغيرهم.

وقد قام بشرحه الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الملك القيسي في كتاب سماه «مناهج الأخبار في تفسير أحاديث كتاب الأنوار»، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي القلصادي^(٦).

٥ - «تقريب الوصول إلى علم الأصول»:

وهو كتاب مختصر في علم أصول الفقه، صنّفه لابنه محمد؛ رغبة منه في أن يضرب في هذا العلم بسهم، وينشط لفهمه ودرسه^(٧).

أكثر فيه من النقل عن فخر الدين بن الخطيب، وشهاب الدين القَرَافي، وقسمه إلى خمسة فنون، وجعل في كل فن عشرة أبواب، فاحتوى الكتاب على خمسين بابًا.

ذكره ابن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة»^(٨)، وابن فرحون في «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب»^(٩)، والمقري في

(١) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٢٢/٣).

(٢) انظر: طبقات المفسرين (٨٦/٢). (٣) انظر: أزهار الرياض (١٨٥/٣).

(٤) باسم: الأنوار السنية في الألفاظ السنية من الأحاديث النبوية، انظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات للكتاني (٣٠٦/١).

(٥) انظر: الأعلام (٣٢٥/٥).

(٦) انظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات للكتاني (٣٠٦/١)، والكتاب مطبوع في القاهرة، بمطبعة السعادة، سنة (١٣٤٧هـ).

(٧) انظر: تقريب الوصول إلى علم الأصول (ص ٨٨).

(٨) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٢٢/٣).

(٩) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢٩٥).

«نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»^(١)، وغيرهم^(٢).

٦ - «قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية»:

وهو كتاب سهل العبارة، لطيف الإشارة، غزير المادة، مختصر الألفاظ، كثير الفائدة، لخص فيه مذهب المالكية مع التنبيه على بقية المذاهب الأخرى، وضَمَّن مقدمته شيئاً من عقيدته، معللاً ذلك بتقديم الأهم على المهم^(٣).

ذكره ابن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة»^(٤)، وابن فرحون في «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب»^(٥)، والمقري في «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»^(٦)، وغيرهم^(٧).

٧ - «وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم».

٨ - «الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار».

٩ - «التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية».

١٠ - «النور المبين في قواعد عقائد الدين».

١١ - «الفوائد العامة في لحن العامة».

(١) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥١٥/٥).

(٢) الكتاب مطبوع بتحقيق: د. محمد علي فركوس، طبعته دار الأقصى للنشر والتوزيع، عام (١٤١٠هـ)، وطبعة أخرى بتحقيق: د. محمد المختار الشنقيطي عام (١٤٢٣هـ).

(٣) انظر: قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية (ص ٢٠) وما بعدها.

(٤) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٢٢/٣).

(٥) انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (ص ٢٩٥).

(٦) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥١٥/٥).

(٧) الكتاب مطبوع في تونس سنة (١٣٤٤هـ)، نشره عبد الرحمن اللزّام، ومحمد الأمين الكتبي، وطبعته عالم الفكر بالقاهرة، بتحقيق: الشيخ عبد الرحمن حسن محمود، سنة (١٤٠٥ - ١٤٠٦هـ)، وهناك طبعة ثالثة لدار الرشاد الحديثة في الدار البيضاء بالمغرب، بتحقيق: عبد الكريم الفضيلي، سنة (١٤٢٧هـ).

١٢ - «فهرسة كبيرة»؛ اشتملت على كثير من تراجم أهل المشرق والمغرب^(١).

وفي تنوع هذه المصنفات وكثرتها دلالة واضحة على غزارة علم ابن جُزَيِّ الكلبي، وتمكُّنه من أدواته، رحمه الله رحمة واسعة.



(١) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة (٢٢/٣).

لِلْبَحْثِ الرَّابِعِ

وفاته

بعد ثمان وأربعين سنة من العطاء العلمي الكبير الذي بُثَّ في صدور الرجال وبطون الكتب انقطع ذلك المعين النابض في ضحى يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى سنة (٧٤١هـ - ١٣٤٠م)، حيث قتل أبو القاسم ابن جزي شهيداً - نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً - في معركة «طريف»^(١)، وهو يشحذ الناس ويحرضهم على القتال^(٢)، حيث فقد جثمانه رَحِمَهُ اللهُ مع ما وقع من اضطراب عظيم في صفوف جيش المسلمين ومتطوعتهم.

وكان ابن جزي يستشعر دُئُوَّ أجله، ويطمع عند خروجه إلى القتال في نيل الشهادة، وقد أنشد رَحِمَهُ اللهُ في ذلك اليوم:

قَصْدِي الْمُؤَمَّلُ فِي جَهْرِي وَإِسْرَارِي وَمَطْلَبِي مِنْ إِلَهِي الْوَاحِدِ الْبَارِي
شَهَادَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَالِصَةٌ تَمْحُو دُنُوبِي وَتُنَجِّنِي مِنَ النَّارِ
إِنَّ الْمَعَاصِيَ رِجْزٌ لَا يُطَهِّرُهَا إِلَّا الصَّوَارِمُ فِي أَيْمَانٍ كُفَّارٍ^(٣)

(١) هي المعركة العظيمة التي دارت بين الجيوش الإسلامية بقيادة السلطان المغربي أبي الحسن المريني والسلطان الغرناطي أبي الحجاج يوسف من جهة، والجيوش النصرانية الإسبانية بقيادة ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر من جهة ثانية، وكانت هزيمة مزللة، رزى بها المسلمون في الأندلس سنة (٧٤١هـ / ١٣٤٠م)، انظر تفاصيلها في: كتاب «العبر» لابن خلدون (٣٤٦/٧)، وهامش كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة» لابن الخطيب (١٨٠/٢).

(٢) انظر: الإحاطة لابن الخطيب (٢٣/٣).

(٣) ذكر هذه الأبيات التنبكي في «نيل الابتهاج» (٣٩٨ - ٣٩٩).

ولقد خَلَّف ابن جزي وراءه في هذه الدنيا ثلاثة من الأولاد النجباء ممن تولى القضاء والكتابة، وهم:

١ - القاضي أبو بكر أحمد بن محمد بن جزي (المتوفى سنة ٧٨٥هـ)^(١).

٢ - الكاتب أبو عبد الله محمد بن محمد بن جزي (المتوفى سنة ٧٥٧هـ)^(٢).

٣ - القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن جزي^(٣).



(١) انظر ترجمته في: «الدرر الكامنة» لابن حجر (٢٥٣/١)، والإحاطة لابن الخطيب (١٥٧/١)، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة (٧٢/٢).

(٢) الذي دوّن رحلة ابن بطوطة الفاسي، انظر ترجمته في: «الدرر الكامنة» لابن حجر (١٦٥/٤)، والإحاطة لابن الخطيب (٢٥٦/٢)، والأعلام للزركلي (٣٧/٧).

(٣) انظر ترجمته في: «الإحاطة» لابن الخطيب (٣٩٢/٣)، ونفع الطيب للمقري (٥٤/٨).

البَابُ الثَّانِي

التعريف بكتاب التسهيل ومنهج ابن جزي

وفيه فصلان:

- الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: التعريف بكتاب «التسهيل لعلوم التنزيل».
- الْفَصْلُ الثَّانِي: منهج ابن جزي في كتابه.

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

التعريف بكتاب «التسهيل لعلوم التنزيل»

وفيه مبحثان:

□ لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ: القيمة العلمية للكتاب.

□ لِلْبَحْثِ الثَّانِي: نسخ الكتاب وطبعاته.

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ

القيمة العلمية للكتاب

تظهر المكانة العلمية لأي كتاب من خلال مكانة ومنزلة مؤلفه، فابن جزي من علماء التفسير في القرن الثامن الهجري، فهو لم يكن في كتابه: «التسهيل لعلوم التنزيل» مجرد ناقل للآراء، أو ملخصاً لمن سبقه من المفسرين، بل نجده بجانب ذلك مفسراً له آراؤه الخاصة واجتهاداته الواضحة، معتدّاً بها وواثقاً منها، ويظهر هذا جلياً من خلال ترجيحاته في تفسيره.

وإذا كان الأمر كذلك فلا ريب أن لكتاب «التسهيل في علوم التنزيل» قيمة علمية كبيرة.

وتظهر هذه القيمة العلمية من خلال الدافع والمقصد الذي جعل ابن جزي يؤلف هذا الكتاب.

وقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه «التسهيل» فقال:

(... وصنّفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت مسلكاً نافعا، إذ جعلته وجيزاً جامعاً، قصدت به أربعة مقاصد، تتضمن أربع فوائد:

الفائدة الأولى:

جمع كثير من العلم، في كتاب صغير الحجم، تسهيلاً على الطالبين، وتقريباً على الراغبين.

فقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من

العلم، ولكن بعد تلخيصها، وتنقيح فصولها، وحذف حشوها وفصولها، ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن اللُّبَابَ دُونَ القِشْرِ المرغوبِ عنه من غير إفراط ولا تفريط، ثم إني عزمت على إيجاز العبارة وإفراط الاختصار، وترك التطويل والتكرار.

الفائدة الثانية:

ذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة، قلما توجد في كتاب؛ لأنها من بنات صدري، وينايع فكري، أو مما أخذته عن شيوخِي رحمهم الله، أو مما التقطته من مستطرفات النوادر الواقعة في غرائب الدفاتر.

الفائدة الثالثة:

إيضاح المشكلات، إما بحلِّ العُقَدِ الْمُقْفَلَاتِ، وإما بحسن العبارة ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة:

تحقيق أقوال المفسرين، السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح، وذلك أن أقوال الناس على مراتب؛ فمنها:

الصحيح الذي يعول عليه، ومنها: الباطل الذي لا يلتفت إليه، ومنها: ما يحتمل الصحة والفساد.

ثم إن هذا الاحتمال قد يكون متساوياً أو متفاوتاً، والتفاوت قد يكون قليلاً أو كثيراً...^(١).

وإن الناظر في مقدمته لتفسيره «التسهيل» يرى أنه ابتداء بمقدمتين علميتين تفرد بهما عن بقية كتب التفسير وخاصة المقدمة الثانية.

(١) التسهيل (٦/١).

المقدمة الأولى:

في أصول التفسير وقواعده وما يتعلق به من علوم القرآن الكريم في اثني عشر باباً^(١).

المقدمة الثانية:

وهي مقدمة لغوية خاصة بالألفاظ التي يكثر دورانها في القرآن الكريم، وهي بمنزلة معجم مصغر لألفاظ القرآن الكريم^(٢). وهاتان المقدمتان العلميتان أبرزتا القيمة العلمية للكتاب.

ومما يضاف إليه أيضاً:

١ - الاهتمام بالتفسير بالمأثور، حيث احتوى تفسيره على كم كبير من الآيات المفسرة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وعلى معظم تفاسير السلف في عبارة وجيزة وأسلوب مُيسَّر.

٢ - تتبع أقوال المفسرين واستقصاؤها قدر الإمكان، ومحاولة تلخيصها بعد ذلك، ومن الأمثلة على ذلك:

أ - عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

ذكر ابن جزى ستة عشر قولاً في تعيين ليلة القدر^(٣).

ب - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفرق: ٣].

أورد ابن جزى ثمانية أقوال في المراد بـ(الغاسق إذا وقب)^(٤).

٣ - تسخير العلوم الأخرى لخدمة أغراض التفسير، كعلم القراءات، وعلم الحديث، وعلم الفقه، وعلم الأصول، وعلم النحو والتصريف، وعلم غريب اللغة، وعلم البلاغة وغيرها.

(٢) انظر: التسهيل (١/٨ - ٤٥).

(١) انظر: التسهيل (١/٨ - ٤٤).

(٤) التسهيل (٤/٤٣٩).

(٣) التسهيل (٤/٤٠١).

مما يشري محصول القارئ أو الباحث لهذا الكتاب من العلوم الأخرى التي تعين على تفسير القرآن الكريم.

٤ - إبراز الجانب الوعظي في تفسيره من خلال التركيز على النفس البشرية، وضرورة تخلصها من الآفات، وتحقيقها بجميل الصناعات.

ومن الأمثلة على ذلك:

أ - عند قوله تعالى من سورة النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

يقول ابن جزي: (إذا تحقق العبد بهذه الآية وأمثالها استفاد مقام المراقبة وهو مقام شريف، أصله علم وحال، ثم يثمر حالين...) (١).

ب - وعند قوله تعالى من سورة النور: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

يقول ابن جزي: (التوبة واجبة على كل مؤمن مكلف بدليل الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وفرائضها ثلاثة:

١ - الندم على الذنب من حيث عصى به ذا الجلال، لا من حيث أضر بيدن أو مال.

٢ - الإقلاع عن الذنب في أوقات الإمكان من غير تأخير أو تأجيل.

٣ - والعزم على ألا يعود إليها أبدًا. ومهما قضى عليه بالعود أحدث عزمًا مجددًا.

وآدابها ثلاثة:

١ - الاعتراف بالذنب مقرونًا بالإنكار.

٢ - والإكثار من التضرع والاستغفار.

٣ - والإكثار من الحسنات؛ لمحو ما تقدم من السيئات).

ثم ذكر مراتبها والبواعث عليها^(١).

٤ - الاهتمام بذكر النكات واللطائف التفسيرية، ومن ذلك عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

قال ابن جزي: (افتتح السورة بفلاح المؤمنين، وختمها بعدم فلاح الكافرين، ليبين البون بين الفريقين، والله أعلم)^(٢).

٥ - إيضاح المشكلات ودفع إيهام الاضطراب أو دعوى التعارض بين هذه الآيات، ومن ذلك عند قوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ [٦]. وقال في الحاقة: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ﴾ [٣٦]؟ (فالجواب: أن الضريع لقوم والغسلين لقوم، أو يكون أحدهما في حال والآخر في حال)^(٣).

٦ - ومن جوانب القيمة العلمية لهذا التفسير ما ذكره الزبيري من أن تفسير ابن جزي هو التفسير الأندلسي الوحيد الذي وصل إلينا من تفاسير الحقبة المتأخرة في تاريخ الأندلس^(٤).



(١) التسهيل (٣/ ١٢٢).

(٢) التسهيل (٣/ ١٠٧).

(٣) التسهيل (٣/ ٣٧٠).

(٤) ابن جزي ومنهجه في التفسير (٢/ ٨٨٠).

الْمَبْحَثُ الثَّانِي

نسخ الكتاب وطبعاته

- طُبِعَ هذا التفسير الجليل عدة مرات:
- الأولى: طبعة المكتبة التجارية الكبرى.
 - طبع هذا التفسير بالمنطقة التجارية الكبرى بمصر سنة: ١٣٥٥هـ.
 - الثانية: طبعة دار الفكر العربي.
 - خرجت هذه الطبعة في مجلد ضخيم بأجزائه الأربعة، وصورت هذه الطبعة عن الطبعة الأولى، وكتب عليه الطبعة الثانية.
 - وطبعت بمطبعة دار الفكر العربي ببيروت سنة: ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
 - الثالثة: طبعة دار الكتب الحديثة.
 - طبع في أربعة مجلدات، بمطبعة دار الكتب الحديثة في القاهرة.
 - وقام بتحقيقه:
 - محمد عبد المنعم اليونسي، وإبراهيم عطوة عوض.
 - ولم يُكتب عليه تاريخ الطبعة، ولكن يظهر أنه في سنة: ١٩٧٣م
 - وفهم هذا من رقم الإيداع بآخر الجزء الرابع.
 - الرابعة: طبعة دار الكتاب العربي.
 - طُبِعَ مجلد واحد كبير، بمطبعة دار الكتاب العربي في بيروت سنة:
 - ١٤٠٣هـ.
 - وقد أشرف عليه:

لجنة تحقيق التراث في دار الكتاب العربي.

- الخامسة: طبعة شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

طبع في مجلدين، بمطبعة شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم في بيروت سنة: ١٤١٦هـ.

وقد اعتنى بتنقيحه وضبط كلماته وتخريج آياته وأحاديثه: الدكتور عبد الله الخالدي.

- السادسة: طبعة المكتبة العصرية، خرّجت هذه الطبعة في مجلد ضخّم بأجزائه الأربعة.

وطبعت بمطبعة المكتبة العصرية في بيروت سنة: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، تحقيق: رضا فرج الهمامي.

- السابعة: طبعة دار الضياء للنشر والتوزيع، الكويت، خرّجت في ثلاثة مجلدات، سنة الطبعة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- الثامنة: طبعة المنتدى الإسلامي، حكومة الشارقة، سنة: ١٤٣٣هـ، عناية أبي بكر بن عبد الله سعداوي.

وتُعد هذه أحدث الطبعات وأجودها، إذ تميزت بمقابلتها على المخطوطات، وكتابة الآيات برواية ورش، وجودة الإخراج، أما التعليقات والخدمة العلمية فهي متواضعة.



الفصل الثاني

طريقة المصنف في كتابه ومنهجه

طريقة المصنف في كتابه، ومنهجه

إن الذي ينظر في تفسير ابن جزي يلاحظ الطريقة والمنهج الذي سلكه ابن جزي في تفسيره.

ويمكن أن تجمل طريقة ابن جزي في النقاط التالية:

١ - رتب تفسيره حسب ترتيب سور المصحف الشريف ابتداءً بسورة الفاتحة وانتهاءً بسورة الناس.

٢ - ولأنه قد رسم لنفسه طريقة في تفسيره وهي التلخيص والاختصار، وترك التطويل والتكرار؛ فإنه يفسر أهم الجمل في الآية، تاركًا الواضح منها دون تفسير، ومن أمثلة ذلك: عند قوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ [٢].

قال ابن جزي: (خاشعة)؛ أي: ذليلة^(١). فاقصر من الآية على كلمة (خاشعة) فقط لوضوح معنى الكلمات الأخرى في الآية.

٣ - وللاختصار وعدم التطويل ووضوح المعنى قد يترك ابن جزي في تفسيره آية أو أكثر، مثلًا عند قوله تعالى في سورة الغاشية:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۚ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۚ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠] فهو لم يفسر إلا الآية الأولى فقط من ذكر الحَصِّ على النظر في خِلْقَةِ الإبل وما

فيها من العجائب^(١).

٤ - يستعمل ابن جزى أحياناً الإحالة إلى موضع آخر إذا تكرر تفسير الآية، ومن ذلك عند قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَارِ﴾ [١٠].

قال ابن جزى: (ذُكِرَ في سورة داود)^(٢).

وأحياناً يذكر أنه فسر الآية دون إحالة إلى الموضع الآخر مثل قوله تعالى: ﴿وَأَكْوَابُ مَوْشَى﴾ [الغاشية: ١٤].

قال ابن جزى: (قد ذكرنا (أكواب))^(٣).

٥ - الناظر إلى تفسير ابن جزى يلحظ عدم اتخاذ ابن جزى ترتيباً موحدًا في تفسيره للآيات، بأن يبدأ بتفسير المفردات مثلاً، ثم الجمل، ثم المناسبات، ثم أسباب النزول، ثم المسائل الفقهية، ثم الشواهد الشعرية... إلخ، وإنما تجده يقدم هذا تارة، وذاك تارة أخرى.

مثلاً في سورة الفجر: عند قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾ [٣].

قال ابن جزى: (رُوي عن النبي ﷺ: (أَنَّ الشَّفْعَ: يَوْمُ النَّحْرِ، وَالْوَتْرَ: يَوْمُ عَرَفَةَ)^(٤).

وروي عنه: (أَنَّهَا الصَّلَوَاتُ شَفْعٌ وَوَتْرٌ)^(٥).

(١) التسهيل (٣٧١/٤).

(٢) التسهيل (٧٣٤/٤)؛ وسورة داود هي سورة سبأ.

(٣) التسهيل (٣٧١/٤).

(٤) أخرجه النسائي برقم (٣٤٦٥). قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه، وقال ابن كثير: وعندي أن المتن في رفعه نكارة، وقال الألباني في الضعيفة: منكر (٣١٧٨).

(٥) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٢)، وقال: هذا حديث غريب، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال ابن حجر في الفتح (٧٠٢/٨): رجاله ثقات =

وقيل: الشَّفْعُ: التَّنْفُلُ بالصلاة مثني مثني، والوتر: الركعة الواحدة المعروفة... ثم سرد الأقوال إلى أن قال:

وقرئ الوتر بفتح الواو وكسرها وهما لغتان^(١).

فهنا بدأ ابن جزي بذكر الحديث النبوي، ثم المراد بالآية، ثم بالقراءات.

وفي قوله تعالى في نفس السورة: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧].

قال ابن جزي: (أي: الموقنة يقيناً قد اطمأنت به بحيث لا يتطرق إليها شك في الإيمان).

وقيل: المطمئنة التي تخاف حينئذ؛ ويؤيد هذا قراءة أبي بن كعب: (يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت، وقيل: عند البعث، وقيل: عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار، والأول أرجح لما روي أن أبا بكر سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال له: (يَا أَبَا بَكْرٍ! إِنَّ الْمَلَكَ سَيَقُولُهَا لَكَ عِنْدَ مَوْتِكَ)^(٢).

فهنا نراه بدأ بذكر معنى الآية، ثم وجه من أوجه القراءات، ثم الأقوال في الآية، ثم الحديث النبوي.

٦ - استعماله طريقة السؤال والجواب بصورة بارزة في تفسيره،

= إلا أن فيهم راوياً مبهماً، وقد أخرجه الحاكم من هذا الوجه فسقط من روايته المُبْهَمُ؛ فَاغْتَرَّ فَصَحَّحَهُ، وقال ابن كثير في تفسيره: وهذا منقطع وموقوف (٥٠٧/٤).

(١) التسهيل (٣٧٣/٤).

(٢) التسهيل (٣٧٧/٤). والحديث أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٤٣٠/١٠)، وابن جرير في تفسيره (١٩١/٣٠)، والثعلبي في تفسيره (٢٠٤/١٠) وقال ابن كثير في تفسيره: هذا مرسل حسن (٥١٢/٤).

وخاصة إذا كان رفعا لإشكال، أو إيضاحا لغموض، ومن ذلك عند تفسيره قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾﴾؛ يقول ابن جزى: (ذكر الله في هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشر كما قال في: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] وأنكر عليه قوله حين الخير: ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾، وقوله حين الشر: ﴿رَبِّي أَهْنَنِ﴾.

ويتعلق بالآية سؤالان:

السؤال الأول: لم أنكر الله على الإنسان قوله: ربي أكرمني وربى أهانني؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الإنسان يقول: ربي أكرمني على وجه الفخر بذلك والكبر لا على وجه الشكر، ويقول: ربي أهانني على وجه التشكي من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر.

والآخر: أن الإنسان اعتبر الدنيا فجعل بسط الرزق فيها كرامة، وتضييقه إهانة، وليس الأمر كذلك فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه ويضيق على أوليائه، فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة، وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن، وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا لأنه لا يصدق بالآخرة ويرى أن الدنيا هي الفانية فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك... إلخ كلامه^(١).

٧ - لتحقيق ما رسم لنفسه في مقدمه كتابه من خطة يسير عليها في تفسيره من الاختصار وعدم التطويل فكان يبتعد عن ذكر كثير من القصص، ويكتفي غالبًا بالإشارة إليها^(١).

وهكذا في الشواهد الشعرية، واختلاف النحويين^(٢).

وفي القراءات: اقتصر على القراءات السبع^(٣)، ولم يذكر الشاذة إلا إذا كان لها أثر في تفسير الآية، وفي الأحكام الفقهية لم يستطرد في تفصيلات فروع الفقه^(٤).

❖ منهج ابن جزي في تفسيره:

الناظر في منهج ابن جزي في تصنيف كتابه «التسهيل لعلوم التنزيل» يلاحظ الجمع فيه بين التفسير بالمأثور ويأتي بعده التفسير بالرأي المحمود، وإن كان يغلب عليه جانب التفسير بالمأثور ويأتي بعده التفسير بالرأي المحمود، وهذا ما جعل لهذا الكتاب تلك الميزة والمنزلة المتقدمة.

ويمكن إبراز معالم منهجه من خلال ما يلي:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن:

إن أول الطرق لطرق التفسير بالمأثور هو تفسير القرآن بالقرآن، فما أَجْمَلَ في مكان فقد فسر في مكان آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في مكان آخر، وما عمم في مكان فقد خصص في مكان آخر، وما أطلق في مكان فقد قيد في مكان آخر، وهكذا...

(١) انظر: التسهيل في سورة الفجر عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَادٍ﴾ [٦] (٤/٣٧٣).

(٢) انظر: التسهيل في سورة البلد عند قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَمُ الْقَبِيَّةَ﴾ [١١] (٤/٣٨٠).

(٣) انظر: التسهيل في سورة الشمس عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [١٥] (٤/٣٨٤).

(٤) انظر: التسهيل في سورة البينة عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [٥] (٤/٤٠٥).

ولذلك جعل ابن جزي الأصل الأول لتفسير آيات القرآن في كتابه أن يفسر بنظائرها من الآيات الأخرى، فمن ذلك:

- عند تفسيره لقوله تعالى في سورة البلد: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [١٠] قال ابن جزي: (أي: طريقي الخير والشر فهو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣])^(١).

وعند تفسير قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا نَنْهَرُ﴾ [١٠]، قال ابن جزي: (النهر: هو الزجر، والنهي عنه أمر بالقول الحسن، والدعاء للسائل كما قال تعالى: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨])^(٢).

وتتضح دقة ابن جزي في هذا اللون من التفسير وهي عدم ترجيحه لبعض الآيات التي يكون ظاهرها تفسيراً لآية أخرى، مما يدل على أنه يسير في ذلك وفق منهجية واضحة، ويتضح ذلك عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿لَيْسَ لَكُم مَّطْعَمٌ إِلَّا مِنْ ذَرِيَعٍ﴾ [٦].

قال ابن جزي: (في الضريع أربعة أقوال: أحدها: أنه شوك يقال له: الشُّبْرُق، وهو سمٌ قاتلٌ، وهذا أرجح الأقوال لأن أرباب اللغة ذكروه، ولأن النبي ﷺ قال: (الضَّرِيعُ شَوْكٌ فِي النَّارِ)^(٣).

الثاني: أنه الزقوم لقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٦٦﴾ طَعَامُ الْآثِمِ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٤])^(٤).

(٢) التسهيل (٤/ ٣٩٠).

(١) التسهيل (٤/ ٣٧٤).

(٣) الحديث لم أجده بهذا اللفظ، وورد بلفظ آخر عن ابن عباس: ﴿لَيْسَ لَكُم مَّطْعَمٌ إِلَّا مِنْ ذَرِيَعٍ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: (شَيْءٌ يَكُونُ شِبْهَ الشَّوْكِ، أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ، وَأَنْتَنٌ مِنَ الْحِقْفَةِ..) قال السيوطي في الدر المنثور: أخرجه ابن مردويه بسند وإيه عن ابن عباس (٨/ ٤٩٢).

(٤) التسهيل (٤/ ٤١٤).

فنلاحظ هنا أن ابن جزي لم يرجح القول الذي يفسر الآية بآية أخرى؛ لأنها لم تنطبق على القواعد التي سار عليها لتفسير القرآن بالقرآن.

ثانياً: تفسير القرآن بالسُّنة النبوية:

تفسير القرآن بالسُّنة النبوية هو أهم مصادر التفسير بالمأثور بعد التفسير بالقرآن الكريم.

ومن هنا كان ابن جزي يعول على التفسير الوارد عن رسول الله ﷺ ويقدمه على غيره من أقوال الناس. ومن أمثلة ذلك:

- عند تفسير قوله تعالى في سورة التكاثر: ﴿أَلْهَنَكُمْ أَتْكَاثُ﴾ [١]، قال ابن جزي: (هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ، ومعنى (ألهاكم) شَغَلَكُمْ، و(التكاثر) المباهاة بكثرة المال والأولاد، وأن يقول هؤلاء: نحن أكثر، ويقول هؤلاء: نحن أكثر، ولمَّا قرأها النبي ﷺ قال: (يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، وَلَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَنْتَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ) ^(١).

- وعند تفسير قوله تعالى في سورة الكوثر: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكُوثِرَ﴾ [١].

قال ابن جزي: (هذا خطاب للنبي ﷺ، والكوثر بئاء: مبالغة من الكثرة، وفي تفسيره سبعة أقوال: ثم ساق الأقوال... إلى أن قال: ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر: الحوض؛ لما ورد في الحديث

(١) التسهيل (٤/٤٢٦). والحديث رواه مسلم، كتاب الزهد، باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر برقم (٢٩٥٨).

الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: (أَتَذُرُونَ مَا الْكَوْثُرُ؟ هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ، وَهُوَ الْحَوْضُ؛ آيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ)^(١).

ويلاحظ على ابن جزي أنه يذكر أحاديث عن رسول الله ﷺ ليست تفسيراً للآية ولكن لها صلة أو مناسبة، ومن ذلك: قوله تعالى في سورة التين: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ [٨].

قال ابن جزي: (تقرير ووعد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقونه، وكان رسول الله إذا قرأها قال: (بَلَى؛ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ))^(٢).

وعند قوله تعالى في سورة القدر: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [٣].

قال ابن جزي: (معناه: أن من قامها كتب الله له أجر العبادة في ألف شهر، قال بعضهم: يعني: في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وفي الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٣).

وكما فعل ابن جزي في عدم أخذه في تفسير القرآن بالقرآن إذا لم يكن صريحاً في تفسير الآية وإن كان ظاهرها يوحي بذلك؛ فكذلك فعل هنا في تفسير القرآن بالسنة، ومن ذلك:

(١) التسهيل (٤٢٦)، والحديث رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته برقم (٤٠٠).

(٢) التسهيل (٣٦٩/٤). والحديث رواه أبو داود مرفوعاً عن أبي هريرة ؓ كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود برقم (٨٨٧). والحديث ضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم (١٨٨).

(٣) التسهيل (٤٠٢/٤). والحديث رواه البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب ليلة القدر، برقم (٣٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان، برقم (٧٦٠) عن أبي هريرة ؓ.

عند تفسير قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [٥]، قال ابن جزي: (رُوي أن النبي ﷺ لما نزلت قال: (إِذَا لَا أَرْضَى أَنْ يَبْقَى وَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ) قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن، وقال ابن عباس: رَضَاهُ أَنَّ اللَّهَ وَعَدَهُ بِأَلْفِ قَصْرِ فِي الْجَنَّةِ بما يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ وَالْخَدَمِ^(١).

وقيل: رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره، والصحيح: أنه وعدٌ يَعُمُّ أنه وعد يعم كل ما أعطاه الله في الآخرة وكل ما أعطاه الله في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك)^(٢).

ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

وقبل الدخول في ذكر منهج ابن جزي في تفسيره للقرآن بأقوال الصحابة - رضوان الله عليهم - يستحسن أن نعرف أولاً حكم تفسير الصحابي للقرآن.

حكم تفسير الصحابي:

تفسير الصحابي ينقسم إلى قسمين:

أولاً: إذا كان مما ليس للرأي فيه مجال كالأمور الغيبية، وأسباب النزول ونحوها، فهذا له حكم المرفوع ويجب الأخذ به.

ثانياً: إذا كان للرأي فيه مجال مما يرجع إلى اجتهاد الصحابي، فهذا له حكم الموقوف على الصحابي إذا لم يسنده إلى رسول الله ﷺ.

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه (جامع البيان: ٤٨٧/٢٤)، وقال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف (تفسير القرآن العظيم: ٥٢٤/٤).

(٢) التسهيل (٣٨٩/٤).

واختلف العلماء في هذا النوع هل يجب الأخذ به أو لا؟

ذهب فريق من العلماء إلى أن الموقوف على الصحابي من التفسير لا يجب الأخذ به؛ لأنه لَمَّا لم يرفعْه، عُلِمَ أَنَّهُ اجتهد فيه، والمجتهد يخطئ ويصيب، والصحابة رضي الله عنهم في اجتهادهم كسائر المجتهدين.

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أنه يجب الأخذ به والرجوع إليه لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها وليست لغيرهم، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة، وعبد الله بن مسعود وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً^(١).

قال الزركشي: (ينظر في تفسير الصحابي فإن فسَّره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتماده، وإن فسَّره بما شاهدوه من الأسباب والقرائن فلا شك فيه)^(٢). وهذا رأي فريق من العلماء كالحاكم النيسابوري وابن الصلاح والنوي وابن تيمية وابن كثير وغيرهم^(٣).

ويتحصل من هذا أن التفسير المروي عن الصحابي إن كان متعلقاً بأسباب النزول أو بما لا يمكن أن يكون من قبيل الرأي والاجتهاد كان ملزماً، وكذلك إن كان تفسيراً يعتمد على اللغة التي هم أدري الناس بها فهو ملزم أيضاً. أما الشيء الذي ليس داخلياً فيما ذكر فهو بصورة عامة غير ملزم، وينظر إلى كل رأي على حدة.

وبناء على هذا اعتمد ابن جزري في بيان آيات الله على أقوال الصحابة رضوان الله عليهم بعد القرآن والسنة فجعله أصلاً من أصول تفسيره.

(١) التفسير والمفسرون (٥٩/١). (٢) البرهان (١٧٢/٢).

(٣) انظر: تدريب الراوي (٦٤)، ومعرفة علوم الحديث (٢٠)، ومقدمة أصول التفسير (٩٥).

ومن الأمثلة على ذلك: عند قوله تعالى في سورة الشمس:

﴿يَطْفَوْنَهَا﴾ [١١].

قال ابن جزي: (هو مصدر بمعنى الطغيان، قلبت الياء واواً على لغة من يقول: طغيت، والباء الخافضة كقولك: كتبت بالقلم، أو سببية والمعنى: بسبب طغيانها، وقال ابن عباس: معناه: كذبت ثمود بعدابها ويؤيده قوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَمْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥٠] ^(١).

وعند تفسير قوله تعالى في سورة النصر: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [١].

قال ابن جزي: (سأل عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن معنى هذه السورة فقالوا: إن الله أمر رسول الله ﷺ بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح، وذلك على ظاهر لفظها فقال لابن عباس بمحضَرهم: يا عبد الله ما تقول أنت؟ قال: هو أجلُّ رسول الله ﷺ أعلمه الله بقرِّيه إذا رأى النَّصْرَ وَالْفَتْحَ، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما عَلِمْتُ ^(٢).

وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره، ويؤيده قول عائشة: (إنَّ رسولَ الله ﷺ لما فَتَحَ مَكَّةَ وَأَسْلَمَ الْعَرَبُ، جَعَلَ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ؛ أَي: فِي هَذِهِ السُّورَةِ... ^(٣)).

(١) التسهيل (٤/٣٨٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة النصر، رقم (٤٩٧).

(٣) التسهيل (٤/٤٣٠). والحديث أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٤٨٤).

رابعًا: تفسير القرآن بأقوال التابعين:

حكم تفسير التابعي:

اختلف العلماء في حكم الرجوع إلى تفسير التابعي للآية إذا لم يرد تفسير لها عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنه. فقالت طائفة: لا يجب الأخذ بتفسير التابعي؛ لأنهم ليس لهم سماع عن رسول الله ﷺ، ولم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد، ولأن عدالة التابعين غير منصوص عليها كما نص على عدالة الصحابي.

وقالت طائفة: إنه يؤخذ به إذا لم نجد تفسيرها في السنة ولا أقوال الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنهم تلقوا التفسير عن الصحابة وحضروا مجالسهم ونهلوا من علمهم وسمعوا منهم ما لم يسمعه غيرهم، فقد عرض مجاهد المصحف على ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث مرات يسأله عن كل آية. وقتادة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً^(١). وقال الشعبي: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها^(٢).

قال ابن تيمية: (قال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني: أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك)^(٣).

(١) طبقات المفسرين للداودي (٤٣/٢).

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص ١١٣).

(٣) مقدمة في أصول التفسير (ص ٢٨).

ويتلخص من ذلك أن التابعين إذا أجمعوا على تفسير واحد وجب الأخذ به ولا يرتاب في كونه حجة. وإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السُّنَّة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة رضي الله عنهم في ذلك. وإذا ورد التفسير عن تابعي ولم يعرف له مخالف من التابعين فهذا مما يؤخذ به لما لهم من فضل ومزية على من بعدهم في العلم.

وقد أدرك ابن جزى أهمية ذلك فكان يذكر أقوالهم في تفسير آيات الله تعالى.

ويلاحظ أن ابن جزى عند ذكره لأقوال التابعين يذكرها دون نسبتها إلى أصحابها والاكتفاء بعبارة: وقيل، واتضح ذلك بعد التتبع لهذه الأقوال في كتب التفسير الأخرى^(١).

ومما صرح به عند تفسير قوله تعالى في سورة الكوثر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [١].

قال ابن جزى: (في تفسيره سبعة أقوال: ... الثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس وتبعه سعيد بن جبيرة)^(٢).



(١) انظر: ابن جزى ومنهجه في التفسير (١/٤٥٢ - ٤٥٣).

(٢) التسهيل (٤/٤٢٦).

البَابُ الثَّالِثُ

منهج ابن جزي في علوم القرآن

وفيه فصلان:

□ الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: نبذة عن مقدمة الكتاب وعرض موضوعات علوم القرآن.

□ الْفَصْلُ الثَّانِي: منهج ابن جزي في علوم القرآن.

أَلْفَضْلُ الْأَوَّلُ

نبذة عن مقدمة الكتاب «التسهيل لعلوم التنزيل»

وعرض موضوعات علوم القرآن

نبذة عن مقدمة الكتاب وعرض موضوعاتها

حرص الإمام ابن جزي في مقدمة تفسيره على تبين معالم منهجه والطريق الذي سيسلكه ويسير فيه حيال ما سيتناوله في تفسيره. قال رَحِمَهُ اللهُ: (وصنَّفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت مسلكًا نافعًا، إذ جعلته وجيزًا جامعًا)^(١).

وقدم بين يدي تفسيره بمقدمتين:
إحداهما: ضمنها أبوابًا نافعة وقواعد كلية جامعة.
والأخرى: أفردتها فيما كثر دورانه من اللغات الواقعة - يعني: في القرآن -.

أما المواضيع التي اشتملت عليها مقدمته الأولى فهي كالتالي:
- الباب الأول: تكلم فيه عن نزول القرآن وجمعه وترتيبه.
- الباب الثاني: في معرفة المكي والمدني.
- الباب الثالث: تناول فيه العلوم التي اشتمل عليها القرآن الكريم.
- الباب الرابع: عرض فيه لفنون العلم التي تتعلق بالقرآن وقسمها إلى اثني عشر فنًا من العلوم، وهي (التفسير - والقراءات - والأحكام -

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٦/١).

والنسخ - والحديث - والقصص - والتصوف - وأصول الدين - وأصول
الفقه - واللغة - والنحو - والبيان).

- الباب الخامس: في أسباب الخلاف بين المفسرين، والوجوه
التي يرجح بها بين أقوالهم.

- الباب السادس: أفرد للمفسرين وطبقاتهم.

- الباب السابع: تكلم فيه عن الناسخ والمنسوخ من حيث تعريفه
اللغوي والاصطلاحي.

- الباب الثامن: تناول فيه جوامع القراءة مبيّنًا أنواعها.

- الباب التاسع: في الوقف وأقسامه.

- الباب العاشر: تكلم فيه عن الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان.

- الباب الحادي عشر: في إعجاز القرآن مع إقامة الدليل على أن
القرآن من عند الله ﷻ.

- الباب الثاني عشر: في فضائل القرآن.

تلك هي العلوم التي تناولها ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ في مقدمته، وسيأتي
تفصيل هذه العلوم في محالها - بإذن الله - والله الموفق.



الْفَصْلُ الثَّانِي

منهج ابن جزي في علوم القرآن

وفيه خمسة مباحث:

- للْبَحْثُ الْأَوَّلُ : المراد بعلوم القرآن ومفهومه عند ابن جزي.
- للْبَحْثُ الثَّانِي : لماذا سمي كتابه بـ«التسهيل لعلوم التنزيل».
- للْبَحْثُ الثَّلَاثُ : أنواع علوم القرآن التي ذكرها ابن جزي في تفسيره.
- للْبَحْثُ الرَّابِعُ : مصادره في علوم القرآن.
- للْبَحْثُ الْخَامِسُ : الإضافات في علوم القرآن التي احتواها كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل».

الْمَبْتَحُ الْأَوَّلُ

المراد بعلوم القرآن ومفهومه عند ابن جزي

المراد بعلوم القرآن ومفهومه عند ابن جزي كغيره من أهل العلم الذين تطرقوا لهذا الموضوع.

فالمراد بعلوم القرآن عند ابن جزي: العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم.

ولكن تميّزه عن غيره برز في مفهومه لهذا العلم؛ وذلك بربطه بتفسير معاني القرآن الكريم؛ أي: ربط الجانب النظري بالجانب العملي. فجعل الجانب النظري في مقدمة تفسيره، ووظفها توظيفاً عملياً في ثانياً تفسيره للآيات.

فقال في مقدمته: (... وصنّفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وما يتعلق به من العلوم)^(١).

ومن المعلوم أن التفسير هو علم من علوم القرآن العظيم، ولكنه أفردها بالذكر عن سائر علوم القرآن ليبين أهمية توظيف علوم القرآن في تفسير آيات القرآن الكريم.

وقد أحسن ﷺ في هذا الأمر؛ لما يمتلكه من قدرة فائقة في تسخير العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم لخدمة أغراض التفسير بالعموم: كعلم الحديث، وعلم الفقه، وعلم الأصول، وعلم النحو وغيرها،

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٦/١).

وبالخصوص: كعلم القراءات، وعلم الناسخ والمنسوخ، وأصول التفسير، وغريب القرآن، والمتشابه اللفظي، وقواعد الترجيح وغيرها.

ولقد اختار ابن جزي من موضوعات علوم القرآن التي قدمها في تفسيره جملة من أهم الموضوعات التي لا يستغني عنها عالم أو متعلم، واستطاع من خلالها أن يقدم فوائد جليلة بذكر الفرائد واللطائف ومستخلصات الكتب، وتميَّز بالمنتخبات مما كتبه أهل العلم ووضعها في مواضعها مما أعانته على توظيف تفسير الآيات التوظيف الحسن وفق القواعد والضوابط العلمية، ويشهد لهذا مقدمته في كتابه «التسهيل لعلوم التنزيل» التي زخرت بأسماء العديد من المصنِّفات والمصنِّفين^(١).

وهذا ليس بغريب عليه، فقد جاء في ترجمته أنه: (جماعة للكتب، ملوكي الخزانة)^(٢).

ويشهد لهذا أيضًا عزوه المتناثر خلال تفسيره للآيات إلى كثير من المصنِّفين. فقد ذكر عند مقصده من تأليف كتابه:

(...) فلقد احتوى هذا الكتاب على ما تضمنته الدواوين الطويلة من العلم، لكن بعد تلخيصها وتمحيصها...^(٣).

وعند المقصد الثاني قال:

(...) ذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة، قلَّما توجد في كتاب؛ لأنها من نبات صدري، وينابيع ذكري^(٤)، ومما أخذته عن شيوخي، أو مما التقطته من مستطرفات النوار الواقعة في غرائب الدفاتر^(٥).

(١) سيأتي ذكرها في المبحث الرابع (مصادره في علوم القرآن) بإذن الله.

(٢) الإحاطة (٢١/٣). (٣) الإحاطة (٢١/٣).

(٤) في بعض النسخ: (نبات صدري، وينابيع فكري).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (٦/١).

ولا شك في أن من توافرت فيه هذه المقومات والمواصفات من جمع ما في الدواوين المطولة النفيسة، وثقة بالنفس، والأخذ عن الأشياء، وقدرة في استخراج مستطرفات النوادر -: جديرٌ بأن يكون له تميُّزٌ بارز في نتاجه.

ويبرز إمام ابن جزي لمراد علوم القرآن ومفهومه بحسن سببه وتقسيمه لمواضيعها، ويظهر ذلك جلياً في طرحه لعدة موضوعات تشترك في الناحية الموضوعية تحت عنوان واحد، فمثلاً:

عند عنوان نزول القرآن العظيم تعرض ابن جزي لأكثر من ثمانية موضوعات لها جميعاً ارتباط واضح بموضوع الباب^(١).

ومما أبرز تميُّزه لمراد علوم القرآن ومفهومه: تفرده عن غيره من المفسرين بمقدمتين مهمتين في علوم القرآن ابتدأ بهما تفسيره «التسهيل لعلوم التنزيل»، فقد أجاد في طريقة عرضها واختيار موضوعاتها، وتكلم في أمور لم يتعرض لها أحد قبله.

ويبرز تميُّزه ودقة فهمه لمواضيع علوم القرآن تخصيصه لمقدمة تعنى بألفاظ القرآن الكريم، وهي المقدمة الثانية، التي هي بمثابة معجم مصغر لألفاظ القرآن الكريم، وخصها لتفسير معاني اللغات، وعرض الكلمات التي يكثر دورانها في القرآن.

واهتمامه بها بهذه الطريقة لعلمه أن هذا العلم هو العلم الوحيد الذي يُستعملُ في جميع آيات القرآن، فما من آية إلا وفيها الحاجة إلى معرفة معنى كلماتها وألفاظها، وعدم فهم معنى الكلمة من الآية يعني: عدم فهم الآية، وهذا يؤدي إلى نقض أصل التفسير من أساسه.

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٨/١).

فطريقة فهمه لمواضيع علوم القرآن قد أبرزت وكشفت عن الأثر العلمي للقضايا النظرية المقررة في علوم القرآن لفهم كلام الله تعالى .
ويكفيها لنعلم مدى اهتمامه بهذا أنه كان يرجح أحياناً الأقوال التفسيرية بناء على مواضيع علوم القرآن^(١) .

وكل هذه الأمور مجتمعة بينت أن لابن جزى مفهوماً لعلوم القرآن تميز به عن غيره، فقد أراد أن يحقق الغاية التي من أجلها أنزل القرآن العظيم ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، فتوظيفه لمواضيع علوم القرآن في توضيح كلام رب العالمين من خلال فهمه وتدبر معانيه كان واضحاً وجلياً في كتابه «التسهيل لعلوم التنزيل» وهذا من كمال العلم والفقه عنده رَحِمَهُ اللهُ .

ويضاف إلى هذا أيضاً تسميته لكتابه «التسهيل لعلوم التنزيل»، وهذا ما سأحدث عنه في المبحث القادم بإذن الله تعالى .

فخلاصة القول: أن طريقة فهم الإمام ابن جزى رَحِمَهُ اللهُ ومنهجه في تناول مواضيع علوم القرآن من الأمور المهمة التي يجدر الوقوف عندها والاستفادة منها عملياً، فإن التنوع في تناول المواضيع المتعلقة بعلوم القرآن أمر في غاية الأهمية، فالجوانب النظرية أُشْبِعَتْ طرْحاً وتناولاً وشرْحاً، والحاجة ما زالت مُلِحَّةً إلى الجانب التطبيقي؛ إذ المقصد الرئيس من معرفة العلوم المتعلقة بالقرآن هو الوصول إلى مراد الله تعالى من معاني الآيات، ودراستها من خلال هذا المنهج، ومعرفة كيفية تطبيقها في تفسير القرآن وفق القواعد والضوابط العلمية هو جانب تطبيقي مُهِمٌّ لمسائل علوم القرآن، وعدم سلوك هذا المسلك التطبيقي جعل

(١) لم أتطرق هنا إلى ذكر أمثلة على منهجية ابن جزى؛ لأنها ستذكر في باب مستقل (الباب الرابع) بإذن الله .

البعض يحسب أن علم علوم القرآن عبارة عن قوالب مصبوبة قد انتهى البحث فيها، فلا جديد في مسأله، ولا ثمرة بعد ما ذكره الأقدمون ممن كتبوا في هذا العلم، فتفسير القرآن ميدان رحب لتطبيقات مسائل علوم القرآن، وتوسيع المدارك وشموليته سيثري مواضيع علوم القرآن.



لِلْبَحْثِ الثَّانِي

لماذا سَمِيَ كتابه بـ«التسهيل لعلوم التنزيل»

ذكر ابن جزري في مقدمته أنه سَمِيَ كتابه: «التسهيل لعلوم التنزيل» فقال:

(وسميت: «التسهيل لعلوم التنزيل» وقدمت في أوله مقدمتين...)^(١).
 كتابه «التسهيل لعلوم التنزيل» يصنف من كتب التفسير، والاسم يوحى بأنه في علوم القرآن، مثل:
 «البرهان في علوم القرآن» للزركشي، و«الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي، فهل كان ابن جزري يقصد بهذه التسمية العلوم بمعناها الخاص عَلمًا على الفن المعين «علوم القرآن» أو قصد بها عموم ما يراد بالتفسير كعلم الآية وما يتعلق بمعناها وتفسيرها؟
 فيجواب عن هذا:

بأن كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» قد جمع فيه بين علمين:
 تفسير القرآن، وعلوم القرآن.

ويظهر هذا من وجهين:

الأول: تسمية الكتاب:

فقد سَمِيَ مصنفه «التسهيل لعلوم التنزيل»، فهو اسم يوهم أنه في علوم القرآن، مثل: «البرهان في علوم القرآن» للزركشي، و«الإتقان في

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٧/١).

علوم القرآن» للسيوطي، وربما اختار هذه التسمية لتتطابق مع مقدمتيه اللتين وضعهما لتفسيره، وهما في علوم القرآن.

الثاني: تصريحه هو بذلك:

إذ قال: (. . .) وصنّفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم، وسائر ما يتعلق به من العلوم^(١).

ومن ذلك أيضًا:

ابتدأ ابن جزي تفسيره بمقدمتين مهمتين في علوم القرآن، انفرد بهما عن غيره من المفسرين في طريقة العرض واختيار الموضوعات، فقد تكلم في أمور لم يتعرض لها أحد قبله:

المقدمة الأولى: في أصول التفسير وقواعده وما يتعلق به من علوم القرآن، وقد جعلها في اثني عشر بابًا.

المقدمة الثانية: وهي مقدمة لغوية خاصة بالألفاظ التي يكثّر دورانها في القرآن، وهذه المقدمة بمثابة معجم مصغر لألفاظ القرآن الكريم، انفرد ابن جزي عن غيره من المفسرين بها، فقد خصها لتفسير معاني اللغات، وعرض فيها الكلمات التي كثر دورانها في القرآن، وهو بهذا يُعد رائد هذا النهج بين المفسرين - بحدود علمي - وقصد منها أمورًا ثلاثة كما ذكر:

- تيسير تلك الكلمات والمعاني للحفظ.
- وجعلها كأصول الجامعة لمعاني التفسير.
- والاختصار بحيث يستغني عن ذكرها في صلب التفسير^(٢).

(١) التسهيل (٦/١).

(٢) التسهيل (٤٥/١).

فتسمية ابن جزي كتابه «التسهيل لعلوم التنزيل» بهذا الاسم يدل على أن دراسة مواضيع وقضايا علوم القرآن مقصد أساسي من مقاصد التأليف عند ابن جزي لهذا الكتاب، فهو لم يسم كتابه تفسيرًا بل سماه «التسهيل لعلوم التنزيل»، ويُعد هذا منهجًا من مناهج العلماء في التصنيف والحديث عن علوم القرآن.



لِلْبَحْثِ الثَّالِثِ

أنواع علوم القرآن التي ذكرها ابن جزي في مقدمته، وعلاقتها بالتفسير عمومًا، وأثرها في تفسيره

ذكر ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة تفسيره أنواعًا كثيرة من أنواع علوم القرآن؛ لأن مقصده رَحِمَهُ اللهُ من هذا التأليف الجمع بين التفسير وعلوم القرآن؛ وهذا يظهر لنا من تسمية المؤلف كتابه بـ«التسهيل لعلوم التنزيل». ففي هذه التسمية إيماء لما سيتناوله في كتابه من التفسير وعلوم القرآن وقد وُفِّي رَحِمَهُ اللهُ بذلك كل التوفية. فقد ذكر رَحِمَهُ اللهُ جملة من علوم القرآن في مقدمة تفسيره كما نثر جُلَّها في أثناء تفسيره.

وفيما يلي عرض لأنواع العلوم التي ذكرها في مقدمته:

- النوع الأول: نزول القرآن.
- النوع الثاني: المكي والمدني.
- النوع الثالث: في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن.
- النوع الرابع: في فنون العلم التي تتعلق بالقرآن.
- النوع الخامس: أسباب الخلاف بين المفسرين ووجوه الترجيح.
- النوع السادس: ذكر المفسرين وطبقاتهم.
- النوع السابع: النسخ.
- النوع الثامن: القراءات.

- النوع التاسع: الوقف والابتداء.
- النوع العاشر: الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان.
- النوع الحادي عشر: إعجاز القرآن.
- النوع الثاني عشر: فضائل القرآن.



لِلْبَحْثِ الرَّابِعِ

مصادره في علوم القرآن

ذكر ابن جزي رحمته الله في مقدمة تفسيره عددًا من المصادر التي اعتمد عليها وطالعتها أثناء تأليفه لتفسيره «التسهيل لعلوم التنزيل» فقال رحمته الله: (فَاطَّلَعْتُ عَلَى مَا صَنَفَ الْعُلَمَاءُ رحمهم الله فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مِنَ التَّصَانِيفِ الْمُخْتَلَفَةِ الْأَوْصَافِ الْمُتَبَايِنَةِ الْأَصْنَافِ)^(١).

وقد اعتمد رحمته الله في تفسيره على أمهات كتب التفسير، والقراءات، واللغة، والنحو، والحديث بعد أن كان رحمته الله قد قرأ هذه الكتب، وأجال فكره فيها، وانتخب صفوها، وأنعم النظر في مقفلها وعمل على إيضاح مشكلها، أضف إلى ذلك ما استخرجه من ثاقب فكره مما كان أخذه على شيوخه، أو التقطه من مستطرفات النوادر الواقعة في الدفاتر.

وإن كان يهمننا نحن في هذه الوقفة مع مصادره تلك المصادر التي استقى منها مادة علوم القرآن، فإلى سردها والله الموفق:

- «معاني القرآن» للفراء يحيى بن زياد^(٢) (ت ٢٠٧هـ).

- «معاني القرآن» للأخفش سعيد بن مسعدة^(٣) (ت ٢١٥هـ).

- «جامع البيان» للطبري محمد بن جرير^(٤) (ت ٣١٠هـ).

(١) التسهيل (٦/١).

(٢) انظر ترجمته في: نزهة الألباء لابن الأنباري (ص ٩١)، وكتابه مطبوع بتحقيق: أحمد يوسف نجاتي وزميله.

(٣) انظر ترجمته في: طبقات النحويين للزبيدي (٧٢)، وكتابه مطبوع أكثر من طبعة بتحقيق: كل من فائز فارس، وهدي قراعة.

(٤) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١٦٢/٢) وكتابه مطبوع عدة طبعات.

- «معاني القرآن» للزجاج إبراهيم بن السري^(١) (ت ٣١١هـ).
- «شفاء الصدور» للنقاش محمد بن الحسن^(٢) (ت ٣٥١هـ).
- «أحكام القرآن» للبلوطي منذر بن سعيد^(٣) (ت ٣٥٥هـ).
- «الإغفال» لأبي علي الفارسي^(٤) (ت ٣٧٧هـ).
- كتاب «الحجة في علل القراءات» لأبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي^(٥) (ت ٣٧٧هـ).
- كتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الإسكافي^(٦) (ت ٤٢٠هـ).
- «الكشف والبيان» للثعلبي أحمد بن محمد^(٧) (ت ٤٢٧هـ).
- كتاب «الناسخ والمنسوخ» للقيسي مكي بن أبي طالب^(٨) (ت ٤٣٧هـ).
- «الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنونه» لمكي القيسي (ت ٤٣٧هـ).

-
- (١) انظر ترجمته في: أخبار النحويين للسيرافي (ص ١٠٨).
 - وكتابه مطبوع بتحقيق: عبد الجليل شلبي ويحقق في رسائل جامعة بأم القرى.
 - (٢) انظر ترجمته في: الفهرست (ص ٣٦) وكتابه مخطوط.
 - (٣) انظر ترجمته في: نفح الطيب للمقري (١/ ٣٧٠). وكتابه يسمى الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله. انظر: صلة الخلف بموصول السلف للروداني (ص ١٠٧) وهدية العارفين (٢/ ٤٧٢).
 - (٤) كتابه مطبوع مرتين.
 - (٥) انظر ترجمته في: إنباه الرواة (١/ ٢٧٣)، وأبو علي الفارسي حياته وآثاره وكتابه الحجة مطبوع بتحقيق: بدر الدين قهوجي وزميله وصدر عن دار المأمون للتراث.
 - (٦) انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات (٣/ ٣٣٧)، وكتابه مطبوع.
 - (٧) انظر ترجمته في: طبقات المفسرين للداودي (١/ ٦٦)، وتفسيره مطبوع.
 - (٨) انظر ترجمته في: ترتيب المدارك للقاضي عياض (٣/ ٧٣٧)، معجم الأدباء لياقوت (١٦٧/ ١٩).
 - وكتابه مطبوع بتحقيق: أحمد حسن فرحات ونشرته دار المنارة.

- «التحصيل» للمهدوي أحمد بن عمار^(١) (ت ٤٤٠هـ).
- كتاب «التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ).
- «النكت والعيون» للماوردي علي بن محمد^(٢) (ت ٤٥٠هـ).
- «تفسير الجويني» أبي المعالي عبد الملك^(٣) (ت ٤٧٨هـ).
- «الكشاف» للزمخشري محمود بن عمر^(٤) (ت ٥٣٨هـ).
- «المحرر الوجيز» لابن عطية الأندلسي^(٥) (ت ٥٤١هـ).
- كتاب «التعريف والإعلام» للسهيلى عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي^(٦) (ت ٥٨١هـ).
- «مفاتيح الغيب» للرازي محمد بن عمر^(٧) (ت ٦٠٦هـ).
- كتاب «ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل» لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي^(٨) (ت ٧٠٨هـ).
- «تفسير الغزنوي»^(٩).

-
- (١) انظر ترجمته في: طبقات القراء للذهبي (٢/٢٢٤)، وكتابه حقق في رسائل جامعية.
 - (٢) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي (٣/٣٠٣)، وكتابه مطبوع.
 - (٣) انظر ترجمته في: في سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/١٣٧) وكتابه مخطوط.
 - (٤) انظر ترجمته في: طبقات المفسرين للسيوطي وتفسيره مطبوع عدة طبعات.
 - (٥) انظر ترجمته في: الإحاطة في أخبار غرناطة (٣/٥٤٠) وكتابه مطبوع عدة طبعات.
 - (٦) انظر ترجمته في: بغية الملتبس للضبي (ص ٣٦٧)، ونفح الطيب للمقري (٢/١٠٢)، وكتابه التعريف مطبوع أكثر من طبعة.
 - (٧) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي (٨/٨١) وتفسيره مطبوع عدة طبعات.
 - (٨) انظر ترجمته في: الديباج المذهب (ص ٢٤٥) وقد تقدمت ترجمته في شيوخ المؤلف، وكتابه مطبوع بتحقيق: سعيد الفلاح، وصدر عن دار الغرب الإسلامي.
 - (٩) انظر الكلام عنه بالتفصيل في: مبحث طبقات المفسرين (ص ٢٢٠).

لِلْبَحْثِ الْخَامِسِ

الإضافات في علوم القرآن التي احتواها كتابه «التسهيل لعلوم التنزيل»

كان ابن جزري رحمته الله إمامًا في عدة علوم، مشاركًا في جميع فنونها من فقه وأصول ولغة وحديث، وقراءات وغيرها، فسطر سِفْرَهُ هذا بعد اطلاع واسع ساعده على ذلك تَلَمُّذُهُ على أكابر علماء عصره في الأندلس حاضرة المغرب آنذاك.

وقد ذكر ابن جزري رحمته الله أثناء ذكره للفوائد التي احتواها كتابه فقال:

(الفائدة الثانية: ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة قلما توجد في كتاب لأنها من بنات صدري، وينابيع فكري ومما أخذته عن شيوخه أو مما التقطته من مستطرفات النوادر الواقعة في غرائب الدفاتر)^(١).

هذا وقد انفرد ابن جزري رحمته الله ببعض المسائل في علوم القرآن منها:
- مقدمته الثانية التي ذكر فيها الألفاظ التي يكثر دورانها في القرآن فبيّن رحمته الله معانيها وجعلها كتاب مختص في مفردات ألفاظ القرآن.

- ذكر ابن جزري رحمته الله في مقدمته لتفسيره الوجوه التي يرجح بها بين أقوال المفسرين وسبب الخلاف بينهم، وهي من المسائل التي انفرد بها رحمته الله وقد حصر كل واحدة منها في اثني عشر سببًا.

(١) التسهيل (٦/١).

- ذكر ابن جزي رحمته الله في مقدمة تفسيره اختلاف القراء وهو على نوعين: أصول، وفرش الحروف، ثم ذكر تعريفاً شاملاً لكل واحد من هذه المصطلحات.

- تكلم ابن جزي رحمته الله في مقدمته لتفسيره عن الإعجاز وأورد عشرة أوجه منه وقد انفرد رحمته الله ببعض الأوجه^(١)، وإن كان اتفق مع من جاء بعده في بعض الوجوه وخصوصاً عُمَدَتَيْ هذا الفن الزركشي في «البرهان» والسيوطي في «الإتقان»، فقد حصرها الزركشي في اثني عشر قولاً وفرعها السيوطي في «الإتقان» وزاد عليها كما ذكر بعض الأوجه التي ذكرها قبله ابن جزي دون عزو إلى قائلها وإنما اكتفى بقوله: قال آخرون.

- ذكر ابن جزي رحمته الله في مقدمته لتفسيره أنواع البلاغة مع التعريف بكل نوع وتنبيهه على كل نوع أثناء تفسيره مع إحصاء لهذه الأنواع الماثلة في القرآن، فقد ذكر ابن جزي رحمته الله اثنين وعشرين نوعاً.

هذا ما تسنى لي الوقوف عليه بعد استقراء لكتاب ابن جزي رحمته الله وتسجيل بعض الإضافات التي ساهم بها رحمته الله في تطور هذا العلم عبر مراحل التاريخ.



(١) انظر: القول السادس والقول التاسع، التسهيل (١/٤١).

البَابُ الرَّابِعُ

موضوعات علوم القرآن عند ابن جزي وأثرها في تفسيره

وفيه ستة فصول:

- الْفَصْلُ الْأَوَّلُ : تاريخ توثيق القرآن.
 - الْفَصْلُ الثَّانِي : أصول التفسير عند ابن جزي.
 - الْفَصْلُ الثَّالِثُ : اللغة العربية.
 - الْفَصْلُ الرَّابِعُ : دلالات الألفاظ.
 - الْفَصْلُ الْخَامِسُ : موضوعات علوم القرآن الأخرى.
 - الْفَصْلُ السَّادِسُ : تطبيقات لبعض مواضيع علوم القرآن الأخرى.
- لم يذكرها ابن جزي في مقدمته.

أَلْفَصْلُ الْأَوَّلُ

تاريخ توثيق القرآن

وفيه ستة مباحث:

- لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ : فضائل القرآن.
- لِلْبَحْثِ الثَّانِي : نزول القرآن وجمعه وترتيبه.
- لِلْبَحْثِ الثَّلَاثِ : الوحي.
- لِلْبَحْثِ الرَّابِعِ : أسباب النزول.
- لِلْبَحْثِ الْخَامِسِ : المكي والمدني.
- لِلْبَحْثِ السَّادِسِ : القراءات.

لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ

فضائل القرآن وأثرها في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزري في مسألة فضائل القرآن.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراساتها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً: التعريفات:

الفضل في اللغة: ضد النقص.

والفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل، والتفاضل: التمايز في الفضل وفضله: مزاه، والتفاضل بين القوم: أن يكون بعضهم أفضل من بعض، ورجل فاضل: ذو فضل.

ويقال: فضل فلان على غيره: إذا غلب بالفضل عليهم^(١).

قال تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وعرفه الراغب بقوله: الفضل: الزيادة عن الاقتصار، وذلك ضربان:

(١) لسان العرب (فضل) (٣١٠/١٠).

محمود كفضل العلم والحلم، ومذموم كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه، والفضل في المحمود أكثر استعمالاً^(١).

وفي الاصطلاح: هو بيان ما خص الله به ﷺ كتابه العزيز من الفضل وبعض سوره وآياته.

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

للقرآن الكريم فضل كبير وعظيم، كيف لا وهو كتاب ختم الله به الكتب وأنزله على نبي ختم به الأنبياء والرسل وجعله هدى للناس قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فأعظم ما يستشعره المؤمن من فضل القرآن أنه كلام رب العالمين، كلامٌ مَنْ ليس كمثله شيء، ونظرًا لهذا الفضل العظيم للقرآن الكريم فقد وصفه سبحانه بكل وصف كريم، وخير من يعرفنا بالقرآن هو منزل القرآن ﷺ فقد وصف كتابه بخير أوصاف: بأنه ميسر للذكر، وبأنه صرَّف فيه الأمثال، وبأنه كتاب عربي مفصل، وبأنه محكم، كما طلب إلى الرسول ﷺ أن يبينه لأمته، كما طلب منا أن نتدبره ونتفكر في آياته فهو معجز خالد.

وكما بيَّن القرآن فضائله في كثير من الآيات فقد بيَّن رسول الله ﷺ بعض فضائل سوره وآياته والحث على تعلمه وتعليمه والعناية به وتعاوده.

فكانت تلك الآثار والأحاديث نواة لهذا العلم من علوم القرآن فأفردها علماء عديدون على مر العصور بالتأليف، فحَبَرُوا فيها أسفارًا

(١) مفردات غريب القرآن (فضل) (ص ٦٣٩).

كما نشرها المفسرون والمؤلفون في علوم القرآن بين ثنايا كتبهم، بعضهم اقتصر على الصحيح منها، وبعضهم خلط الصحيح بالضعيف، وقد شرط ابن جزي على نفسه ألا يذكر منها إلا ما صح كما سيأتي في بيان منهجه، والله أعلم.

المطلب الثاني

موقف ابن جزي في مسألة فضائل القرآن

عقد ابن جزي رحمته الله باباً خاصاً بفضائل القرآن في مقدمة تفسيره فقال: (الباب الثاني عشر في فضل القرآن، وإنما نذكر منه ما ورد في الحديث الصحيح). ثم سرد أحاديث تتعلق بالحث على قراءة القرآن وحفظه وفضل تعلمه، ثم ذكر فضائل بعض السور مثل فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة وسورة البقرة وآية الكرسي وآل عمران وعشر آيات من سورة الكهف وفضائل سورة الإخلاص والمعوذتين.

وفضائل السور والآيات التي ذكرها في مقدمته اكتفى بها ولم يذكرها أثناء تفسيره لها، ولكننا نجده قد ذكر فضائل أخرى للسور والآيات التي ورد فيها أحاديث تدل على فضلها أثناء تفسيره.

ومن خلال ما ذكره ابن جزي نستطيع أن نلخص أبرز مواقفه في مسألة فضائل القرآن في النقاط التالية:

- ذكر ما صح من الأحاديث الصحيحة الواردة في فضائل السور والآيات في الغالب الأعم.

- عدم التوسع في ذكر الفضائل دون تحرُّ وتمحيص، كما عند بعض المفسرين.

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراساتها

ذكر ابن جزري رحمته الله في مقدمته لتفسيره بعض الفضائل الواردة في بعض السور فقال: (عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: (هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَانْزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبَشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيْتَهُمَا لَمْ يُؤْتِيَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ))^(١).

وقال أيضاً: (وعن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال: (افْرُؤُوا الْبَقَرَةَ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ))^(٢).

وقال أيضاً: (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ؛ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ))^(٣).

وعن أبي بن كعب قال: (قال رسول الله ﷺ: (يَا أَبَا الْمُنْذِرِ! أَتَذَرِي أَيَّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: (لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ))^(٤).

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة برقم (٨٠٦).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة برقم (٨٠٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد برقم (٧٨٠).

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي برقم (٨١٠).

وقال أيضًا: وعن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَأَلْ عِمْرَانَ، وَضُرِبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةُ أَمْثَالٍ مَا نَسِيْتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: وَإِنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظِلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَانَتْهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا)^(١).

ثم ذكر فضل عشر آيات من أول سورة الكهف فقال: (وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ))^(٢).

ثم ذكر فضل سورة الإخلاص والمعوذتين فقال: (وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: (سُورَةُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ))^(٣).

وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: (أَلَمْ تَرَ آيَاتِ أَنْزَلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾)^(٤).

وعند مطلع سورة الملك قال: (ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه وأنه ﷺ قال: (إِنَّهَا تُنَجِّي

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة برقم (٨٠٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي برقم (٨٠٩).

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ برقم (٨١١).

(٤) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين برقم (٨١٤).

مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ^(١) ^(٢).

• وأما النماذج التطبيقية في تفسيره:

فعند سورة الواقعة قال: (روى ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ، لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا))^(٣).

وعند سورة الكافرون قال: (قال رسول الله ﷺ: (مَنْ قَرَأَهَا فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الشُّرْكِ))^(٤).

وعند تفسيره لخواتيم سورة الحشر قال: (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قرأتُ على النبي ﷺ، فلَمَّا انتهيتُ إلى خاتمةِ الحشرِ قال لي: (ضَعْ يَدَكَ عَلَى رَأْسِكَ)، قلتُ: وَلِمَ ذَاكَ يا رسولَ اللهِ فِذَاكَ قال لي: (مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ، لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَدًا))^(٣).

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء في سورة الملك برقم (٣٠٥٢).

(٢) التسهيل (٢٤٨/٤).

(٣) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٦٨٠)، وأخرجه البيهقي في الشعب رقم (٢٤٩٨)، وجمع ابن حجر طرق الحديث ثم ذكر فيها ثلاثة اضطرابات (اللسان: ٦٣/٧).

قال المناوي: وفيه أبو شجاع، قال في الميزان: نكرة لا يعرف، ثم أورد هذا الخبر من حديثه عن ابن مسعود رضي الله عنه. قال ابن الجوزي في العلل: قال أحمد: هو حديث منكر.

وقال الزيلعي تبعاً للجمع: هو حديث معلول من وجوه:

أحدها الانقطاع كما بينه الدارقطني، ونكارة متنه كما ذكره أحمد، وضعف رواته كما قاله ابن الجوزي، واضطرابه.

وقد أجمع على ضعفه أحمد وأبو حاتم وابنه والدارقطني والبيهقي وغيرهم. اهـ. (فيض القدير: ٢١٣/٦).

وقال الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع رقم (٥٧٧٣)، والسلسلة الضعيفة رقم (٢٨٩).

(٤) رواه الترمذي (٤٧٤/٥) رقم (٣٤٠٣) وصححه الألباني رقم (٢٧٠٩). وأخرجه البيهقي في الشعب (٤٩٨/٢) رقم (٢٥١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٦١) من حديث أبي فروة الأشجعي.

أَبِي وَأُمِّي؟ قَالَ: (أَقْرَأَنِي جَبْرِيلُ الْقُرْآنَ، فَضَرَبَ فِيهِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى خَاتِمَةِ الْحَشْرِ قَالَ لِي: ضَعْ يَدَكَ عَلَى رَأْسِكَ يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: وَلِمَ ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى افْتَتَحَ الْقُرْآنَ فَضَرَبَ فِيهِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى خَاتِمَةِ الْحَشْرِ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ تَضَعَ يَدَهَا عَلَى رُؤُوسِهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبَّنَا وَلِمَ ذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّهُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ، وَالسَّامُ الْمَوْتُ)^(١).

والذي يتضح أن ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ قد غرِبَ الأحاديث الواردة في فضائل سور وآيات القرآن، فأبقى منها الصحيح في الغالب الأعم وصرف ما ليس كذلك، ولم يكن من المتوسعين في ذكر الفضائل دون تمحيص وتحريٍّ كما فعل بعضهم بذكر فضيلة لكل سورة من سور القرآن.



(١) الدر المنثور (١٢١/٨) ونسبه في الجامع الصغير إلى ابن عدي وإلى البيهقي في الشعب، وقال الألباني في تحقيقه: ضعيف جداً. وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه، انظر: الدر المنثور (١٢١/٨) ووروده في الخطيب البغدادي مظنة الضعف.

لِلْبَحْثِ الثَّانِي

نزول القرآن وجمعه وترتيبه وأثره في تفسيره

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة نزول القرآن وجمعه وترتيبه.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً: التعريفات:

النزول لغة: الحُلُول.

يقال: نزل فلان بالمدينة: حَلَّ بها، وبالقوم: حَلَّ بينهم.

وفي الأصل: انحطاط من علو.

يقال: نزل عن دابَّته، ونزل في مكان كذا: حَطَّ رَحْلَه فيه^(١).

واصطلاحاً: عرّفه شيخ الإسلام ابن تيمية^(٢) بقوله: (القرآن كلام الله

(١) انظر: لسان العرب (نزل) (١٤/١٢١)، بصائر ذوي التمييز (١/٤٩).

(٢) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني علم الأعلام، وشيخ الإسلام، ولد عام (٦٦١هـ) وأخذ عن ابن المنجي، والمجد بن عساكر، وابن عبد القوي وأخذ عنه ابن قيم الجوزية، وشمس الدين الذهبي، وابن الوردي، له =

لفظه ومعناه، سمعه منه جبريل بلا واسطة، وبلغه عن الله ﷻ إلى محمد ﷺ ومحمد ﷺ سمعه من جبريل ﷺ وبلغه أمته، فهو كلام الله حيث سُمِعَ وَكُتِبَ وَقُرِئَ كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتْلُفْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ يَأْتِيَهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦٦] ^(١).

والجمع لغة: جَمَعَ الشيءَ عن تَفْرِقَةٍ يَجْمَعُهُ جَمْعًا.

وجمعتُ الشيءَ إذا جثت به من هنا وهاهنا، واجتمعوا أيضًا من هنا، وهاهنا ^(٢).

الترتيب لغة: رَتَبَ الشيءَ يَرْتُبُ رُتُوبًا، وَتَرَتَّبَ: ثَبَتَ فَلَمْ يَتَحَرَّكْ، وَرَتَّبَهُ تَرْتِيبًا: أَثْبَتَهُ، وَعَيْشُ رَاتِبٍ: ثَابِتٌ دَائِمٌ، وَأَمْرٌ رَاتِبٌ: أَيْ: دَائِرٌ ثَابِتٌ ^(٣).

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

القرآن الكريم كتاب الأمة وأصل شرعها، به صار العرب أمة واحدة مؤمنة متألّفة القلوب متحدة اللسان، ومنه يستمدون علومهم ومعارفهم، فما من علم من علومهم إلا وله بالقرآن سبب ولهم منه ورْدٌ ومَدَدٌ، فحفظوه وفهموا معناه، وعملوا به وتابَعُوا على خدمته.

والقرآن العظيم: المنزل على خاتم النبيين المنقول إلينا بالتواتر المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر الناس.

= مؤلفات عظيمة منها: الإيمان، والتدمرية، ورفع الملام، والفتاوى، واقتضاء الصراط المستقيم. توفي ﷺ عام (٧٢٨هـ). انظر: فوات الوفيات للكتبي (١/٣٥ - ٤٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٤/١٣٥).

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢/٣٠٣).

(٢) انظر: لسان العرب (جمع) (٢/٤١٧)، المصباح المنير (جمع) (ص ٦٠).

(٣) معجم مقاييس اللغة (رتب) (٢/٤٨٦)، لسان العرب (رتب) (٥/١٤٩).

الذي أنزله الله خالداً على مر العصور لا يجد الناس سبيلاً إلى تحريفه أو تبديله أو نقص شيء من أحكامه وشرائعه.

أنزله الله على رسوله فكان بحق: التشريع الصالح للعباد في الدارين، وأراد الله سبحانه لهذا القرآن أن يكون حجة على الأمم إلى قيام الساعة، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما جاء وصفه (فِيهِ نَبَأٌ مَّا قَبْلُكُمْ، وَخَبَرٌ مَّا بَعْدُكُمْ، وَحُكْمٌ مَّا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهُ الْجِنَّ إِذْ سَمِعْتُهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ [الجن: ١ - ٢]، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجَرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(١).

قال الترمذي: (هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث مقال).

قال الإمام ابن كثير معقبا على كلام الترمذي: (لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات؛ بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور، فبرئ حمزة من عهده، على أنه وإن كان ضعيف الحديث إلا أنه إمام في القراءة، والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده أما أنه يتعمد الكذب في الحديث فلا والله أعلم.

(١) سنن الترمذي برقم (٢٩٠٦)، وسنن الدارمي (٣١٢/٢ - ٣١٣)، والمصنف لابن أبي شيبة (٤٨٢/١٠).

وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح^(١).

والعلم بنزول القرآن له أهمية كبرى في الوقوف على عليّة الحكم أمراً ونهياً وبيان مقاصد القرآن، فإن العلم بالسبب يتوقف عليه العلم بالمسبب كما قرر العلماء.

وإذا رجعت إلى الكتب المعنية بعلوم القرآن تجده في الصدارة، وحق له أن يكون كذلك فكيف يقوم البناء على غير أساس ولا دعائم؟

المطلب الثاني

موقف ابن جزي

في مسألة نزول القرآن وجمعه وترتيبه

✽ أولاً: موقف ابن جزي في مسألة مدة نزول القرآن:

ذكر ابن جزي رحمه الله قولين في مدة نزول القرآن على رسول الله ﷺ:

الأول: أن مدة نزوله عشرون سنة.

الثاني: ثلاث وعشرون سنة.

وإن كانت إشارته إلى هذا القول بصيغة التمریض مما يدل دلالة واضحة على تقديم الأول وهو خلاف الراجح.

ومما يدل على ترجيحه القول الأول: ما ذكره في مقدمة تفسيره فقال: (ثم ما أقدم غيره عليه إشعاراً بترجيح المتقدم)^(٢).

وما ذكره عند قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

قال: (إنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء ثم نزل به

جبريل إلى الأرض بطول عشرين سنة^(١).

وهذا الترجيح لم يرتضه الجُم الغفير من العلماء.

ومثار الخلاف في هذه المسألة يرجع عند ابن جزي رحمته الله ومن قال بقوله إلى الاختلاف في سنه يوم توفي فيقول: (في نزول القرآن على رسول الله ﷺ من أول ما بعثه الله بمكة وهو ابن أربعين سنة إلى أن هاجر إلى المدينة، ثم نزل عليه بالمدينة إلى أن توفاه الله فكانت مدة نزوله عليه عشرين سنة.

وقيل: كانت ثلاثاً وعشرين سنة على حسب الاختلاف في سنه ﷺ يوم توفي هل كان ابن ستين سنة أو ثلاث وستين سنة؟^(٢).

ومستنده فيما ذهب إليه ما جاء في حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالوا: لَبَّثَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، وبالمدينة عشر سنين^(٣).

ورجح الجمهور أنه توفي وعمره ثلاث وستون سنة؛ لِمَا ثَبَتَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَوَفَّى وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ^(٤).

قال ابن حجر: (فالمعتمد أنه عاش ثلاثاً وستين، وما يخالف ذلك إِمَّا أَنْ يُحْمَلَ عَلَى إلْغَاءِ الْكُسْرِ فِي السَّنِينَ وَإِمَّا عَلَى جَبْرِ الْكُسْرِ فِي الشُّهُورِ)^(٥).

وعند تعليقه على حديث عائشة وابن عباس المتقدم آنفاً قال: (وأما حديث الباب فيمكن أن يجمع بينه وبين المشهور بوجه آخر، وهو أنه

(١) التسهيل (٤/٤٠٢).

(٢) التسهيل (١/٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي برقم (٤٩٧٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب وفاة النبي ﷺ برقم (٤٤٦٦).

(٥) فتح الباري (٩/٤).

بُعِثَ عَلَى رَأْسِ الْأَرْبَعِينَ؛ فَكَانَتْ مَدَّةُ وَحْيِ الْمَنَامِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ إِلَى أَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ فِتْرَةٍ، ثُمَّ فُتِرَ الْوَحْيُ ثُمَّ تَوَاتَرَ وَتَتَابَعَ فَكَانَتْ مَدَّةُ تَوَاتُرِهِ وَتَتَابُعِهِ بِمَكَّةَ عَشَرَ سِنِينَ^(١).

وقد جمع السهيلي بين القولين المحكيين بوجه آخر: (وهو أن من قال: مكث ثلاث عشرة عَدَّةً مِنْ أَوَّلِ مَا جَاءَ الْمَلِكُ بِالنَّبُوءَةِ، وَمَنْ قَالَ: مَكَّثَ عَشْرًا أَخَذَ مَا بَعْدَ فِتْرَةِ الْوَحْيِ وَمَجِيءَ الْمَلِكِ^(٢) بِـ ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّتُّرُ﴾ [المدثر: ١]).

وأيد ابن كثير قول ابن عباس في نزول القرآن في ثلاث وعشرين سنة برواية عكرمة عنه حيث قال: (وقوله: ﴿وَقَرَأْنَا مَا فَرَّقْنَاهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦]).

في قراءة من قرأ بالتخفيف فمعناه: فصلناه من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفرقًا منجمًا على الوقائع إلى رسول الله في ثلاث وعشرين سنة^(٣).

وفي رواية هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس: (لَبِثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَبُعِثَ لِأَرْبَعِينَ وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ) وهذا موافقٌ لقول الجمهور^(٤).

وقال أبو شهبه: (بعد التدقيق والتحقيق تبين أن مدة نبوته ثلاث وعشرون سنة، إذا أنقصنا منها مدة الرؤيا الصادقة من ربيع الأول إلى رمضان حيث نزلت عليه آيات ﴿أَفْرَأَ﴾ [العلق: ١] من السنة الأولى من بعثته ﷺ والمدة التي عاشها بعد نزول آخر آية من القرآن تبين أن مدة تنجيم القرآن اثنتان وعشرون سنة وخمسة أشهر وأربعة عشر يومًا^(٥)).

والقول الراجح أنه ﷺ لبث في مكة ثلاث عشرة سنة ينزل عليه

(٢) المصدر السابق (٨/١٥١).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٨/١٥١).

(١) فتح الباري (٩/٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/٦٨).

(٥) المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص ٥٢).

القرآن، وبالمدينة عشر سنين، وتوفي وعمره ثلاث وستون سنة، وعلى هذا تكون مدة نزول القرآن ثلاثاً وعشرين سنة، والله أعلم.

❖ ثانيًا: موقف ابن جزري في مسألة أول ما نزل من القرآن :

ذكر ابن جزري ثلاثة أقوال في أول ما نزل عليه من القرآن ورجح أحدهما.

فقال في مقدمته: (... وكان ربما ينزل عليه سورة كاملة، وربما تنزل عليه آيات متفرقات فيضم ﷺ بعضها إلى بعض حتى تكتمل السورة، وأول ما نزل عليه من القرآن صدر سورة العلق ثم المدثر والمزمل، وقيل: أول ما نزل المدثر، وقيل: فاتحة الكتاب. والأول هو الصحيح؛ لما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة في حديثها الطويل في ابتداء الوحي قالت فيه: جاءه الملك وهو بغار حراء...) (١).

رجح ابن جزري القول بأن أول ما نزل من القرآن سورة ﴿أقرأ﴾ [العلق: ١] مستدلًا بحديث عائشة رضي الله عنها الصحيح.

ويدل عليه أيضًا تفسيره لسورة العلق فقال: (نزل صدرها بغار حراء، وهو أول ما نزل من القرآن حسبما ورد عن عائشة رضي الله عنها في الحديث الذي ذكرناه في أول الكتاب - أي: الذي ذكره في مقدمته -) (٢).

وصرح بها عند تفسيره لسورة المدثر حيث قال: (وقيل: إن هذه أول سورة نزلت من القرآن...، والصحيح أن سورة ﴿أقرأ﴾ [العلق: ١] نزلت قبلها) (٣).

وذهب إلى هذا القول أكثر المفسرين والعلماء، فالباقلاني يراه

(٢) التسهيل (٤/٣٩٧).

(١) التسهيل (١/٨).

(٣) التسهيل (٤/٢٩٧).

أثبت الأقاويل^(١)، وينقل ابن عطية عن الزهري أنه الأصح في رأي جمهور العلماء ويوافقهم^(٢).

ورجحه أبو حيان^(٣)، وابن كثير ونسبه للجمهور^(٤)، والزرکشي^(٥)، وابن حجر ونسبه إلى أكثر الأئمة^(٦)، والسيوطي^(٧)، ويراہ أبو السعود الأقرب^(٨)، واختاره الآلوسي ونسبه إلى أكثر الأئمة^(٩).

قال النووي في شرحه لحديث عائشة رضي الله عنها - سابق الذكر -: (هذا دليل صريح في أول ما نزل من القرآن ﴿أَقْرَأْ﴾ [العلق: ١] وهذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف)^(١٠).

القول الثاني: أول ما نزل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَنِيُّ﴾ [المدثر: ١].

ذكر ابن جزي هذا القول ولكنه لم يرجحه، فقد قال: (وقيل: إن هذه السورة - أي: سورة المدثر - أول سورة نزلت من القرآن، والصحيح أن سورة اقرأ نزلت قبلها)^(١١).

وهذا القول يعرف عند العلماء بمذهب الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ لِمَا ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ فِتْرَةِ الْوَحْيِ، قَالَ فِي حَدِيثِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِجَاءٍ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ فَجِئْتُ مِنْهُ فَرَقًا، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَرُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَنِيُّ﴾ ① قُرْ فَأَنذِرْ ② وَرَبِّكَ فَكْذِرْ ③ وَنَبَاكَ فَطَفِّرْ

(٢) المحرر الوجيز (٣٩٢/٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٩/١).

(٦) فتح الباري لابن حجر (٥٧٩/٩).

(٨) إرشاد العقل السليم (١٧٧/٩).

(١٠) شرح صحيح مسلم (٢٥٤/٢).

(١) الانتصار (ص ٢١٤).

(٣) البحر المحيط (٤٨٨/٨).

(٥) البرهان (٩٣/١ - ٣٩٢/٥).

(٧) الإتيان (٧٦/١).

(٩) روح المعاني (١٢٨/١٥).

(١١) التسهيل (٢٩٧/٤).

﴿وَالرَّجْرَ فَأَهَبْتَ﴾ [المدر: ١ - ٥] ^(١).

وهذا القول يذكره أكثر العلماء بصيغة التمرىض، وغاية ما يذكرونه أن له أولية مقيدة وليست أولية مطلقة.

قال النووي: (قيل: ﴿يَأْتِيَا الْمَدْيَنَةَ﴾ [المدر: ١] أول ما نزل وليس بشيء) ^(٢).

وفي شرحه لحديث جابر رضي الله عنه: (أن أول ما أنزل: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيَا الْمَدْيَنَةَ﴾ ضعيف بل باطل، والصواب: أن أول ما نزل على الإطلاق ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] كما صرح به في حديث عائشة رضي الله عنها، وأما ﴿يَأْتِيَا الْمَدْيَنَةَ﴾ فكان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر، والدلالة صريحة فيه) ^(٣).

وممن سلك هذا المسلك أيضاً في الجمع بين حديث عائشة وحديث جابر رضي الله عنه في الصحيحين: الزركشي فقال: (بأن جابراً سمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكر قصة الوحي فسمع آخرها ولم يسمع أولها فتوهم أنها أول ما نزلت وليس كذلك) ^(٤).

وقال أيضاً: (أول ما نزل للرسالة ﴿يَأْتِيَا الْمَدْيَنَةَ﴾ وللنبوة ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾) ^(٥).

وجمع ابن حجر بين الروايتين فقال: (المراد بالأولية في حديث جابر رضي الله عنه أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي، أو مخصوص بالأمر والإنذار لا المراد أنها أولية مطلقة، فكان من قال: أول ما نزل ﴿أَقْرَأْ﴾ أراد أولية مطلقة، ومن قال: إنها ﴿الْمَدْيَنَةَ﴾ أراد التصريح بالإرسال) ^(٦).

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، رقم (٤٩٢٥)، ومسلم، رقم (١٦١)، والترمذي، رقم (٣٣٢٥) وقال عنه: حديث حسن صحيح.

(٢) شرح صحيح مسلم (٢/٢٥٤). (٣) المصدر السابق.

(٤) البرهان (١/٢٩٤). (٥) المصدر السابق.

(٦) فتح الباري (٨/٦٧٨).

ونقل ابن حجر عن الكرمانى أنه قال: (استخرج جابر رضي الله عنه أول ما نزل ﴿يَأْتِيَا الْمَدْيَنَ﴾ [المدر: ١] باجتهاد وليس من رواية^(١)).

ولا يخفى ما في كلام الكرمانى من ضعف؛ فإن ما ذكره جابر يرويه بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدلالة قول أبي سلمة له: أنبت أنه ﴿أَقْرَأَ بِأَسْرِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] فما كان من جابر إلا أن قال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... الحديث. فكيف يكون هذا اجتهداً؟!

وكان السيوطي قد ذكر ما أورده الزركشي وابن حجر وزاد عليه بقوله: (إن السؤال كان عن نزول سورة كاملة، فبيّن أن سورة المدر نزلت بكاملها قبل تمام سورة اقرأ)، وتعقبه بأنهما أحسن جوابين في التوجيه^(٢).

وواضح أنه لولا أثر جابر رضي الله عنه الصحيح لما وقع الخلاف بين العلماء، ومع ذلك فإنه لا تعارض بين المروي عن عائشة وجابر رضي الله عنهما، فالقرائن المستخلصة مما رواه جابر رضي الله عنه تدل على تقييد أولية المدر، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم حدثه بمجيء جبريل عليه السلام إليه في غار حراء ولم يحدثه بنزول الوحي، فجابر رضي الله عنه حدث بما علم، ثم إن هذا مذهب فرد من الصحابة، والصحابي قد يقع منه الغلط فليس بمعصوم.

فهذه القرائن لا تدع أحداً يتردد في ترجيح المروي عن عائشة رضي الله عنها.

القول الثالث: أن أول ما نزل فاتحة الكتاب.

ذكر ابن جزى هذا القول بصيغة التمرىض: (... وقيل: فاتحة الكتاب)^(٣).

(٢) الإتقان (١/٧٩).

(١) فتح الباري (٨/٦٧٨).

(٣) التسهيل (١/٨).

وهذا القول ضعيف جداً لكنه يذكر في كتب التفسير وعلوم القرآن .
ولقد زعم الزمخشري أن أكثر المفسرين يقولون: الفاتحة أول ما
نزل ثم سورة القلم^(١) .

وهذا الكلام لا يتوافق مع الواقع، ورد عليه ابن حجر بقوله: (وأما
الذي نسبته إلى الأكثرية فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى مَنْ
قال بالأول - أي: سورة اقرأ -)^(٢) .

وذهب إلى هذا القول الزركشي فقال: (إن أول ما نزل من الآيات
﴿اقْرَأْ بِأَسْمَاءِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] وأول ما نزل من أوامر التبليغ ﴿يَا أَيُّهَا
الْمُذْنِبُ﴾ [المدثر: ١] وأول ما نزل من السور سورة الفاتحة)^(٣) .

وقد رد الباقلاني هذا القول بقوله: (وأما الخبر في الفاتحة فمنقطع
غير متصل السند لأنه موقوف على أبي ميسرة)^(٤) .

وقال النووي: (وأما قول من قال من المفسرين: أول ما نزل
الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر)^(٥) وتابعه على هذا الآلوسي^(٦) .

ورد هذا القول الزرقاني في «مناهل العرفان»^(٧) .

وممن ذكر الأقوال في الأوليّة دون ترجيح شيخ المفسرين الطبري،
فقد ذكر المروي في أولية العلق والمدثر دون أن يتعقب ذلك بترجيح أو
نقد^(٨) .

وهذا الفخر الرازي يذكر هذين القولين والقول بأوليّة الفاتحة دون
ترجيح^(٩) .

(٢) فتح الباري (٧١٤/٨).

(٤) الانتصار (ص ٢٤١).

(٦) روح المعاني (٤٠٠/١٥).

(٨) جامع البيان (١٧٠/٢٩).

(١) الكشاف (٧٦٦/٤).

(٣) البرهان (٢٩٤/١).

(٥) شرح صحيح مسلم (٢٦٠/٢).

(٧) مناهل العرفان (٩٣/١).

(٩) التفسير الكبير (١٥٩/١).

وكذلك البيضاوي^(١).

وبناء على هذا العرض فالقول بأن أول ما نزل على الإطلاق (اقرأ) هو الراجح في قول أكثر المفسرين والعلماء لوضوح الأدلة فيه، وهو الذي رجحه ابن جزي، والله أعلم.

❖ ثالثاً: موقف ابن جزي في مسألة جمع القرآن وكتابته:

قال ابن جزي: (وكان القرآن على عهد رسول الله ﷺ متفرقاً في الصحف، وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب عليه السلام في بيته فجمعه على ترتيب نزوله ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير ولكنه لم يوجد)^(٢).

وواضح من كلام ابن جزي هنا أنه يرى أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو أول من جمع المصحف، وأن مصحفه عليه السلام تميز بأنه كان على ترتيب النزول، أوله (اقرأ) ثم (المدثر) ثم (ن) ثم (المزمل) ثم (التكوير) ثم (سبح) ... وهكذا إلى آخر المكي ثم المدني.

فهذا الأثر الوارد عن علي عليه السلام قد تكلم العلماء في سنده وفي متنته:

فقد روى ابن أبي داود في كتابه «المصاحف» بسنده عن أشعث عن محمد بن سيرين قال: لما توفي رسول الله ﷺ أقسم عليّ ألا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف، ففعل، فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام: أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا والله، إلا أنني أقسمت ألا أرتدي برداء إلا الجمعة فبايعه ثم رجع^(٣).

(٢) التسهيل (٩/١).

(١) أنوار التنزيل (٢٥٩/٥).

(٣) المصاحف (ص ١٠).

فمن حيث السند قال ابن أبي داود: لم يذكر «المصحف» إلا أشعث وهو لين الحديث^(١). ويقصد بذلك: أنه لم تَرُدْ لفظة المصحف في الأثر الوارد عن علي عليه السلام.

وأما ابن حجر فقد ضعف الرواية لانقطاعها^(٢).

وأما من حيث المتن: فقد ذكر أهل العلم أن معنى: (حتى يجمع القرآن)؛ أي: يتم حفظه في صدره لا كتابته. قال ابن أبي داود: لم يذكر (المصحف) إلا أشعث وهو لين الحديث، وإنما رووا: حتى أجمع القرآن؛ بمعنى أُنِيتُ حِفْظُهُ؛ فإنه يقال للذي يحفظ القرآن: قد جمع القرآن^(٣).

وقال ابن حجر: (وعلى تقدير أن يكون محفوظًا فمراده بجمعه حفظه في صدره)^(٤).

فالقول الصحيح والذي تدل عليه الروايات الصحيحة، وهو قول جمهور العلماء، أن أول من جمع القرآن هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

فقد أخرج ابن أبي داود بسند حسن عن عبد خير قال: سمعت عليًا يقول: أعظم الناس في المصاحف أجرًا أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر فهو أول من جمع كتاب الله^(٥).

وقال ابن حجر: (وما تقدم من رواية عبد خير عن علي أصح، فهو المعتمد)^(٦).

فلصحة هذه الروايات؛ ولأن الأثر الذي فيه أن عليًا رضي الله عنه جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ لا يصح، وليس فيه حجة أو عمدة لمن يحتج به، فأبو بكر رضي الله عنه أول من جمع القرآن وبشهادة علي رضي الله عنه.

(٢) فتح الباري (٩/١٢).

(٤) فتح الباري (٨/٦٢٩).

(٦) فتح الباري (٩/٦٢٩).

(١) المصاحف (ص ١٠).

(٣) المصاحف (ص ١٠).

(٥) المصاحف (ص ٥).

وأما قول ابن جزي رحمه الله عن مصحف علي عليه السلام: (ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير ولكنه لم يوجد)^(١).

فلا يعلم ما وجه التحسر الذي ذكره ابن جزي في عدم وجود مصحف علي عليه السلام! إن كان للجمع، فإن جمع القرآن وحفظه قد تكفل الله به وهياً له من يجمعه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقد يكون تحسره في رأي علي عليه السلام في ترتيب النزول كما قال ابن حجر: (إن مصحف علي كان على ترتيب نزول القرآن، أوله (اقرأ) ثم (المدثر) ثم (ن) ثم (القلم) ثم (المزمل) ثم (تبت) ثم (التكوير)...)^(٢).

وعلى تقدير هذا فإن الترتيب ليس هو الترتيب الذي جمع به أبو بكر عليه السلام وعثمان من بعده وأجمعت الأمة سابقاً ولاحقاً على ما هو موجود الآن.

ولكن يمكن أن يقال إن تحسّر ابن جزي على ما في مصحف علي عليه السلام من تعليقات وتفسيرات من علي عليه السلام ومواضيع متعلقة بعلوم القرآن، كما قال السيوطي: (وأخرجه ابن أشته في المصاحف من وجه آخر عن ابن سيرين وفيه: أنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ)^(٣). فيكون تحسره من هذه الوجهة فقط فهو مقبول، وأما ما عداه فلا وجهة للتحسر على فواته، والله أعلم.

(١) التسهيل (٩/١).

(٢) فتح الباري (٤٢/٩).

(٣) الإتيان (٢٠٤/١).

لِلْبَحْثِ الثَّلَاثِ

الوحي وأثره في تفسيره

وفيه مطلبان:

• المطلب الأول: التعريفات.

• المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة الوحي.

* * *

المطلب الأول

التعريفات

❖ التعريفات:

الوحي لغة: الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء.

فالوحي: الإشارة.

والوحي: الكتاب والرسالة.

وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان، وأوحى الله تعالى ووحي^(١) قال: (وَحَىٰ لَهَا الْقَرَارَ فَاسْتَقَرَّتْ)^(٢).

وعرّفه الراغب بقوله: (أصل الوحي الإشارة السريعة؛ ولتضمن

(١) معجم مقاييس اللغة (وحي) (٩٢/٦).

(٢) شطر بيت من رجز للعجاج. انظر: ديوانه (ص ٢١٨).

السرعة قيل: أمر وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة^(١).

وعرفه ابن جزي رَضِيَ اللَّهُ فِيهِ في مقدمة تفسيره الثانية بقوله: (أوحى يوحى وحيًا له ثلاثة معان: كلام الملك من الله للأنبياء. ومنه قيل للقرآن: وحي وبمعنى الإلهام ومنه: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] وبمعنى الإشارة. ومنه: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَخِجُوا﴾ [مريم: ١١؛ أي: أشار]^(٢).

وهذا التعريف الذي عرّف به ابن جزي الوحي هو تعريف اصطلاحي وهو لا يبعد عن معناه اللغوي.

واصطلاحًا: أن يُعَلِّمَ الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر^(٣).

المطلب الثاني

موقف ابن جزي في مسألة الوحي

❖ أولاً: الوحي وأنواعه في تفسيره:

في آية النحل قال ابن جزي: (فإن الوحي على ثلاثة أنواع: وحي كلام، ووحى منام، ووحى إلهام)^(٤).

وفي آية الشورى قال: (بيّن الله تعالى فيها كلامه لعباده وجعله على ثلاثة أوجه:

(١) مفردات غريب القرآن (وحي) (ص ٨٥٨).

(٢) مناهل العرفان (١/٥٦).

(٣) التسهيل (١/٧٧).

(٤) التسهيل (٢/٢٩٧).

أحدهما: الوحي المذكور أولاً وهو يكون بإلهام أو منام.

والآخر: أن يُسْمِعَهُ كلامه من وراء حجاب.

الثالث: الوحي بواسطة الملك وهو قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾

[الشورى: ٥١]؛ يعني: ملكًا فيوحي بإذنه ما يشاء إلى النبي وهذا خاص بالأنبياء^(١).

فابن جزري يرى أن صور الوحي تكون على ثلاثة أنواع:

الأول: وحي كلام. فتفسيره لآية الشورى تبين أنه يقصد بوحي الكلام أنه يكون على نوعين: أن يكلمه الله من وراء حجاب أو يكلمه الله بواسطة الملك.

الثاني: وحي منام.

الثالث: وحي إلهام.

فالنوعان الثاني والثالث يدخلان في المراد بكيفية الوحي إذا أطلقت في اللفظ، كما قال ابن جزري عند تفسيره لآية النحل ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ﴾ [٦٨]: (الوحي هنا بمعنى: الإلهام)^(٢).

وعند تفسيره آية القصص ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ أَنِ اقْضِ عَنَّا صُلْحًا﴾ [٧] اختلف هل كان هذا الوحي بإلهام أو كلام بواسطة الملك؟^(٣)، وعند تفسيره لآية الشورى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [٥١] قال: (بين الله تعالى فيها كلامه لعباده وجعله على ثلاثة أوجه:

أحدهما: الوحي المذكور أولاً وهو الذي يكون بإلهام أو منام)^(٤).

(١) التسهيل (٤٥/٤).

(٢) التسهيل (٢٩٧/٢).

(٣) التسهيل (١٨٨/٣).

(٤) التسهيل (٤٥/٤).

وفي كلام ابن جزى دقة في اختيار الألفاظ، ففي آية النحل ذكر أنواع الوحي، وفي آية الشورى ذكر أنواع كلام الله تعالى لعباده؛ والسبب في ذلك - والله أعلم - أن آية الشورى خصت ذكر الوحي أولاً ثم تلتها الأنواع الأخرى، وإن كان في كلامه ما يدل على أنه وحي لكن وضعه لآية النحل «أنواع الوحي» ولآية الشورى «أنواع كلام الله لعباده» مما يدل على أن له مقصدًا في ذلك.

وخلاصة الأمر: أن أنواع الوحي عند ابن جزى ثلاثة: وحي منام ووحى إلهام ووحى كلام وأن وحي الكلام، يكون على ثلاثة أوجه:

- أن يكلمه الله من وراء حجاب.

- أن يكلمه الله بواسطة الملك.

- أن يكون بالمنام أو بالإلهام.

❖ ثانيًا: خصوصية الوحي وأثرها في تفسيره:

بيّن ابن جزى أن الوحي من الله تعالى لعباده على أنواع، وخص لكل نوع من الأنواع أصنافًا من عباده فعند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِإِسْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١].

قال عن هذا النوع: (وأما الأول: فيكون للأنبياء والأولياء كثيرًا وقد يكون لسائر الخلق ومنه ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] ومن منامات الناس)^(١).

وعن النوع الثاني: ﴿أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] قال: (والثاني: خاص بموسى ومحمد ﷺ إذ كلمه الله ليلة الإسراء)^(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّفْلِ﴾ [النحل: ٦٨] قال: (الوحي هنا بمعنى: الإلهام)^(١).

وعن النوع الثالث: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١] قال: (وهذا خاص بالأنبياء)^(٢).

وخلاصة ذلك أن ابن جزى رتب خصوصية الوحي على النحو التالي:

- الوحي بالمنام والإلهام، وهذا للأنبياء والأولياء ولسائر الخلق.
- الوحي من وراء حجاب، وهذا خاص بموسى ومحمد ﷺ.
- الوحي بإرسال رسول، وهذا خاص بالأنبياء وبغيرهم كما ذكر في ثنايا تفسيره.



(١) التسهيل (٢/٢٠٧).

(٢) التسهيل (٤/٤٥).

لِلْبَحْثِ الرَّابِعِ

أسباب النزول وأثره في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة أسباب النزول.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً: التعريفات:

سبب النزول: هو ما نزلت الآية أيام وقوعه^(١).

وقيل: هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه، والمعنى: أنه حادثة وقعت في زمن النبي ﷺ أو سؤال وُجِّه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال^(٢).

❖ ثانياً: أهمية الموضوع:

تكمن أهمية موضوع أسباب نزول القرآن ومعرفته والمراد به في أنه مما يعين على فهم الآيات، وللعلماء في أهميته أقوال:

(٢) انظر: مناهل العرفان (١/٩٩).

(١) انظر: الإتيان للسيوطي (١/٩٠).

قال الإمام الواحدي^(١): (لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها)^(٢).

وقال الإمام ابن دقيق العيد^(٣): (بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن)^(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)^(٥).

وقال الإمام الشاطبي^(٦): (معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران:

أحدهما: أن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال...).

الوجه الثاني: وهو أن الجهل بأسباب التنزيل موقّع في الشُبّه

(١) هو: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أخذ عن جلة شيوخ عصره منهم: عمران بن موسى المغربي وأبو إسحاق الثعلبي حتى صار أستاذاً عصره في التفسير وغيره، له مؤلفات منها تفاسيره الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز وأسباب النزول. توفي سنة (٤٨٦هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٢٤١/٥)، معجم الأدباء (٢٦٠/١٢).

(٢) انظر: أسباب النزول (ص ٢٢).

(٣) هو: محمد بن علي بن وهب أبو الفتح تقي الدين القشيري، إمام حافظ، ولد عام (٦٢٥هـ) سمع من بهاء الدين الشافعي وعبد العظيم المنذري أخذ عنه علاء الدين القونوي وقطب الدين الحلبي له مؤلفات منها: إحكام الأحكام والأمال. توفي سنة (٧٠٢هـ). انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١٤٨١/٤)، فوات الوفيات للكتبي (٤٨٤/٢).

(٤) الإتيان للسيوطي (١/١٩٠). (٥) مقدمة في أصول التفسير (ص ٣٨).

(٦) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق فقيه أصولي حافظ، لغوي أخذ عن محمد بن علي الفخار وابن لب الغرناطي، له مؤلفات جلية منها: الاعتصام والمقاصد الشافية. توفي سنة (٧٩٠هـ). انظر: برنامج المجاري (ص ١١٦).

والإشكالات ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع^(١).

المطلب الثاني

موقف ابن جزي في مسألة أسباب النزول

احتفى ابن جزي رحمته الله في تفسيره احتفاء كبيراً بأسباب النزول في مقدمته وفي ثنايا تفسيره كما هي عادة كثير من المفسرين قبله، فقال في مقدمته:

(... وأما الحديث فيحتاج المفسر إلى روايته وحفظه لوجهين: الأول: أن كثيراً من الآيات في القرآن نزلت في قوم مخصوصين ونزلت بأسباب قضايا وقعت في زمن النبي ﷺ من الغزوات والنوازل والسؤالات، ولا بد من معرفة ذلك ليعلم فيمن نزلت الآية وفيما نزلت ومتى، فإن الناسخ يُبنى على معرفة تاريخ النزول؛ لأن المتأخر ناسخ للمقدم...).

ذكر ابن جزي أسباب النزول عند ذكر الحديث للدلالة على أن مصدرها النقل لا الرأي.

ومنهج ابن جزي فيها يغلب عليه الأمور التالية:

- الاختصار والاقتضاب.
- ذكر ما صح منها في الغالب الأعم.
- وأحياناً يرجع بين الروايات وتارة أخرى لا يرجع.

- وأحياناً يشير إلى السبب مجرد إشارة عابرة مصدراً إياه بصيغة التمريض نحو: (قيل) و(روي).

وهذا يتفق مع ما رسمه في مقدمة كتابه وشرطه على نفسه من عدم التطويل والاقتصار على اللبّ دون القشر.

ولقد أجاد ابن جزى في عرض موضوع أسباب النزول في كتابه، وأدرك تماماً أن لا طريق لمعرفة هذا الباب إلا النقل الصحيح بالرواية وممن شاهدوا التنزيل والاعتماد على ما صح منه والالتزام بذلك، ووظف هذا توظيفاً سليماً في تفسيره وبذل فيها جهداً قدر المستطاع.

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراستها

أشار ابن جزى رحمته الله إلى سبب النزول عند قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فقال: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان للخيط الأبيض لا للأسود لأن الفجر ليس له سواد، والخيط هنا إشارة: يراد بالخيط الأبيض بياض الفجر وبالخيط الأسود، سواد الليل.

وروي أن قوله: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ نزل بعد ذلك بياناً لهذا المعنى؛ لأن بعضهم جعل خيطاً أبيض وخيطاً أسود تحت وسادته وأكل حتى تبين له، فقال له النبي ﷺ: «إِنَّمَا هُوَ بَيَاضُ النَّهَارِ وَسَوَادُ اللَّيْلِ»^(١)،^(٢).

(١) التسهيل (١/١٧٧).

(٢) الحديث أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصَّيِّمَ إِلَى الْيَتْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] برقم (١٩١٦).

ومسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع =

وفي نفس السياق يشير ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿يُؤْمِرُكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، إلى سبب النزول فيقول: (نزلت بسبب بنات سعد بن الربيع^(١)، وقيل: بسبب جابر بن عبد الله^(٢))^(٣).

ويمضي ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان أسباب النزول عند قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْذِّبَاتُ مَأْمُوءَاتٌ لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَاءٍ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠١]. فقال: (قيل: سببها سؤال عبد الله بن خُذَافَةَ: مَنْ أَبِي؟ فقال له النبي ﷺ: «أَبُوكَ خُذَافَةُ»^(٤)).

= الفجر، وأن له الأكل وغيره حتى يطلع الفجر وبيان صفة الفجر الذي تتعلق به الأحكام من الدخول في الصوم ودخول وقت صلاة الصبح، وغير ذلك برقم (١٠٩٠).

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه (١٧٩/٣) عن جابر بن عبد الله قال: (جاءت امرأة سعد بن الربيع بابتنيها) الحديث، وقال: هذا حديث صحيح لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل، وقد رواه شريك أيضًا عن عبد الله بن محمد بن عقيل، وأبو داود في سننه (٨٠/٣)، وابن ماجه في سننه رقم (٢٧٢٠)، والحاكم في مستدركه رقم (٧٩٥٤) والحديث صحيح.

انظر: صحيح أبي داود رقم (٢٥٦٨)، وصحيح ابن ماجه رقم (٢٧٧٧).

(٢) التسهيل (١٩٧/١).

(٣) الحديث أخرجه البخاري، كتاب الفرائض، باب قوله تعالى: ﴿يُؤْمِرُكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ الآية برقم (٦٧٢٣).

ومسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلاله برقم (١٦١٦) وقصة جابر أصح؛ لأنها متفق عليها، وأما قصة بنات سعد بن الربيع ففيها عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو صدوق ضعيف الحفظ، على أنه لا تنافي بين القصتين فيحمل أنها نزلت فيهما معًا.

وقال الحافظ في الفتح: ويحتمل أن يكون نزول أولها في قصة البنتين، وآخرها وهي قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ [النساء: ١٢] في قصة جابر، ويكون مراد جابر: فنزلت: ﴿يُؤْمِرُكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾؛ أي: ذكر الكلاله المتصل بهذه الآية، والله أعلم.

(٤) الحديث أخرجه البخاري، في كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره برقم (٩٢).

وقال آخر: أين أبي؟ قال: «في النار».

وقيل: سببها أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفِي كُلِّ عَامٍ؟ فَسَكَتَ، فَأَعَادُوا، قَالَ: «لَا، وَلَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ»^(١)^(٢).



(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (١٠٦٠٧) عن أبي هريرة، والنسائي في سننه (٥/١١٠ - ١١١)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٥٠٨)، والبيهقي في سننه (٤/٣٢٥ - ٣٢٦).

(٢) التسهيل (١/٤٠٣ - ٤٠٤).

لِلْبَحْثِ الْخَامِسِ

المكي والمدني وأثره في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة المكي والمدني.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً: التعريفات:

للعلماء في تعريف المكي والمدني ثلاثة اصطلاحات:

- ١ - أن المكي: ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها.
- ٢ - المكي: ما نزل بمكة، والمدني ما نزل بالمدينة.
- ٣ - المكي: ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني: ما وقع خطاباً لأهل المدينة^(١).

وعرفه ابن جزي في مقدمته لتفسيره بقوله: (اعلم أن السور المكية هي: التي نزلت بمكة، ويعد منها كل ما نزل قبل الهجرة، وإن نزل بغير

(١) انظر: البرهان للزركشي (١/٢٧٥)، الإنقاذ للسيوطي (١/٤٥).

مكة، كما أن المدينة هي: السور التي نزلت بالمدينة ويعد منها كل ما نزل بعد الهجرة، وإن نزل بغير المدينة^(١).

وهذا التعريف الذي عرّفه به ابن جزي رحمته الله هو الذي عليه أكثر أهل العلم؛ لأنه ضابط وحاصر لا يخرج عنه آية من آيات القرآن الكريم.

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

علم المكي والمدني من العلوم العظيمة لا يكاد يستغني عنه المفسر لكتاب الله أبدًا، إذ هو من العلوم التي تتوقف معرفة الآيات الناسخة والمنسوخة على معرفتها؛ لأنها تُبين ما نزل أولاً.

قال الإمام النحاس^(٢): (وإنما نذكر ما أنزل بمكة لأن فيه أعظم الفائدة في الناسخ والمنسوخ، ولأن الآية إذا كانت مكية وكان فيها حكم، وكان في غيرها حكم غيره نزل بالمدينة، عُلِمَ أَنَّ المدينة نَسَخَتْ المكية)^(٣).

وعلم المكي والمدني هو السبيل لمعرفة بتاريخ التشريع وتدرجه الحكيم بوجه عام، والوقوف على سُنَّة الله الحكيمة في تشريعه بتقديم الأصول على الفروع، والإجمال على التفصيل.

وقال الشاطبي في «الموافقات»: (المدني من السور ينبغي أن يكون

(١) التسهيل (١/١٢).

(٢) هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تلمذ على علماء عصره، منهم الزجاج، والأخفش الصغير، وغيرهما، له مؤلفات منها: معاني القرآن، وإعراب القرآن. توفي سنة (٣٣٨هـ). انظر: طبقات النحويين للزبيدي (ص ١٢٥)، إنباه الرواة للقفطي (٢/٢٧٦).

(٣) الناسخ والمنسوخ (ص ٢١٤).

منزلاً في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع بعض، والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنزيل وإلا لم يصح، والدليل على ذلك: أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي، كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبني على مقدمه؛ دل على ذلك الاستقراء، وذلك إنما يكون ببيان مجمل، أو تخصيص عموم، أو تقييد مطلق، أو تفصيل ما لم يفصل، أو تكميل ما لم يظهر تكميله... إلى أن قال رحمه الله:

(فلا يغيب عن الناظر في الكتاب هذا المعنى؛ فإنه من أسرار علوم التفسير، وعلى حسب المعرفة به تحصل له المعرفة بكلام ربه سبحانه)^(١).

المطلب الثاني

موقف ابن جزي في مسألة المكي والمدني

تطرق ابن جزي في مقدمة تفسيره إلى موضوع المكي والمدني فبدأ بتعريفه وتقسيمه فقال: (قسم مدنية باتفاق وهي اثنان وعشرون سورة، وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والنور، والأحزاب، والقتال، والفتح، والحجرات، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، والتحريم، وإذا جاء نصر الله.

وقسم فيها خلاف هل هي مكية أو مدنية، وهي ثلاث عشرة سورة: أم القرآن، والرعد، والنحل، والحج، والإنسان، والمطففين،

(١) الموافقات (٣٠/٣٠٤ - ٣٠٥).

والقَدْر، ولم يكن [البينة]، وإذا زلزلت، وأرأيت [الماعون]، والإخلاص، والمعوذتين.

وقسم مكية باتفاق، وهي سائر السور، وقد وقعت آيات مكية في سورة مدنية وذلك قليل مختلف في أكثره^(١).

ثم ذكر أبرز الموضوعات التي عالجتها كُلُّ من السور المكية، والمدنية فقال: (واعلم أن السور المكية نزل أكثرها في إثبات العقائد والرد على المشركين وفي قصص الأنبياء، وأن السور المدنية أكثرها في الأحكام الشرعية وفي الرد على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين والفتوى في مسائل وذكر غزوات النبي ﷺ)^(٢).

وكان ابن جزي مصيباً في حكمه حينما قال في النداء المتكرر في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [النساء: ١٩] و﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [النساء: ١٧٠]. إن نداء المؤمنين حيثما ورد فهو مدني، وأما ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فقد وقع في المكي والمدني^(٣).

كما استعان به في معرفة الناسخ والمنسوخ، كما تجده أحياناً يحكم على السور بمكيته أو مدنيته، وأحياناً يكتفي بحكاية القول دون ترجيح أو إبداء رأي^(٤).

(١) انظر: البيان للداني (١٣٣) وما بعدها، البرهان للزركشي (١/١٩٣)، الإتقان للسيوطي (١/٤٩) وما بعدها.

(٢) التسهيل (١/١٣).

(٣) التسهيل (١/١٣).

انظر هذا القول أيضاً في: المحرر الوجيز لابن عطية (١/١٠٥)، وأحكام القرآن لابن الفرس (١/٣٧).

(٤) انظر: ابن جزي ومنهجه في تفسيره (٢/٧٦٤).

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراساتها

ذكر ابن جزي رحمته الله عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

قال: (فيه ثلاثة أقوال:

أحدهما: أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة^(١).
والثاني: أنه الإنصات للخطبة^(٢).

والثالث: أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق، وهو الراجح
لوجهين:

أحدهما: أن اللفظ عام، ولا دليل على تخصيصه^(٣).

والثاني: أن الآية مكية، والخطبة إنما شرعت بالمدينة^(٤).

وعند قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِفَاتٍ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

قال: (الآية: يراد بها الصلوات المفروضة، فالطرف الأول:

(١) حكى هذا القول الطبري في جامع البيان (١٠/٦٥٨ - ٦٦٠).

عن ابن مسعود وأبي هريرة، وجابر والزهري وعطاء وسعيد بن المسيب.

(٢) قاله سعيد بن جبيرة ومجاهد وعطاء وزيد بن أسلم. انظر: جامع البيان للطبري (١٠/٦٦٤) والدر المشور (٣/٣١٣).

وهذا القول ضعيف؛ لأن القرآن فيها قليل والإنصات يجب في جميعها، راجع: أحكام القرآن لابن العربي (٢/٨١٧).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٤٣٢).

(٤) التسهيل (٢/١١٠ - ١١١) وهو قول النقاش. انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/٤٣٢).

الصبح^(١) والطرف الثاني: الظهر، والعصر^(٢)، والزلف من الليل: المغرب، والعشاء^(٣).

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] لفظه عام، وخصصه أهل التأويل بأن الحسنات: الصلوات الخمس، ويمكن أن يكون ذلك على وجه التمثيل^(٤).

رُوي أَنَّ رجلاً قَبَلَ امرأةَ ثُم نَدِمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَصَلَّى مَعَهُ الصَّلَاةَ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَيُّنَ السَّائِلُ؟) فَقَالَ: هَآنَذَا، فَقَالَ: (قَدْ غُفِرَ لَكَ)، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِلَيَّ خَاصَّةٌ أَوْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةٌ؟ (بَلْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً)^(٥).

والآية على هذا مدنية.

وقيل: إن الآية كانت قبل ذلك ذكرها النبي ﷺ للرجل مستدلاً بها، فالآية على هذا مكية كسائر السورة، وإنما تُذْهِبُ الْحَسَنَاتُ عند الجمهور الصغائر إذ اجتنبت الكبائر^{(٦)(٧)}.

وعند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣].

(١) انظر: النكت والعيون للماوردي (٥٠٨/٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٢٢٩)، حكاه عن مجاهد.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٦٠٥/١٢)، المحرر الوجيز لابن عطية (٢١٢/٣).

(٣) قاله الحسن. انظر: جامع البيان للطبري (٦٠٨/١٢ - ٦٠٩)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١/٢٢٩).

(٤) انظر النص في: المحرر الوجيز لابن عطية (٢١٣/٣).

(٥) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة برقم (٥٢٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ برقم (٢٧٦٣).

(٦) التسهيل (٢١١/٢).

(٧) انظر: المحرر الوجيز (٢١٣/٣).

قال: (أي: لا أحد أحسن قولاً منه، ويدخل في ذلك كل من دعا إلى عبادة الله أو طاعته على العموم^(١)).

وقيل: المراد سيدنا محمد ﷺ^(٢).

وقيل: المؤذنون^(٣)، وهذا بعيد؛ لأنها مكية، وإنما شرع الأذان بالمدينة^(٤).

ولكن المؤذنون يدخلون في العموم^(٥).

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْطَفِينَ﴾ [المطففين: ١] قال: (...). وسبب نزول السورة أنه كان بالمدينة رجل يقال له: أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى، ويعطي بالأنقص^(٦)؛ فالسورة على هذا مدنية^(٧).

وقيل: مكية لذكر أساطير الأولين^(٨).

وقيل: نزل بعضها بمكة^(٩)، ونزل أمر التطفيف بالمدينة؛ إذ كانوا

(١) قاله الحسن. انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤١٩/١٨).

(٢) قاله السدي وابن زيد وابن سيرين. انظر: جامع البيان للطبري (٤٣٠/٢٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (١١٤/٤٠).

(٣) قاله مجاهد وعكرمة وعائشة ؓ. انظر: جامع البيان للطبري (٤٣٠/٢٠) والمحرر الوجيز لابن عطية (١٥/٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤١٩/١٨).

(٤) قال ابن العربي: والأول أصح - يعني: أنه النبي ﷺ -؛ لأن الآية مكية والأذان مدني وإنما يدخل فيها بالمعنى، لا أنه المقصود وقت القول، ويدخل فيها أبو بكر الصديق حين قال في النبي ﷺ وقد خنقه الملعون - يعني: عقبة بن أبي معيط -: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨] وتتضمن كل كلام حسن فيه ذكر التوحيد والإيمان. انظر: أحكام القرآن (١٦٥٠/٤).

(٥) التسهيل (٢٦/٤).

(٦) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص ٥٢١).

(٧) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٣٢٣/٦).

(٨) انظر: النكت والعيون للماوردي (٢٢٥/٦) حكاة عن ابن مسعود والضحاك.

(٩) قاله الكلبي وجابر بن زيد.

أشد الناس فسادًا في هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة^(١).

وعند قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢].

قال: (...). وفي معناها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى: أنت حالٌ بهذا البلد؛ أي: ساكن؛ لأن السورة نزلت والنبي ﷺ بمكة^(٢).



= انظر: النكت والعيون للماوردي (٢٢٥/٦) والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢/١٢٨).

(١) التسهيل (٣٤٨/٤). انظر: معاني القرآن للفراء (٢٤٥/٣).

(٢) التسهيل (٣٧٨/٤). انظر: أحكام القرآن لابن الفرس (٦١٩/٣)، والإتقان للسيوطي (٧٦/١).

لِلْبَحْثِ السَّادِسِ

القراءات وأثرها في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة القراءات.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراساتها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً: التعريفات:

القراءة لغة: من قرأت الكتاب قراءة وقرأنا؛ ومنه سمي القرآن، وأقرأه القرآن فهو مقرئ، ورجل قارئ من قوم قُراء وقراءة وقارئين، وأقرأه غيره يقرئه إقراء. ومنه قيل: فلان المقرئ^(١).

واصطلاحاً: عرّفها ابن الجزري^(٢) بقوله: (القراءات: علم بكيفية

(١) لسان العرب (قرأ) (١١/٨١)، القاموس المحيط (قرأ) (ص ١٣٨٠).

(٢) هو: محمد بن محمد بن الجزري أبو الخير المقرئ الحافظ ولد سنة (٧٥١هـ) سمع جماعة منهم: الدمياطي، والأبرقوهي، وقرأ القراءات على شيوخ عدة منهم: ابن اللبان، وابن السلار، وابن الصائغ. له مؤلفات جليلة منها: النشر، التقييد في الخلف بين الشاطبية والتجريد، وغاية النهاية. توفي سنة (٨٣٣هـ).
انظر: غاية النهاية (٢/٢٤٧)، البدر الطالع (٢/٢٥٧).

أداء كلمات القرآن، واختلافها مَعْرُوءًا لناقله^(١).

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

علم القراءات من العلوم الجليلة القدر العظيمة الشأن؛ لأنه علم يدور حول رواية الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل العزيز الحكيم، والعلوم تشرف بمتعلقها، كيف لا وهو مصدرها الأول ودستورها القويم ومنازلها، كما أنه نورها وهداها.

فعلم القراءات مصدر من مصادر العلوم جميعًا إذ هو محورها، وأرفعها، يحتاج إليه المقرئ والمفسر والمحدث والفقهاء واللغوي على حدٍّ سواء، وتتعلق بهذا العلم علوم أخرى مباشرة كعلم تراجم القراء، وعلم توجيه القراءات، وعلم رسم المصحف، وعلم الضبط، وعلم الفواصل، وعلم التجويد، وغيرها من العلوم، ومن هنا تأتي أهميته وتكشفُ جليًا مكانته.

قال شهاب الدين القسطلاني^(٢) (٩٢٣هـ): (... وبعد، فإن القرآن ينبوع العلوم ومنشؤها، ومعدن المعارف ومبدؤها، ومبنى قواعد الشرع وأساسه، وأصل كل علم ورأسه، والاستشراق على معانيه، لا يتحقق إلا بفهم رصفه ومبانيه، ولا يطمع في حقائقها التي لا تنتهي لغرابتها ودقائقها إلا بعد العلم بوجوه قراءاته واختلاف رواياته، ومن ثم صار علم القراءات من أجل العلوم النافعات، وإذا كان كل علم يشرف بشرف

(١) منجد المقرئين (ص ٤٩).

(٢) هو: أحمد بن محمد أبو بكر القسطلاني ولد في سنة (٨٥١هـ) بالقاهرة، قرأ على علماء عصره فأتقن علومًا كثيرة حتى صار إمامًا حجة مقررًا، له مؤلفات جليلة منها: شرح صحيح البخاري، شرح الشاطبية، شرح المقدمة الجزرية. توفي سنة (٩٢٣هـ). انظر: الكواكب السائرة لنجم الدين الغزي (١٢٦/١ - ١٢٧)، النور السافر من أخبار القرن العاشر لعبد القادر العيدروسي (ص ١١٣).

متعلِّقه، فلا جَرَمَ خُصَّ أهله الذين هم أهل الله وخاصته بأنهم المصطفون من بَرِيَّتِهِ، والمجتبون من خليقته، وناهيك بهذا الشرف الباذخ والمجد الراسخ ما لهم من الفضائل اللاحقة أو المنازل السابقة، فمناقبهم أبداً تتلى، ومحاسنهم على طول الأمد تتجلى^(١).

وبالجملة فعلم القراءات تتجلى أهميته من خلال بعض خواصه وفوائده، إذ به ترجح الأوجه التفسيرية وبعض الأحكام الفقهية، ومنه تتجلى وجوه إعجاز القرآن الكريم ويبرز سمو بلاغته، واشتمال القرآن الكريم على القراءات المتعددة ميزة لا نظير لها في الكتب السماوية السابقة.

أركان القراءة:

القراءات القرآنية لا تُقْبَلُ إلا إذا توافرت فيها ثلاثة أركان؛ فعلى ضوئها تقبل القراءة أو تُرَدُّ.

وقد نظمها الإمام ابن الجزري في طيبة النشر فقال:

فَكُلُّ مَا وَاَفَقَّ وَجْهَ نَحْوٍ وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالًا يَحْوِي
وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرْآنُ فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَرْكَانُ^(٢)

وقال في النشر: (كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها؛ فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختلَّ ركن من

(١) انظر: لطائف الإشارات لفنون القراءات للقسطلاني (٦/١).

(٢) طيبة النشر (ص ٣٢).

هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة، أو شاذة، أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عن من هو أكبر منهم^(١).

فالتواتر يرى الجمهور أنه شرط من شروط القراءة الصحيحة، ولا تثبت القراءة بالسند الصحيح غير المتواتر، والتواتر هو: نقل جماعة عن جماعة تُحِيلُ العادةُ تَوَاطُؤَهُمْ على الكذب من أول السند إلى متناه^(٢). والقراءة التي تُنْقَلُ بسند غير متواتر لا تسمى قرآناً ولا يقرأ بها؛ لأن من تعريف العلماء للقرآن قولهم: المنقول إلينا بالتواتر^(٣).

والركن الثاني: أن يكون للقراءة وجه شائع في العربية بمعنى أن توافق وجهًا مشهورًا.

قال أبو عمرو الداني: (وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفسى في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت من الأثر والأصح في النقل، وإذا ثبتت الرواية لم يَرُدَّها قياسٌ عربية ولا فُشُوْ لغة؛ لأن القراءة سُنَّةٌ متبعة يلزم قبولها والمصير إليها)^(٤).

والركن الثالث: موافقة خط المصحف، وهذا الشرط يَكَادُ يُجْمَعُ عليه أئمة القراءة؛ لأنهم يرون أن المصحف الإمام تم بإجماع الصحابة الذين قرروا إحراق ما عداه.

ونقل مكي^(٥) عن إسماعيل القاضي^(٦) قوله: (فإذا اختار الإنسان

(١) انظر: النشر (٩/١).

(٢) انظر: الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص ٥٠).

(٣) إرشاد الفحول للشوكاني (ص ٢٩). (٤) جامع البيان (١/ ٨٦٠).

(٥) هو: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، ولد سنة (٣٥٥هـ)، أخذ العلم عن جلة من العلماء منهم: ابن غلبون، وابن فارس، كان تَلَمَّذَ من الراسخين في علوم القرآن، والعربية. له مؤلفات جليلة منها: الكشف والإيضاح في ناسخ القرآن، والهداية إلى بلوغ النهاية. توفي سنة (٤٣٧هـ).

انظر: جذوة المقتبس للحميدي (ص ٣٥١)، وغاية النهاية لابن الجزري (٢/ ٣٠٩).

(٦) هو: إسماعيل بن إسحاق القاضي ابن حماد بن زيد الجهمي الإمام المحدث =

أن يقرأ ببعض القراءات التي رويت مما يخالف خط المصحف صار إلى أن يأخذ القراءة بروايةٍ واحدٍ عن واحدٍ، وتَرَكَ ما تلقته الجماعة عن الجماعة، والذين هم حجة على الناس كلهم^(١).

وبعد أن عرفنا القراءة لغة، واصطلاحاً، وبيان أركان القراءة، نَدْلِفُ إلى بيان منهج ابن جزي حيالها، فإلى بيان ذلك.

المطلبُ الثاني

موقف ابن جزي

في مسألة القراءات

تكلم ابن جزي في مقدمة تفسيره على الفنون التي تتعلق بالقرآن، فذكر من جملتها علم القراءات بعد التفسير مباشرة؛ إذ هو المقصود بنفسه، وسائر الفنون إنما هي أدوات تعين عليه أو تتعلق به أو تتفرع منه^(٢).

فبدأ ﷺ بتقسيم القراءات فقال: (الباب الثامن: في جوامع القراءة، وهو على نوعين: مشهورة وشاذة، فالمشهورة هي: القراءات السبع)^(٣).

ثم ذكر شروط القراءة الثلاثة المذكورة آنفاً.

وبَيَّن أنه سيبيني كتابه - يعني: التسهيل - على قراءة الإمام نافع^(٤)

= المقرئ الفقيه النحوي، كان ثقة صدوقاً شيخ المذهب المالكي بالعراق، أخذ عن أبيه، ونصر بن علي الجهمي، وأبي مصعب الزهري، وغيرهم، أخذ عنه خلق كثير، له مصنفات جليلة منها: أحكام القرآن، ومعاني القرآن. توفي سنة (٢٨٢هـ). انظر: تاريخ بغداد (٦/٢٨٤)، سير أعلام النبلاء (٩/٧٩).

(١) الإبانة (ص ٥٥). (٢) التسهيل (١/١٥).

(٣) التسهيل (١/١٥).

(٤) هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم؛ قال ابن الجزي: «أحد القراء السبعة، =

ذاكرًا سبب ذلك بقوله: (إنها القراءة المستعملة في بلادنا بالأندلس وسائر بلاد المغرب الأخرى، اقتداء بالمدينة شَرَفَهَا اللهُ؛ لأنها قراءة أهل المدينة)^(١).

وقال مالك بن أنس^(٢): (قراءة نافع سُنَّة)^(٣).

ثم أشار رَحِمَهُ اللهُ بعد ذلك إلى منهجه الذي سيسلكه باختصار فقال: (وذكرنا من سائر القراءات ما فيها فائدة في المعنى والإعراب وغير ذلك دون ما لا فائدة فيه زائدة، واستغنينا عن استيفاء القراءات لكونها مذكورة في الكتب المؤلفة)^(٤).

ثم ذكر بعد ذلك اختلاف القراء، وهو على نوعين: أصول، وقَرَشُ الحروف.

وهذا ليس له علاقة أو أثر فيما يتعلق بالتفسير^(٥)، ولكن لا تخلو من فائدة.

ومن موقفه فيما يتعلق بالقراءات أيضًا:

- ترجيح الأقوال التفسيرية بناءً على القراءات الواردة المتواترة.

- الربط بين توجيه القراءة وبين أوجهها الإعرابية.

= والأعلام، ثقة صالح أصله من أصبهان» أخذ القراءة عَرَضًا عن جماعة من تابعي أهل المدينة. مات سنة (١٦٩هـ). انظر: طبقات القراء (٢/٣٣٠)، غاية النهاية لابن الجزري (٢/٣٣٠).

(١) التسهيل (١/١٥).

(٢) هو: مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي أحد الأئمة الأربعة، ولد بالمدينة المنورة سنة (٩٣هـ) وتوفي بها سنة (١٧٩هـ) ودفن بالبقيع. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/٤٩)، تهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/٥).

(٣) انظر: كتاب السبعة لابن مجاهد (٦٢)، وجامع البيان للداني (١/١٥٥).

(٤) التسهيل (١/١٥).

(٥) شرح مقدمة ابن جزي لمساعد الطيار (ص ٢٤٥).

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراستها

أشار ابن جزي رحمته الله عند قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ [الأعراف: ١٤٨]

فقال: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ بضم الحاء، والتشديد^(١) جمع حَلِيٍّ نحو: نَدِيٍّ، ونُدِيٍّ.

وقرئ بكسر الحاء للإتباع^(٢).

وقرئ بفتح الحاء، وإسكان اللام^(٣).

والحلي هو: اسم ما يُتَرَيَّنُ به من الذهب والفضة^(٤).

وفي نفس السياق يشير عند قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٣].

فقال: ﴿وَرَسُولُهُ﴾ ارتفع بالعطف على الضمير في ﴿بَرِيءٌ﴾، أو بالعطف على موضع اسم «أَنَّ»، أو بالابتداء وخبره محذوف^(٥).

وقرئ بالنصب عطفًا على اسم «أَنَّ»، وأما الخفض فلا يجوز فيه العطف على ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾؛ لأنه معنى فاسد.

(١) وهي قراءة الجماعة ما عدا حمزة والكسائي. ينظر: المبسوط لابن مهران (ص ١٨٥)، والنشر لابن الجزي (٢/ ٢٧٢).

(٢) وبها قرأ حمزة، والكسائي.

انظر: التيسير للداني (ص ٢٩٣).

(٣) وهي قراءة يعقوب. انظر: النشر (٢/ ٢٧٢).

(٤) التسهيل (٢/ ٨٦).

(٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس (٢/ ٢٠٢)، والبيان للعكبري (٢/ ١١).

ويجوز على الجَوَارِ أو القَسَمِ، وهو مع ذلك بعيد، والقراءة به شاذة^(١).

وذكر ابن جزي رحمته الله عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْقَهُ مِنْكُمْ إِلَهَ وَرَسُولِهِ﴾ [الأحزاب: ٣١] فقال: (قرئ بالياء حملاً على لفظ «مَنْ»^(٢)) وبالتاء حملاً على المعنى^(٣).

وكذلك ﴿تَعْمَلْ﴾.

والقنوت هنا: بمعنى: الطاعة^(٤).

ويشير عند قوله تعالى: ﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥]. فقال: (قرئ بكسر الهمزة على الشرط^(٥))، والجواب في الكلام الذي قبله.

وقرئ بالفتح على أنه مفعول من أجله^(٦).



(١) التسهيل (١٣٣/٢)، انظر: الكشف للزمخشري (١٧٣/٢)، وإعراب القراءات الشواذ للعكبري (٦٠٧/١).

(٢) وبها قرأ الكوفيون سوى عاصم. انظر: كتاب السبعة لابن مجاهد (٥٢١)، المبسوط لابن مهران (ص ٣٠١)، النشر لابن الجزي (٣٠٢/٢).

(٣) وهي قراءة الباقرين. انظر: المصادر السابقة.

(٤) التسهيل (٢٥٢/٣).

(٥) وهي قراءة أبي جعفر ونافع وحزمة والكسائي وخلف. انظر: المبسوط لابن مهران (ص ٣٣٤)، والنشر لابن الجزي (٣٦٨/٢).

(٦) التسهيل (٤٧/٤) وبها قرأ الباقران انظر: المصدرين السابقين.

أَلْفَصْلُ الثَّانِي

أصول التفسير عند ابن جزي وأثرها في تفسيره

وفيه أربعة مباحث:

- للْبَحْثُ الْأَوَّلُ : أنواع التفسير.
- للْبَحْثُ الثَّانِي : طبقات المفسرين.
- للْبَحْثُ الثَّلَاثُ : أسباب الخلاف بين المفسرين.
- للْبَحْثُ الرَّابِعُ : وجوه وقواعد الترجيح عند المفسرين.

لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ

أنواع التفسير وأثرها في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة أنواع التفسير.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراساتها.

* * *

لِلْمَطْلَبِ الْأَوَّلِ

التعريفات وأهمية الموضوع

✻ أولاً: التعريفات:

التفسير لغة: تفعيل من التفسير.

وأصل مادته اللغوية تدل على بيان الشيء، وإيضاحه^(١).

والتفسير: كشف المغلق من المراد بلفظه وإطلاق للمحتبس عن

الفهم به.

يقال: فَسَّرْتُ الشيءَ أَفْسَرُهُ تَفْسِيرًا وَفَسَّرْتُهُ أَفْسِرُهُ فَسْرًا.

والمزيد من الفعلين أكثر في الاستعمال^(٢).

(١) معجم مقاييس اللغة (فسر) (٥٠٤/٤).

(٢) البرهان للزركشي (١٤٧/٢).

واصطلاحًا: عرّفه ابن جزي بقوله: (معنى التفسير: شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه)^(١).

وعرّفه أبو حيان (ت ٧٤٥هـ) بقوله: (التفسير علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحملُ عليها حال التركيب وتتمتات ذلك). ثم بيّن المراد فقال:

(فقولنا: علم: هو جنس يشمل سائر العلوم.

وقولنا: يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن: هذا علم القراءات.

وقولنا: ومدلولاتها: أي: مدلولات تلك الألفاظ، وهذا علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم.

وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية، هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب وعلم البيان وعلم البديع.

وقولنا: ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب، شَمِلَ بقوله: التي تحمل عليها: ما دلّالته عليه بالحقيقة، وما دلّالته عليه بالمجاز فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئًا ويَصُدُّ عن الحمل على الظاهر صَادًّا؛ فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر وهو المجاز.

وقولنا: تتمتات ذلك: هو معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضيح ما انبهم من القرآن، ونحو ذلك)^(٢).

(١) التسهيل (١/١٥).

(٢) البحر المحيط (١/٢٦).

وعرّفه الكافيجي^(١) (ت ٨٧٩هـ) بقوله: (وأما التفسير في العرف فهو: كشف معاني القرآن وبيان المراد، والمراد من معاني القرآن أعم سواء كانت معاني لغوية أو شرعية، وسواء كانت بالوضع أو بمعونة المقام وسوّي الكلام وبقرائن الأحوال، نحو: السماء، والأرض، والجنة والنار، وغير ذلك، ونحو: الأحكام الخمسة)^(٢).

وعرّفه الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في موضعين من كتاب «البرهان في علوم القرآن»، فقال في الموضع الأول: (علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه)^(٣).

وعرّفه في الموضع الثاني فقال: (هو علم نزول الآية، وسورتها، وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيّها ومدنيّها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها).

وزاد فيه قوم فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدّها ووعيدّها، وأمرها ونهيها، وعبرها، وأمثالها)^(٤).

* أنواع التفسير:

أولاً: التفسير بالمأثور:

الأثر في اللغة: بقية الشيء.

والجمع: آثار، وأثور.

(١) هو: محمد بن سليمان أبو عبد الله الكافيجي، كان إماماً في عدة علوم منها النحو، والكلام، والجدل، له مؤلفات منها: شرح قواعد ابن هشام، والتيسير في قواعد التفسير. توفي سنة (٨٧٩هـ). انظر: بغية الوعاة للسيوطي (١١٧/١ - ١١٨).

(٢) التيسير في قواعد التفسير (ص ١٢٤ - ١٢٥).

(٣) البرهان في علوم القرآن (١/١٣). (٤) البرهان في علوم القرآن (٢/١٤٨).

وخرجت في إثره؛ أي: بَعْدَهُ^(١).

واصطلاحًا: هو ما جاء في القرآن أو في السُّنَّة أو كلام الصحابة
تبيانًا لمراد الله من كتابه^(٢).

أنواعه:

١ - تفسير القرآن بالقرآن.

٢ - تفسير القرآن بالحديث النبوي.

٣ - تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

٤ - تفسير القرآن بأقوال التابعين وتابعيهم.

فاعلى هذه الأنواع وأصحها طريقًا: تفسير القرآن بالقرآن؛
لأن الله ﷻ هو المتكلم به فهو أعلم بمراد كلامه من غيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن أصح الطرق في ذلك - يعني: في
التفسير بالمأثور - أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد
فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر)^(٣).

وقد كان النبي ﷺ يبين لأصحابه ما أشكل عليهم من هذا النوع من
التفسير.

أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن علقمة عن عبد الله قال:
لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢].

سَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالُوا: أَئِنَّا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ؛ إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لِقَمَانِ لِابْنِهِ:
﴿وَلَوْ قَالَ لِقَمْنُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يَعْظُمُ يَبْقَى لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ

(٢) مناهل العرفان (١٢/٢).

(١) لسان العرب (أثر) (٧٤/١).

(٣) مقدمة في أصول التفسير (ص ٩٣).

عَظِيمٌ ﴿[لقمان: ١٣]﴾^(١).

ثانيًا: التفسير بالرأي:

هو التفسير بالنظر والاجتهاد^(٢).

فإن كان الاجتهاد موفقًا؛ أي: مستندًا إلى ما يجب الاستناد إليه بعيدًا عن الجهالة والضلال فالتفسير - يعني: بالرأي - محمود، وإلا فمذموم^(٣).

وبهذا يظهر أن التفسير بالرأي ينقسم إلى قسمين:

- التفسير بالرأي المحمود، وهو التفسير المستمد من الشريعة، ويكون صاحبه عالمًا بلغة العرب خبيرًا بأساليبها عالمًا بقواعد الشريعة وأصولها.

فالمفسر هنا يبذل جهده ووسعه في فهم النص القرآني وإدراك معناه مستندًا إلى اللغة والنصوص والأدلة الشرعية^(٤).

- أما القسم الثاني: وهو التفسير المذموم، فهو التفسير بمجرد الرأي والهوى؛ إذ لا يستند إلى نصوص الشريعة، وأكثر الذين فسروا القرآن بمجرد الرأي هم أهل البدع والمذاهب الباطلة الذين يتعاطون التفسير بالرأي المجرد مع أتباع أهوائهم ودسّ بدعهم لا سيما من كان أسلوبه حسن السبك، إذ لم تطاوعهم النصوص على ما ذهبوا إليه ففسروها بآراء وحملوها ما لم تحتمل.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم رقم (٣٢) ومسلم، كتاب

الإيمان، باب صدق الإسلام وإخلاصه رقم (١٩٧).

(٢) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي (١/١٧٠).

(٣) مناهل العرفان للزرقاني (١/٥١٧).

(٤) انظر: بحوث في أصول التفسير لفهد الرومي (ص ٨٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المفسرين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم)^(١).
وهذا النوع من التفسير حرام لا يجوز الإقدام عليه.
وقال رَحِمَهُ اللهُ في موطن آخر: (فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام)^(٢).

* موقف العلماء من التفسير بالرأي:

اختلف العلماء في التفسير بالرأي على قبوله أو رده:
ذهب فريق إلى عدم الخوض في التفسير بالرأي وأنه لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن، وإن كان - يعني: المفسر - عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة، والفقه، والنحو، والأخبار، والآثار، وإنما له أن ينتهي إلى ما روي عن النبي ﷺ وعن الذين شاهدوا التنزيل من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، أو عن الذين أخذوا عنهم من التابعين)^(٣).
واستدلوا على عدم جوازه بأدلة كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ووجه الاستدلال بهذه الآية: أن التفسير بالرأي قولٌ على الله بغير علم، والقول على الله بغير علمٍ منهى عنه؛ فالتفسير بالرأي منهى عنه^(٤).

واحتجوا على ذلك بما روي عن النبي ﷺ: «مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ

(١) مجموع الفتاوى (٣٥٨/١٣).

(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص ١٠٥).

(٣) انظر: مقدمة جامع التفسير (ص ٩٣).

(٤) مناهل العرفان (٥٢٣/١).

بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ، فَقَدْ أَخْطَأَ^(١).

وقوله ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢).

وما روي عن أبي بكر رضي الله عنه: (أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِرَأْيِي)^(٣).

وغير ذلك من الأدلة التي استدلو بها على مرادهم.

وأما الفريق الثاني فيرى أصحابه جواز التفسير بالرأي الذي يستند إلى اللغة والشرع، واستدلوا على جوازه بأدلة منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا نَزَلْنَاهُ بِإِذْنِيكَ مُبَرَّكٌ مُبَارَكٌ يُذَكِّرُ أَتَذَكَّرُونَ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِأَعْلَمَ لَكُمْ أَلَّا تَعْلَمُونَ﴾ [ص: ٢٩].

وغير ذلك من الآيات التي تدعو إلى التدبر في القرآن، وإعمال الذهن في آياته، واستدلوا كذلك بدعاء الرسول ﷺ لابن عمه: «اللَّهُمَّ

(١) الحديث أخرجه الترمذي في سننه (٦٦/٥)، كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه.

وأبو داود في سننه (٦٣/٤ - ٦٤)، كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم، والنسائي في: السنن الكبرى (٣٠/٥ - ٣١)، كتاب فضائل القرآن، باب مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في سننه (٦٥/٥) أبواب: تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه وقال: (حديث حسن).

وضعه الألباني. انظر: ضعيف الترمذي برقم (٥٦٩)، وسلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (١٧٨٣).

(٣) انظر: جامع البيان للطبري (٧٨/١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٧٣/٤) وقال عنه: منقطع.

فَقَّهُهُ فِي الدِّينِ، وَعَلَّمَهُ التَّأْوِيلَ»^(١).

وكذلك اختلاف الصحابة رضي الله عنهم في تفسير القرآن على وجوه؛ فدل على أنه من اجتهادهم.

- أن القرآن يحوي علوم الأولين والآخرين، ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا بالتعمق والفهم والتفسير، ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (مَنْ أَرَادَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فَلْيَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ)^(٢).

وقال علي رضي الله عنه: (مَنْ فَهِمَ الْقُرْآنَ فَسَّرَ بِهِ جُمْلَ الْعِلْمِ)^(٣).

وبهذا يظهر أن التفسير بالرأي المحمود جائز.

قال شيخ الإسلام: (فأما من تكلم - يعني: في التفسير - بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه)^(٤).

وقال النووي^(٥): (وأما تفسيره للعلماء فجائز حسن والإجماع منعقد عليه، فمن كان أهلاً للتفسير، جامعاً للأدوات التي يعرف بها معناه، وغلب على ظنه المراد؛ فسره إن كان مما يُدْرَكُ بالاجتهاد كالمعاني، والأحكام الجلية والخفية، والعموم والخصوص، والإعراب وغير ذلك، وإن كان لا يدرك بالاجتهاد كالأمر التي طريقها النقل، وتفسير الألفاظ

(١) رواه أحمد في المسند برقم (٣٣٧٩) (٤/٢٢٥). والبخاري في كتاب الوضوء برقم (١٤٣) بلا زيادة: (وعلمه التأويل).

(٢) في علوم القرآن لأحمد فرحات (ص ٢٦١).

(٣) في علوم القرآن لأحمد فرحات (ص ٢٦١).

(٤) مقدمة في أصول التفسير (ص ١١٤).

(٥) هو: أبو زكريا يحيى بن شرف بن حزام النووي، أوجد دهره، وفريد عصره، ولد عام (٦٣١هـ) بنوى، وأخذ عن: سلال الإريلي، وأحمد المقدسي، وغيرهما، وأخذ عنه: صدر الدين الجعفري، وابن جماعة، وابن العطار، وغيرهم، له مؤلفات جلية منها: الأربعين النووية، وروضة الطالبين ورياض الصالحين، وغيرها من المؤلفات النافعة، توفي سنة (٦٧٦هـ) بنوى. انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٥/١٦٥).

اللغوية، فلا يجوز الكلام فيه إلا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهله.

وأما من كان ليس من أهله لكونه غير جامع لأدواته فحرام عليه التفسير، لكن له أن ينقل التفسير عن الْمُعْتَمِدِينَ من أهله^(١).

* تفسير القرآن بالسُّنَّة النبوية:

تفسير القرآن بالسُّنَّة النبوية هو النوع الثاني من أنواع التفسير بالمأثور إذ هي شارحة وموضحة له.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. أي: أن الله سبحانه أوكل إلى رسوله ﷺ بيان ما كان منه مُجْمَلًا وتفسير ما كان مُشْكِلًا، وتحقيق ما كان منه محتملًا؛ ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به ومنزلة التفويض إليه^(٢).

ولذا؛ فهي بمنزلة القرآن في الاستدلال، والأصل في فهم القرآن؛ لأنه لا أحد من خَلْقِ اللَّهِ أَعْلَمُ بمراد الله من رسوله^(٣).

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: (كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن)^(٤).

وبيان السُّنَّة النبوية للقرآن على أنواع؛ منها:

تفصيل مجمله، وتقييد مطلقه، وتخصيص عامه، وتوكيد أحكامه.

* تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

للصحابة رضوان الله عليهم شرف لا يخفى؛ إذ امتازوا بفضيلة

(١) التبيان في آداب حملة القرآن (ص ١٦٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/١).

(٣) انظر: فصول في أصول التفسير للطيار (ص ٢٨).

(٤) انظر: الرسالة (ص ٧٣).

الصُّحْبَةِ، وَهُمْ النَّقْلَةُ الْمُؤْتَمَنُونَ لَدِينِنَا الْمُؤَدُّونَ إِلَيْنَا، وَالْمُبْلَغُونَ لكَثِيرٍ مِنْ أَحَادِيثِ وَأَقْوَالِ نَبِينَا ﷺ.

وحينئذ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السُّنَّة رجعت في ذلك إلى أقوالهم ﷺ؛ لأنهم شهدوا وقائع التنزيل وعرفوا أحواله، وتعمقوا في فهمه والسؤال عما أشكل منه، ولا سيما كبارهم وعلمائهم^(١).

فإن القرآن نزل بلسانهم لعلو كعبهم في الفصاحة والبيان مع سلامة فطرتهم، وصفاء نفوسهم، وتمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله^(٢). بقي أن نشير إلى حكم تفسير الصحابي.

* حكم تفسير الصحابي:

تفسير الصحابي ينقسم إلى قسمين:

أولاً: إذا كان مما ليس للرأي فيه مجال كالأمور الغيبية، وأسباب النزول ونحوها، فهذا له حكم المرفوع ويجب الأخذ به.

قال الحاكم^(٣) في «المستدرک»: (إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع)^(٤).

كذا أطلق الحاكم، وقيده بعضهم بما كان في بيان النزول ونحوه مما لا مجال للرأي فيه، وإلا فهو من الموقوف^(٥).

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص ٩٥).

(٢) مناهل العرفان (٤٨١/١).

(٣) هو: محمد بن عبد الله بن حمدويه الحاكم النيسابوري الشافعي، ولد عام (٣٢١هـ) إمام أهل الحديث في عصره أخذ عن أبيه، ومحمد الأصم وأخذ عنه: البيهقي، وأبو القاسم القشيري، له مؤلفات جلية منها: المستدرک، والمدخل. توفي عام (٤٠٥هـ). انظر: المنتخب عن السياق للفارسي (١٥)، سير أعلام النبلاء (١٧/١٦٢ - ١٧٧).

(٤) (٢٥٨/٢).

(٥) انظر: النكت على ابن الصلاح (٥٣٢/٢).

ثانيًا: إذا كان للرأي فيه مجال مما يرجع إلى اجتهاد الصحابي، فهذا له حكم الموقوف على الصحابي إذا لم يسنده إلى رسول الله ﷺ.

واختلف العلماء في هذا النوع هل يجب الأخذ به أو لا؟

ذهب فريق من العلماء إلى أن الموقوف على الصحابي من التفسير لا يجب الأخذ به لأنه لما لم يرفعه عُلِمَ أَنَّهُ اجتهد فيه، والمجتهد يخطئ ويصيب، والصحابة رضي الله عنهم في اجتهادهم كسائر المجتهدين.

وذهب فريق آخر من العلماء إلى أنه يجب الأخذ به والرجوع إليه لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها وليست لغيرهم، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لا سيما علماءهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة، وعبد الله بن مسعود وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم جميعًا^(١).

قال الزركشي: (ينظر في تفسير الصحابي، فَإِنْ فَسَّرَهُ مِنْ حَيْثُ اللُّغَةُ فهِم أَهْلُ اللِّسَانِ فَلَا شَكَّ فِي اعْتِمَادِهِ، وَإِنْ فَسَّرَهُ بِمَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالْقَرَائِنِ فَلَا شَكَّ فِيهِ)^(٢). وهذا رأي فريق من العلماء؛ كالحاكم النيسابوري وابن الصلاح والنووي وابن تيمية وابن كثير وغيرهم^(٣).

ويتحصل من هذا: أن التفسير المروي عن الصحابي إن كان متعلقًا بأسباب النزول أو بما لا يمكن أن يكون من قبيل الرأي والاجتهاد كان ملزمًا، وكذلك إن كان تفسيرًا يعتمد على اللغة التي هم أدري الناس بها فهو ملزم أيضًا. أما الشيء الذي ليس داخلًا فيما ذُكِرَ فهو بصورة عامة غير ملزم، وينظر إلى كل رأي على حدة.

(١) التفسير والمفسرون (٥٩/١). (٢) البرهان (١٧٢/٢).

(٣) انظر: تدريب الراوي (٦٤)، ومعرفة علوم الحديث (٢٠)، ومقدمة أصول التفسير (٩٥).

وبناءً على هذا؛ اعتمد ابن جزي رحمته الله في بيان آيات الله على أقوال الصحابة رضوان الله عليهم بعد القرآن والسنة؛ فجعله أصلاً من أصول تفسيره.

* تفسير القرآن بأقوال التابعين:

حَمَلَ عن الصحابة رضي الله عنهم عِلْمَ التفسير جماعةً من التابعين نهلوا من علمهم، وسمعوا منهم ما لم يسمعه غيرهم، وحضروا مجالسهم.

فهذا مجاهد رحمته الله يقول: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث مرات أسأله عن كل آية: (فِيمَ نَزَلَتْ، وكيف كانت) ^(١).

حتى قال سفيان الثوري ^(٢) رحمته الله: (إذا جاءك التفسير عن مجاهد فَحَسْبُكَ به) ^(٣).

حكم تفسير التابعي:

اختلف العلماء في حكم الرجوع إلى تفسير التابعي للآية إذا لم يرد تفسير لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم.

فقال طائفة: لا يجب الأخذ بتفسير التابعي؛ لأنهم ليس لهم سماع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد، ولأن عدالة التابعين غير منصوص عليها كما نُصَّ على عدالة الصحابي.

(١) أخرجه الدارمي في مستنده برقم (١١٠٨) بإسناد حسن.

(٢) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، ولد عام (٩٧هـ) عالم عابد من أعلام الدين أخذ عن منصور بن المعتمر وسلمة بن كهيل، وأخذ عنه مالك بن أنس والأوزاعي، له مؤلفات منها: الجامع الصغير والتفسير. توفي عام (١٦١هـ). انظر: التاريخ الصغير للبخاري (ص ٢٨٦)، تاريخ بغداد (٩/ ١٧٢).

(٣) انظر: مقدمة في أصول التفسير (ص ٣٧ - ٣٨).

وقالت طائفة: إنه يؤخذ به إذا لم نجد تفسيرها في السُّنة ولا أقوال الصحابة عليهم السلام؛ لأنهم تلقوا التفسير عن الصحابة وحضروا مجالسهم ونهلوا من علمهم وسمعوا منهم ما لم يسمعه غيرهم، فقد عرض مجاهد المصحف على ابن عباس عليه السلام ثلاث مرات يسأله عن كل آية. و قتادة يقول: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً^(١). وقال الشعبي: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها^(٢).

قال شعبة بن الحجاج^(٣): (أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير؟)^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله مبيناً قول شعبة: (يعني: أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، أما إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السُّنة أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك)^(٥).

ومن هنا تتبين أهمية الرجوع إلى تفسيرهم، وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السُّنة ولا عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة إلى أقوال التابعين، وإن كانوا اختلفوا في قبوله^(٦).

ويتلخص من ذلك: أن التابعين إذا أجمعوا على تفسير واحد وجب الأخذ به ولا يُرتاب في كونه حجة. وإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم

(١) طبقات المفسرين للداودي (٤٣/٢).

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص ١١٣).

(٣) هو: شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي أبو بسطام الواسطي، ثقة حافظ متقن. مات سنة (٢٠٨هـ) انظر: تقريب التهذيب لابن حجر (٢٠٨).

(٤) مقدمة في أصول التفسير (ص ٣٨). (٥) مقدمة في أصول التفسير (ص ٩٢).

(٦) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص ٩٠).

حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السُّنَّة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة رضي الله عنهم في ذلك. وإذا ورد التفسير عن تابعي ولم يعرف له مخالف من التابعين فهذا مما يؤخذ به لما لهم من فضل ومزية على من بعدهم في العلم.

وقد أخذ بأقوالهم المفسرون ما وجدوا إليها سبيلاً.

وإذا لم يوجد لهم قول؛ يُرجع في ذلك إلى النظر والاستنباط^(١).

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

لعلم أصول التفسير مكانة كبيرة وشرف عظيم، وذلك لأن شرف العلم من شرف المعلوم، وأصول التفسير تبحث في علم التفسير، وموضوع هذا العلم القرآن الكريم، وهو خير الكلام؛ لأنه كلام الله تعالى، فلا عجب أن تكون أصول التفسير من أشرف العلوم وأعلاها مكانة وأكثرها فضلًا.

وبالنظر في فوائد أصول التفسير نتبين مدى أهميته، فمن هذه الفوائد:

- معرفة الطرق الصحيحة لتفسير القرآن الكريم وما يقبل منها وما

يرد.

- معرفة القواعد التي تعين على فهم كتاب الله تعالى الفهم

الصحيح.

- الاطلاع على الجهود العظيمة التي يبذلها علماء السلف للمحافظة

على القرآن الكريم لفظًا ومعنى، ومن ثم الاقتداء بهم في ذلك والسير على نهجهم^(٢).

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/١٥٨).

(٢) راجع: بحوث في أصول التفسير لفهد الرومي (ص ١٢ - ١٣).

المطلب الثاني

موقف ابن جزي

في مسألة أنواع التفسير

الناظر في منهج ابن جزي رحمته الله في تصنيف كتابه «التسهيل لعلوم التنزيل» يلاحظ الجمع فيه بين التفسير بالمأثور، ويأتي بعده التفسير بالرأي المحمود، وإن كان يغلب عليه جانب التفسير بالمأثور ويأتي بعده التفسير بالرأي المحمود، وهذا ما جعل لهذا الكتاب تلك الميزة والمنزلة المتقدمة.

ويمكن إبراز معالم منهجه من خلال ما يلي:

❖ أولاً: تفسير القرآن بالقرآن:

إن أول الطرق لطرق التفسير بالمأثور هو تفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد فسر في مكان آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في مكان آخر، وما عمم في مكان فقد خصص في مكان آخر، وما أطلق في مكان فقد قيد في مكان آخر، وهكذا...

ولذلك جعل ابن جزي رحمته الله الأصل الأول لتفسير آيات القرآن في كتابه أن تُفسَّر بنظائرها من الآيات الأخرى، فمن ذلك:

- عند تفسيره لقوله تعالى في سورة البلد: ﴿وَهَدَيْتُهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [١٠].

قال ابن جزي: (أي: طريقي الخير والشر فهو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْتُهُ السَّبِيلَ﴾ [١٠] شاكراً وإِماً كُفُوراً [الإنسان: ٣])^(١).

وعند تفسير قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا نَنْهَرُ﴾

[١٠].

قال ابن جزي: (النهر: هو الزجر، والنهي عنه: أمر بالقول الحسن، والدعاء للسائل كما قال تعالى: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨] ^(١).

وتتضح دقة ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ في هذا اللون من التفسير وهي عدم ترجيحه لبعض الآيات التي يكون ظاهرها تفسيراً لآية أخرى، مما يدل على أنه يسير في ذلك وفق منهجية واضحة، ويتضح ذلك عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾ [٦].

قال ابن جزي: (في الضريع أربعة أقوال:

أحدها: أنه شَوْكٌ يُقَالُ له: الشَّبْرُق، وهو سَمٌّ قاتل، وهذا أرجح الأقوال؛ لأن أرباب اللغة ذكروه، ولأن النبي ﷺ قال: «الضَّرِيعُ شَوْكٌ فِي النَّارِ» ^(٢).

الثاني: أنه الزَّقُومُ؛ لقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُومِ ﴿٤٢﴾ طَعَامٌ لِلْآثِمِينَ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٤] ^(٣).

فلاحظ هنا أن ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ لم يرجح القول الذي يفسر الآية بآية أخرى؛ لأنها لم تنطبق على القواعد التي سار عليها لتفسير القرآن بالقرآن.

(١) التسهيل (٤/ ٣٩٠).

(٢) الحديث لم أجده بهذا اللفظ، وورد بلفظ آخر عن ابن عباس: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: (شَيْءٌ يَكُونُ شِبْهَ الشَّوْكِ، أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ، وَأَنْتَنٌ مِنَ الْحَقِيقَةِ...) قال السيوطي في الدر المنثور: أخرجه ابن مردويه بسند وإيه عن ابن عباس (٨/ ٤٩٢).

(٣) التسهيل (٤/ ٤١٤).

❖ ثانيًا: تفسير القرآن بالسُّنة النبوية:

تفسير القرآن بالسُّنة النبوية هو أهم مصادر التفسير بالمأثور بعد التفسير بالقرآن الكريم.

ومن هنا كان ابن جزي رحمته الله يعول على التفسير الوارد عن رسول الله ﷺ ويقدمه على غيره من أقوال الناس. ومن أمثلة ذلك:

- عند تفسير قوله تعالى في سورة التكاثر: ﴿الْهَنُكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١]. قال ابن جزي: (هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ، ومعنى ﴿الْهَنُكُمُ﴾ شغلكم، و﴿التَّكَاثُرُ﴾: المباهاة بكثرة المال والأولاد، وأن يقول هؤلاء: نحن أكثر، ويقول هؤلاء: نحن أكثر، ولما قرأها النبي ﷺ قال: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، وَلَيْسَ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ، أَوْ لَيْسَتْ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ»^(١).

- وعند تفسير قوله تعالى في سورة الكوثر: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكُوثَرُ﴾ [١].

قال ابن جزي: (هذا خطاب للنبي ﷺ، والكوثر - بئاء -: مبالغة من الكثرة، وفي تفسيره سبعة أقوال: ثم ساق الأقوال... إلى أن قال: ولكن الصحيح: أن المراد بالكوثر: الحوض؛ لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْكُوثَرُ؟ هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ، وَهُوَ الْحَوْضُ؛ آيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ»^(٢).

ويلاحظ على ابن جزي رحمته الله أنه يذكر أحاديث عن رسول الله ﷺ

(١) التسهيل (٤٢٦/٤). والحديث رواه مسلم، كتاب الزهد، باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر برقم (٢٩٥٨).

(٢) التسهيل (٤٢٦)، والحديث رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته برقم (٤٠٠).

ليست تفسيراً للآية ولكن لها صلة أو مناسبة، ومن ذلك: قوله تعالى في سورة التين: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ لَلْحَكِيمِينَ﴾ [٨].

قال ابن جزى: (تقرير ووعيد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقونه، وكان رسول الله إذا قرأها قال: «بلى؛ وأنا على ذلك من الشاهدين»^(١)).

وعند قوله تعالى في سورة القدر: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [٣].

قال ابن جزى: (معناه: أن من قامها كتب الله له أجر العبادة في ألف شهر، قال بعضهم: يعني: في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وفي الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢)).

وكما فعل ابن جزى في عدم أخذه في تفسير القرآن بالقرآن إذا لم يكن صريحاً في تفسير الآية، وإن كان ظاهرها يوحي بذلك، فكذلك فعل هنا في تفسير القرآن بالسنة، ومن ذلك: عند تفسير قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [٥].

قال ابن جزى: (روي أن النبي ﷺ قال لَمَّا نَزَلَتْ: «إِذَا لَا أَرْضَى أَنْ يَبْقَى وَاحِدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ»، قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن، وقال ابن عباس: رِضَاهُ أَنَّ اللَّهَ وَعَدَهُ بِأَلْفِ قَصْرِ فِي الْجَنَّةِ بِمَا

(١) التسهيل (٤/٣٦٩). والحديث رواه أبو داود مرفوعاً عن أبي هريرة ؓ، كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود برقم (٨٨٧). والحديث ضعفه الألباني في ضعيف أبي داود برقم (١٨٨).

(٢) التسهيل (٤/٤٠٢). والحديث رواه البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب ليلة القدر، برقم (٣٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان، برقم (٧٦٠) عن أبي هريرة ؓ.

يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ وَالْخَدَمِ^(١).

وقيل: رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره، والصحيح: أنه وَعَدُ يَعُمُّ كُلَّ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ وَكُلَّ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مِنَ النِّصْرِ وَالْفَتْوحِ وَكَثْرَةِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِ ذَلِكَ^(٢).

❖ ثالثاً: تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

اعتمد ابن جزي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيان آيات الله على أقوال الصحابة رضوان الله عليهم بعد القرآن والسُّنَّةَ فجعله أصلاً من أصول تفسيره.

ومن الأمثلة على ذلك: عند قوله تعالى في سورة الشمس: ﴿يَطْفُونَهَا﴾ [١١].

قال ابن جزي: (هو مصدر بمعنى: الطغيان، قلبت الياء واواً على لغة من يقول: طغيت، والباء: الخافضة؛ كَقَوْلِكَ: كتبت بالقلم، أو سببية والمعنى: بسبب طغيانها، وقال ابن عباس: معناه: كذبت ثمود بعذابها؛ ويؤيده قوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَمْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥]^(٣).

وعند تفسير قوله تعالى في سورة النصر: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [١].

قال ابن جزي: (سأل عمرُ بن الخطاب جماعةً من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن معنى هذه السورة فقالوا: إن الله أمر رسول الله ﷺ بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح، وذلك على ظاهر لفظها، فقال لابن عباس بمحضرهم: يا عبد الله ما تقول أنت؟ قال: هو أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه. جامع البيان: (٤٨٧/٢٤)، وقال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف تفسير القرآن العظيم: (٥٢٤/٤).

(٢) التسهيل (٣٨٣/٤).

(٣) التسهيل (٣٨٩/٤).

أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِقُرْبِهِ إِذَا رَأَى النَّصْرَ وَالْفَتْحَ، فقال عمر: ما أَعْلَمُ منها إلا ما علمت^(١).

وقد قال بهذا المعنى ابنُ مسعود وغيره، ويؤيده قول عائشة: (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا فَتَحَ مَكَّةَ وَأَسْلَمَ الْعَرَبُ، جَعَلَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ، يتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ أَي: فِي هَذِهِ السُّورَةِ...)^(٢).

❖ رابعاً: تفسير القرآن بأقوال التابعين:

أدرك ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ أهمية أقوال التابعين فكان يذكر أقوالهم في تفسير آيات الله تعالى.

ويلاحظ أن ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ عند ذكره لأقوال التابعين يذكرها دون نسبتها إلى أصحابها والاكتفاء بعبارته: وقيل، واتضح ذلك بعد التبع لهذه الأقوال في كتب التفسير الأخرى^(٣).

ومما صرح به: عند تفسير قوله تعالى في سورة الكوثر: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ عَلَى الْكَوْثَرِ﴾ [١].

قال ابن جزي: (في تفسيره سبعة أقوال: .. الثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس وتبعه سعيد بن جبير)^(٤).

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة النصر، رقم (٤٩٧).

(٢) التسهيل (٤/٤٣٠). والحديث أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٤٨٤).

(٣) انظر: ابن جزي ومنهجه في التفسير (١/٤٥٢ - ٤٥٣).

(٤) التسهيل (٤/٤٢٦).

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراساتها

ذكر ابن جزي رحمته الله عند قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨].

فقال: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ ليس نفي الشفاعة مطلقاً، فإن مذهب أهل الحق ثبوت الشفاعة لسيدنا محمد صلوات الله عليه وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين^(١)، وإنما المراد أنه لا يشفع أحد إلا بعد أن يأذن الله له لقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ولقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣] ولقوله: ﴿لَا تَنفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [طه: ١٠٩].

وانظر ما ورد: أن رسول الله صلوات الله عليه يستأذن في الشفاعة فيقال له: «اشْفَعْ تُشَفِّعْ»^(٢)، فكل ما ورد في القرآن من نفي الشفاعة مطلقاً يحمل على هذا؛ لأن المطلق يحمل على المقيد؛ فليس في هذه الآيات المطلقة دليل للمعتزلة على نفي الشفاعة^(٣).

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ [النحل: ١٠٤].

قال: (هذا في حق من علم منه أنه لا يؤمن بك قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦] فاللفظ عام يراد به الخصوص كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا

(١) انظر هذه الأحاديث في: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَجُودُهُ يُؤْتِيهِمْ نَافِئَةً﴾ [النحل: ١٠٤] [القيامة: ٢٢ - ٢٣] برقم (٧٤٣٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية برقم (١٨٢).
(٢) المصدر السابق.
(٣) التسهيل (١/١٢٥).

يُؤْمِنُونَ ﴿[البقرة: ٦٦]﴾^(١).

وعند قوله تعالى: ﴿يَنْ أَيْ شَوْءٍ خَلَقَهُ﴾ [عبس: ١٨].

قال: (توقيف وتقرير ثم أجاب عنه بقوله: ﴿يَنْ نُّطْفِئَهُ خَلَقَهُ﴾ [عبس: ١٩])^(٢).

واستشهد ابن جزي رحمه الله بالحديث النبوي في تفسيره لبعض الآيات، ومن ذلك: ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ﴾ [البقرة: ٢٦١].

فقال: (بيان أن الحسنة بسبع مئة كما جاء في الحديث: «أَنَّ رَجُلًا جَاءَ بِنَاقَةٍ فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِئَةِ نَاقَةٍ»^(٣)).

وذكر عند قوله تعالى: ﴿وَلِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبَكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

فقال: (الآية مقتضاها المحاسبة على ما في نفوس العباد من الذنوب سواء أبدؤهُ أو أخفؤهُ، ثم المعاقبة على ذلك لمن يشاء الله أو الغفران لمن شاء الله، وفي ذلك إشكال لمعارضته لقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِأَمْتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا»^(٤)).

ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ؛ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الصَّحَابَةِ، وَقَالُوا: هَلَكْنَا إِنْ حُوسِبْنَا عَلَى خَوَاطِرِ أَنْفُسِنَا! فَقَالَ لَهُمْ

(١) التسهيل (٣٠٥/٢)، وانظر: أضواء البيان للشنقيطي (٥٧٧/٢).

(٢) التسهيل (٣٠٥/٢).

(٣) التسهيل (٢١٨/١)، والحديث أخرجه: مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الصدقة برقم (٣٥٠٨).

(٤) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر برقم (١٢٧).

النَّبِيُّ ﷺ: «قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»، فَقَالُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْكُرْبَةَ، وَنَسَخَ بِذَلِكَ هَذِهِ الْآيَةَ...^(١).

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧].

فقال: (قيل: قبل المرض والموت، وقيل: قبل السيّاق ومعاناة الملائكة، وفي هذا قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ»)^(٢).

كما استدل ابن جزى رحمه الله بأقوال الصحابة، فمن ذلك: ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤].

فقال: (قَوَّامٌ بِنَاءٌ مبالغٍ من القيام على الشيء والاستبداد بالنظر فيه. قال ابن عباس: الرِّجَالُ أُمَرَاءُ عَلَى النِّسَاءِ)^(٣).

وعند قوله تعالى: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّيْلِ﴾ [النساء: ٣٦]. فقال: (قال ابن عباس: الرفيق في السفر)^(٤).

(١) التسهيل (٢٣١/١)، والحديث أخرجه: مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أنه ﷺ لم يكلف إلا ما يطاق برقم (١٢٥)، والإمام أحمد في مسنده برقم (٩٣٤٤).
(٢) التسهيل (٣٠٢/١)، والحديث أخرجه: الترمذي في سننه، كتاب الدعوات، الحديث رقم (٣٤٦٠).

وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد برقم (٤٢٤٣)، والحديث حسنه الألباني.
انظر: صحيح ابن ماجه (٣/٣٨٣)، والمشكاة برقم (٢٣٤٣).

(٣) التسهيل (٣١٣/١)، وانظر رواية ابن عباس في جامع البيان للطبري (٦/٦٨٧) وتفسير القرآن لابن أبي حاتم (٣/٩٣٩)، والدر المنثور للسيوطي (٤/٣٨٤).

(٤) انظر رواية ابن عباس في: جامع البيان للطبري (٧/١١)، وتفسير ابن المنذر (١٧٥٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/٩٤٩)، وشعب الإيمان للبيهقي برقم (٩٥٢٤)، والدر المنثور للسيوطي (٤/٤٢١).

وقال علي بن أبي طالب: الزوجة^(١).

وعند قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥].

فقال: (قال ابن مسعود^(٢)): هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى ﷺ إلى مَلِكٍ مَدْيَنَ داعيًا إلى الله فَرَشَاهُ الْمَلِكُ وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع دينه ففعل وأضل الناس بذلك.

وقال ابن عباس^(٣): هو رجل من الكنعانيين اسمه بَلْعَمُ بْنُ بَاغُورَاءَ، كان عنده اسم الله الأعظم، فلما أراد موسى قتال الكنعانيين وهم الجبارون، سألوا من بلعم أن يدعُوَ باسم الله الأعظم على موسى وعسكره؟ فأبى فألحوا عليه حتى دعا عليه ألا يدخل المدينة ودعا عليه موسى، فالآيات التي أُعْطِيَهَا على هذا القول: هي اسم الله الأعظم. وعلى قول ابن مسعود هي ما عَلَّمَهُ موسى من الشريعة. وقيل: كان عنده من صحف إبراهيم.

(١) التسهيل (٣١٥/١).

انظر رواية علي في: جامع البيان للطبري (١٤/٧)، وتفسير ابن المنذر (١٧٦٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩٤٩/٣)، والدر المنثور للسيوطي (٤٢٢/٤) وزاد نسبته لعبد بن حميد.

(٢) انظر رواية ابن مسعود في: تفسير عبد الرزاق (٢٤٣/١)، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١١٩٣)، وجامع البيان للطبري (٥٦٧/١٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٦١٦/٥)، والطبراني في المعجم الكبير برقم (٩٠٦٤).

والسيوطي في الدر المنثور (٦٧٢/٦) وزاد في نسبته ابن المنذر وأبا الشيخ وابن مردويه. والذي يظهر من هذه الروايات أنها أخبار إسرائيلية؛ لأن هذا غير صحيح، فالله ﷻ يصطفي لنبوته من يعلم أنه لا يخرج عن طاعته إلى معصيته. انظر: النكت والعيون للماوردي (٢٧٩/٢).

(٣) جامع البيان للطبري (٥٦٨/١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٦/٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٦٧٤/٦).

علمًا وحكمة وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر ثم رجع عن ذلك ومات كافرًا . . . (٢).

واستدل بأقوال التابعين في تفسير الآيات؛ فمن ذلك: ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَيْنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣].

فقال: (قال مجاهد^(٣) وغيره: إن الله قال لموسى: لن تراني لأنك لا تطيق ذلك، ولكن سأتجلى للجبل الذي هو أقوى منك وأشد، فإن استقر وأطاق الصبر لهيبتني أمكن أن تراني أنت، وإن لم يُطِقِ الْجَبَلُ فأحرى ألا تطيق أنت، فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثالاً لموسى^(٤)).

وعند قوله تعالى: ﴿فَاقرءُوا مَا يَنسَرُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠].

فقال: (أي: إذا لم تقدرُوا على قيام الليل كله فقوموا بعضه، واقرءُوا في صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن، وهذا الأمر للندب، وقال ابن عطية: هو للإباحة عند الجمهور^(٥)).

وقال قوم - منهم الحسن^(٦) وابن سيرين^(٧) -: هو فرض لا بد منه ولو أقل ما يمكن . . . (٨).

(١) سنن النسائي الكبرى (١١١٩٢)، وجامع البيان للطبري (٥٧٠/١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٦/٥)، والطبراني في مجمع الزوائد (٢٥/٧).

(٢) التسهيل (١٠٢/٢).

(٣) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٥٥٦/٦) وزاد نسبه إلى عبد بن حميد.

(٤) التسهيل (٨٤/٢). (٥) المحرر الوجيز (٣٩٠/٥).

(٦) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٥٩/١٥).

(٧) هو: محمد بن سيرين البصري الأنصاري، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، له مؤلفات منها: تعبير الرؤيا وتفسير الأحلام. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٩/٢١٤)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٤٥٣/١).

(٨) التسهيل (٢٩٦/٤).

انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣٩٠/٥).

لِلْبَحْثِ الثَّانِي

طبقات المفسرين

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزري في مسألة طبقات المفسرين.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

✻ أولاً: التعريفات:

الطبقة لغة: الأمة بعد الأمة^(١).

ومنه شعر العباس:

«إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَأَ طَبَقٌ».

يقول: إذا مضى قرن بدا قرن^(٢).

وقيل للقرن: طبق.

وقال ابن سيده^(٣): (الطبق: الجماعة من الناس يعدلون جماعة مثلهم)^(٤).

(١) لسان العرب (طبق) (١٣٦/٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث (طبق) (١١٣/٣).

(٣) هو: علي بن إسماعيل إمام اللغة، وآدابها ولد عام (٣٩٨هـ) بمرسية له مؤلفات منها: المحكم والمختصر. توفي سنة (٤٥٨هـ)، انظر: نفح الطيب (٣/٣٨٠).

(٤) انظر: المُحْكَم (٦/٢٩٢).

وقال الزمخشري: (والناس طبقات: منازل ودرجات بعضها أرفع من بعض)^(١).

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

علم الطبقات من أهم العلوم وأشرفها، وإن مما يدعو إلى الغبطة والسرور أن علماء هذا الشأن دونوا فيه دواوين كثيرة عُنُوا فيها ببيان طبقات العلماء في شتى العلوم في التفسير والحديث والأدب وغيرها، بل إنهم ليتجاوزون ذلك إلى التأليف في طبقات الفرسان^(٢)، وطبقات أهل العلم والجهل^(٣)، وطبقات الخطباء^(٤) وطبقات الأطباء^(٥).

وكان لعلماء التفسير نصيب من هذا الفن فدونوا أخبارهم، وأحصوا كتبهم وآثارهم، وإن كانت طبقات المفسرين ظلت في ثنايا كتب الطبقات المختلفة لا يجمع أطرافها كتاب مثل: طبقات المحدثين، والشعراء، والنحاة، وغيرها، وكان قد نشر كثير من المفسرين في مقدمة تفاسيرهم طبقات المفسرين بطريقة مقتضبة حتى جاء الإمام ابن جزى فنشر في مقدمة تفسيره طبقات المفسرين بشيء من الإسهاب.

ثم جاء الإمام السيوطي فألف كتاب طبقات المفسرين، واقتفى أثره تلميذه الإمام الداودي فألف كتابه العجائب «طبقات المفسرين» فأكمل به عمل شيخه فصارا هما العمدة، ثم أَلَفَ الناسُ بعدهما في هذا الفن الجليل. ومن مظاهر جلالة هذا العلم معرفة سير العلماء، والوقوف على منازلهم، ومعرفة تعديلهم أو جرحهم، وكفى بهذا شرفًا وعلوًا.

(١) أساس البلاغة (طبق). (٢) وهي لأبي عبيدة معمر بن المثنى.

(٣) وهي لواصل بن عطاء.

(٤) وهي لأحمد بن محمد بن يوسف الأصفهاني.

(٥) منها: طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة.

المطلب الثاني

موقف ابن جزي
في مسألة طبقات المفسرين

صنّف الإمام ابن جزي في مقدمة تفسيره المفسرين حسب طبقاتهم فعد في الطبقة الأولى: الصحابة رضي الله عنهم فقال: (وأكثرهم كلامًا في التفسير ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، ثم عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص).

ثم الطبقة الثانية: التابعون، وأحسنهم كلامًا في التفسير: الحسن بن الحسن البصري وسعيد بن جبير^(١) ومجاهد^(٢) مولى ابن عباس.

وعلقمة^(٣) صاحب عبد الله بن مسعود، ويتلوهم: عكرمة^(٤)، وقتادة^(٥)،

(١) هو: سعيد بن جُبَيْر بن هشام الأسدي، أخذ عن ابن عباس، وتخرج من مدرسته حتى صار إمامًا عالمًا. توفي سنة (٩٥هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٢٥٦/٦).

(٢) هو: مجاهد بن جبر أبو الحجاج القرشي المخزومي، ولد سنة (٢١هـ) في خلافة عمر، أحد الأعلام القراء، والمفسرين. توفي سنة (١٠٣هـ). انظر: ميزان الاعتدال (٩/٣)، وتفسيره مطبوع بتحقيق: عبد الرحمن السورتي، ونشرته إدارة الشؤون الدينية بالدوحة، مطبعة المنشورات العلمية بيروت (١٩٧٦م).

(٣) هو: علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك أبو شبل، النخعي الكوفي من أكابر أصحاب عبد الله بن مسعود، قال فيه الإمام أحمد: ثقة من أهل الخير. وهو عند أصحاب الكتب الستة. مات سنة (٦١هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٢٧٦/٧).

(٤) هو: عكرمة بن عبد الله البربري المدني مولى ابن عباس. توفي بالمدينة سنة (١٠٧هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (٩/١).

(٥) هو: قتادة بن دعامة السدوسي أحد علماء التابعين، روى عن أنس بن مالك وجماعة من التابعين. توفي سنة (١١٧هـ). انظر: تهذيب التهذيب (٣٥١/٨).

والسدي^(١)، والضحاك بن مزاحم^(٢) وأبو صالح^(٣) وأبو العالية^(٤).

ثم ذكر ابن جزى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَتْبَاعُ التَّابِعِينَ فقال: ثم حمل تفسير القرآن عدول كل خَلْفٍ، وألف الناس فيه: كالمفضل^(٥)، وعبد الرزاق^(٦)، وعبد بن حميد^(٧)، والبخاري^(٨)، وعلي بن أبي طلحة^(٩) وغيرهم.

ثم إن محمد بن جرير الطبري^(١٠) جمع أقوال المفسرين وأحسن النظر فيها^(١١).

(١) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي مولى قريش أبو محمد الكوفي، روى عن أنس وابن عباس. توفي سنة (١٢٨هـ). انظر: ميزان الاعتدال (١/٢٣٦).

(٢) هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي، مولا هم الخرساني، روى عن ابن عباس وأبي هريرة، اشتهر بالتفسير، توفي سنة (١٠٥هـ). انظر: طبقات ابن سعد (٦/٢١٠).

(٣) هو: باذام مولى أم هانئ، له في التفسير كلام كثير، ضعيف، يرسل، من الثالثة. انظر: تقريب التهذيب لابن حجر (ص ٥٩).

(٤) هو: زياد وقيل: رفيع بن مهران الرياحي مولا هم، كان من ثقات التابعين. مات سنة (٩٠هـ). انظر: تقريب التهذيب لابن حجر (١٥٠).

(٥) أطلق ابن جزى لقب المفضل ولم يبين من هو، والذي يبدو لي أنه يقصد المفضل بن فضالة لذكره مع من ألف في التفسير بالمأثور، والله أعلم.

(٦) هو: عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني، أحد الأئمة الأعلام الحفاظ. توفي سنة (٢١١هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (٧٣/١٨) وتفسيره مطبوع بتحقيق: مصطفى مسلم ونشرته مكتبة الرشد بالرياض سنة (١٤١هـ).

(٧) هو: عبد بن حميد بن نصر الكشي أبو محمد الحافظ، مؤلف المسند والتفسير. توفي سنة (٢٤٩هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (٢/١٠٤)، وتفسيره طبعت منه قطعة بتحقيق: مخلف بنيه العرف

وصدر عن دار ابن حزم بيروت (١٤٢٥هـ) في (١٣٧) صفحة.

(٨) هو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الإمام أبو عبد الله البخاري، صاحب الصحيح توفي سنة (٢٥٦هـ). انظر: تاريخ بغداد (٤/٣٦ - ٤/٣٦).

(٩) هو: علي بن أبي طلحة: روى التفسير عن ابن عباس. انظر: الطبقات الكبرى (٣١٧/٧).

(١٠) هو: محمد بن جرير الإمام أبو جعفر الطبري، المؤرخ الفقيه شيخ المفسرين، ولد سنة (٢٢٤هـ) وتوفي سنة (٣١٠هـ). انظر: تاريخ بغداد (٢/١٦٢).

(١١) التسهيل (١/٢٦).

ثم ذكر بعض من صنّف في التفسير أشياء فقال: (منهم: أبو بكر النقاش^(١)، والثعلبي^(٢)، والماوردي^(٣) إلا أن كلامهم يحتاج إلى تنقيح، وقد استدرك الناس على بعضهم)^(٤).

ثم قال ابن جزى رَحِمَهُ اللهُ: (وصنّف أبو محمد بن قتيبة^(٥) في غريب القرآن^(٦) ومشكله^(٧) وكثير من علومه).

وصنّف في معاني القرآن جماعة من النحويين: كأبي إسحاق

(١) هو: محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون الموصلي، ولد سنة (٢٦٦هـ) إمام أهل العراق في القراءات والتفسير، صنّف التفسير وغيره، توفي سنة (٣٥١هـ). انظر: وفيات الأعيان (١/٤٨٩)، وتفسيره مخطوط سماه شفاء الصدور وصفه ابن النديم في الفهرست (ص٣٦)، بأنه كبير وقال فيه أبو بكر البرقاني: ليس فيه حديث صحيح. كما له مؤلفات في علوم القرآن منها: الإشارة في غريب القرآن والموضح في القرآن ومعانيه.

(٢) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي، أخذ عن ابن طاهر بن خزيمة وابن فورك، وأخذ عنه الواحدي، له مؤلفات منها: العرائس. توفي سنة (٤٢٧هـ).

انظر: طبقات المفسرين للداودي (١/٦٦)، وتفسيره الكشف والبيان مطبوع، كما استدرك عليه أحمد بن محمد بن المظفر الرازي (ت٦٣١) استدراقات سماها بمباحث التفسير، وهو مطبوع بتحقيق: حاتم القرشي.

(٣) هو: علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي، تفقه على أبي القاسم الصيمري والأسفراييني، له مصنفات جليلة منها: الحاوي والأحكام السلطانية وتفسيره النكت والعيون مطبوع.

انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٣/٣٠٣)، طبقات المفسرين للداودي (١/٤٢٧).

(٤) التسهيل (١/٢٦ - ٢٧).

(٥) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، من أئمة الأدب، ولد سنة (٢١٣هـ)، له مؤلفات منها: عيون الأخبار، تأويل مختلف الحديث. توفي سنة (٢٧٦هـ).

انظر: بغية الوعاة للسيوطي (٢/٦٣).

(٦) كتابه في غريب القرآن مطبوع بتحقيق: السيد صقر.

(٧) يعني: كتابه تأويل مشكل القرآن وهو مطبوع بتحقيق: السيد صقر.

الزجاج^(١)، وأبي علي الفارسي^(٢)، وأبي جعفر النحاس^(٣)^(٤).

بعد ذلك ذكر ابن جزي رحمته الله تصانيف أهل المغرب فذكر منهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي^(٥) وكتابه «غريب القرآن» وتفسيره.

ثم ذَكَرَ أبا محمد مكِّي بن أبي طالب وكتبه في علوم القرآن، ومنها: «الهداية في تفسير القرآن»، وكتاب «غريب القرآن» وكتاب «ناسخ القرآن ومنسوخه»، وكتاب في إعراب القرآن^(٦).

وأما أبو عمرو الداني فتأليفه تُنَيَّفُ على مئة وعشرين إلا أن أكثرها في القرآن^(٧) ولم يؤلف في التفسير إلا قليلاً^(٨).

(١) تقدمت ترجمته، وكتابه مطبوع باسم معاني القرآن وإعرابه، كما يحقق في جامعة أم القرى في رسائل جامعية.

(٢) هو: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي الفارسي، النحوي المشهور، أخذ النحو على الزجاج وأبي بكر بن السري السراج. توفي سنة (٣٧٧هـ)، والمعروف أن لأبي علي الإغفال على معاني القرآن للزجاج شيخه وليس مؤلفاً مستقلاً في المعاني. انظر: أبو علي حياته وآثاره لشليبي.

(٣) تقدمت ترجمته، وكتابه في معاني القرآن مطبوع بتحقيق: محمد علي الصابوني، وطبع في معهد البحث العلمي بجامعة أم القرى.

(٤) التسهيل (٢٧/١).

(٥) هو: منذر بن سعيد البلوطي أبو الحكم الأندلسي قاضي الجماعة، كان فقيهاً محققاً له تصانيف حسان توفي سنة (٣٥٥). انظر: تاريخ قضاة الأندلس للنبهاني (٦٦)، ونفح الطيب للمقري (١/٣٧٠)، وكتابه يسمى: (الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله).

(٦) مطبوع باسم مشكل إعراب القرآن.

(٧) منها: التيسير، والمحكم، والمقنع والتحديد، والأرجوزة المنبهة وجامع البيان وكلها مطبوعة.

وذكر الشيخ محمد بن محمد مخلوف في شَجَرَةِ النُّورِ الزُّكِّيَّةِ (ص ١١٥) في ترجمة أبي عمرو الداني أن له تفسيراً كبيراً ويعد في حكم المفقود.

(٨) التسهيل (٢٨/١).

بعد ذلك ذكر ابن جزى أبا العباس المهدي^(١) وأثنى على تأليفه^(٢).

ثم قال: (جاء القاضيان أبو بكر بن العربي^(٣)، وأبو محمد عبد الحق بن عطية فأبدع كل واحد وأجمل فأما ابن العربي فصنف كتاب «أنوار الفجر»^(٤) في غاية الاحتفال، والجمع لعلوم القرآن، فلما تلف تلافاه بكتاب «قانون التأويل»^(٥).

وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التأليف وأعدلها^(٦). ثم ذكر شيخه أبا جعفر بن الزبير وأثنى عليه بقوله: (ثم حُتِمَ عِلْمُ القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن، وآتاه الله بسطة في علمه، وقوة في فهمه، وله تحقيق ونظر دقيق)^(٧).

(١) هو: أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدي الأنديسي، أخذ على جلة شيوخ عصره منهم: محمد بن سفيان القيرواني وعلي بن محمد القاسبي، له مؤلفات جليلة منها: التفصيل الجامع لعلوم التنزيل والهداية. توفي سنة (٤٣٠هـ). انظر: طبقات القراء للذهبي (٢/٢٢٤).

(٢) منها: التفصيل الجامع لعلوم التنزيل والتحصيل، والموضح في تعليل وجوه القراءات. (٣) هو: محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الأنديسي، قاض حافظ للحديث من فقهاء المالكية؛ أخذ عن جلة شيوخ عصره منهم: ابن الحمامي وأبو الفوارس الزينبي، أخذ عنه: إبراهيم الكلاعي وأحمد بن الحاج التجيبي، له مؤلفات جليلة منها: أحكام القرآن، والمسالك في شرح موطأ مالك، وقانون التأويل. توفي سنة (٥٤٣هـ). انظر: طبقات المفسرين للسيوطي (ص ٣٤)، والديباج المذهب لابن فرحون (ص ٣٨١).

(٤) قال الذهبي: وفسر القرآن المجيد فأتى بكل بديع، سير أعلام النبلاء (٢٠/١٩٩)، والتفسير المذكور مفقود يقال: إنه يقع في ثمانين مجلدًا.

(٥) وهو كتاب في التفسير بقي منه بعض الأجزاء مخطوطة ربما تكون نسخة كاملة. (٦) يعني: تفسيره المحرر الوجيز وهو مطبوع عدة طبعات، وحقق في رسائل جامعية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٧) التسهيل (١/٢٩).

ومن وقف على كتابه: (ملاك التأويل والبرهان) علم صحة كلام ابن جزى ﷺ.

ثم ذكر ثلاثة تفاسير من تفاسير المشاركة فقال: (ومما بأيدينا من تأليف أهل المشرق تفسير أبي القاسم الزمخشري فمسدد النظر بارع في الإعراب متقن في علم البيان، إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشرهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدر صفوه، وتمرر حلوه فخذ منه ما صفا ودع ما كدر^(١)).

وأما الغزنوي^(٢) فكتابه مختصر، وفيه من التصوف نكت بديعة. وأما ابن الخطيب^(٣) فتضمن كتابه ما في كتاب الزمخشري وزاد عليه إشباع قواعد علم الكلام، ونَمَّقَهُ بترتيب المسائل...^(٤). ثم ختم ابن جزي موضوع طبقات المفسرين بالدعاء للجميع وأن يجزيهم أفضل الثواب.



(١) التسهيل (٢٩/١).

(٢) لعله هو: محمد بن طيفور السجاوندي الغزنوي أبو عبد الله: مفسر، نحوي لغوي، عارف بالقراءات له تفسير «عين المعاني في تفسير السبع المثاني» قال القفطي: (ذكر فيه النحو وعلل القراءات والآيات ومعانيها واللغة إلى غير ذلك من معاني التفسير في مجلدات، أعدادها قليلة، وفوائدها كثيرة جليلة). توفي سنة (٥٦٠هـ). انظر: إنباه الرواة (١٥٣/٣)، طبقات المفسرين للسيوطي (٣٢).

(٣) هو: محمد بن عمر بن الحسين بن علي التيمي البكري أبو عبد الله فخر الدين الرازي، الإمام المفسر المتكلم، ولد في الري، أتقن علوماً كثيرة، له مصنفات كثيرة منها: نهاية الإيجاز، وأسرار التنزيل، ومفاتيح الغيب. توفي سنة (٦٠٦هـ). انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢١٤/٢)، طبقات الشافعية للسبكي (٨١/٨).

(٤) التسهيل (٢٩/١).

لِلْبَحْثِ الثَّالِثِ

أسباب الخلاف بين المفسرين وأثرها في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة أسباب الخلاف بين المفسرين.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراساتها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً: التعريفات:

السبب لغة: كل شيء يتوصل به إلى غيره، وقد تسبب إليه.
والجمع: أسباب، وكل شيء يتوصل به إلى الشيء فهو سبب،
وجعلت فلاناً لي سبباً إلى فلان في حاجتي وَوَدَجَا؛ أي: وَضَلَّةً
وذريعة^(١).

والخلاف في اللغة: المضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافاً،
وتخالف الأمران واختلفا: لم يتفقا^(٢).

(٢) المصدر السابق (خلف) (٤/٢١٧).

(١) لسان العرب (سبب) (٦/١٥٣).

واصطلاحًا: هو: أن يُعَبَّرَ كُلُّ واحدٍ من المفسرين عن المعنى المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تَدُلُّ على معنى في المسمى غير المعنى الآخر، مع اتخاذ المسمى بمنزلة الأسماء المتكافئة التي بين المترادفة والمتباينة^(١).

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

لمعرفة أسباب اختلاف المفسرين أهمية كبيرة، ومن مظاهر تلك الأهمية الوقوف على أقوال المفسرين والتمييز بينها، ومعرفة ما كان منها من اختلاف التضاد وما كان من اختلاف التنوع لينزل كل نوع منهما المنزلة التي تليق به، فإن كان الاختلاف من باب التنوع حملت الآية على كل ما قيل فيها من أقوال إذا كانت كلها صحيحة وليس بينها تعارض.

قال الزركشي: (يكثر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم، ويحكيه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ، وَيُظَنُّ مَنْ لَا فَهْمَ عنده أن في ذلك اختلافًا فيحكيه أقوالًا وليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى ظهر من الآية، وإنما اقتصر عليه لأنه أظهر عند ذلك القائل، أو لكونه أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يؤول إلى معنى واحد غالبًا، والمراد الجميع، فليُتَفَتَّنْ لذلك، ولا يفهم من اختلاف العبارات اختلاف المرادات، كما قيل:

عِبَارَاتُنَا شَتَّى وَحُسْنُكَ وَاحِدٌ وَكُلُّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يُشِيرُ

هذا كله حيث أمكن الجمع...^(٢).

(١) انظر: مباحث في أصول التفسير للرومي (ص ٤٢).

(٢) البرهان (١٥٩/٢ - ١٦٠).

وهذا الأمر يكون في حال حصول الجمع، وأما ما كان من باب القضاء - أعني: القولين المتنافيين اللذين إذا قيل بأحدهما لا يقال بالآخر - فإنه يسلك فيه طرق الترجيح المعروفة.

ومن هنا يتبين أن معرفة هذين النوعين - أي: اختلاف التنوع واختلاف التضاد - من الأهمية بمكان لمن يشتغل بالتفسير والأحكام، وإلا اختلطت عليه المسالك وأدخل أحد النوعين في الآخر، والله أعلم.

المطلب الثاني

موقف ابن جزي

في مسألة أسباب الخلاف بين المفسرين

أفرد ابن جزي رحمته الله في مقدمة تفسيره بابًا خاصًا بأسباب الخلاف بين المفسرين لم يتطرق لها غيره من المفسرين، وقد حصر هذه الأسباب في اثني عشر سببًا فقال:

(- اختلاف القراءات.

- اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات.

- اختلاف اللغويين في معنى الكلمة.

- اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.

- احتمال العموم والخصوص.

- احتمال الإطلاق والتقييد.

- احتمال الحقيقة والمجاز.

- احتمال الإضمار والاستقلال.

- احتمال الكلمة زائدة.

- احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير.

- احتمال أن يكون الحكم منسوخاً أو محكماً.
- اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ وعن السلف رضوان الله عليهم...^(١).
هذه هي الأسباب التي ذكرها ابن جزى رَحِمَهُ اللهُ وبني عليها أوجه الترجيح عنده.

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراساتها

ذكر ابن جزى رَحِمَهُ اللهُ عند قوله تعالى: ﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [البقرة: ٢١٣].
قال: «أي: متفقين في الدين»^(٢).
وقيل: كفاراً في زمن نوح ﷺ.
وقيل: مؤمنين ما بين آدم ونوح^(٣) أو من كان مع نوح في السفينة، وعلى ذلك يقدر: فاختلفوا بعد اتفاقهم، ويدل عليه ﴿أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ فَاخْتَلَفُوا﴾^(٤).

(١) التسهيل (١/٧١ - ٧٣).

(٢) انظر: مسند أبي يعلى برقم (٢٦٠٦هـ)، والمعجم الكبير للطبراني برقم (١٨٣٠)، والدر المنثور (٤٩٦/٢) كلهم عن ابن عباس.

(٣) انظر: مسند البزار برقم (٢١٩)، وجامع البيان للطبري (٣/٦٢١)، وابن أبي حاتم (٢/٣٧٦) برقم (١٩٨٣)، والمستدرک للحاكم (٢/٥٤٦)، والدر المنثور للسيوطي (٢/٤٩٦) كلهم عن ابن عباس.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٣١٨): رواه البزار وفيه عبد الصمد بن النعمان وثقه ابن معين.

وقال غيره: ليس بالقوي.

(٤) التسهيل (١/١٨٩) وهذه قراءة عبد الله بن مسعود، أخرجه ابن جرير بسنده.
انظر: جامع البيان (٣/٦٢١)، والكشاف للزمخشري (١/٣٥٥).

وعند قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَتُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

قال: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ اختلاف الناس في الكبائر ما هي: فقال ابن عباس: الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب^(١).

وقال ابن مسعود: الكبائر هي الذنوب المذكورة من أول هذه السورة إلى هذه الآية^(٢).

وقال بعض العلماء: كل ما عَصِيَ الله به فهو كبيرة^(٣)، وعدّها بعضهم سبع عشرة، وفي البخاري عن النبي ﷺ: «اتَّقُوا السَّبْعَ الْمُوْبِقَاتِ: الْإِشْرَآكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ»^(٤).

فلا شك أن هذه من الكبائر للنص عليها في الحديث، وزاد بعضهم عليها أشياء وورد في الأحاديث النص على أنها كبائر، وورد في القرآن أو في الحديث وعيد عليها، فمنها: عقوق الوالدين، وشهادة الزور، واليمين الغموس، والزنى، والسرقة، وشرب الخمر، والنهبة، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، ومنع ابن

(١) انظر قول ابن عباس في: جامع البيان (٦/٦٥٢) وشعب الإيمان للبيهقي برقم (٢٩٠)، والدر المنثور للسيوطي (٤/٣٥٨).

(٢) أخرج قول ابن مسعود في مسند البزار برقم (١٥٣٢)، وجامع البيان للطبري (٦/٦٤١ - ٦٤٢)، وشرح مشكل الآثار للطحاوي (٢/٣٥٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٤): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

(٣) قاله ابن عباس. انظر: جامع البيان للطبري (٦/٦٥٢)، والدر المنثور (٤/٣٥٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠] برقم (٢٧٦٦).

السَّيْلِ الْمَاءِ، وَالْإِلْحَاد فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَالنَّمِيمَةُ، وَتَرَكَ التَّحَرُّزَ مِنَ الْبُولِ، وَالْغُلُولِ، وَاسْتِطَالَةَ الْمَرْءِ فِي عَرْضِ أَخِيهِ، وَالْجَوْرُ فِي الْحُكْمِ^(١).

وعند قوله تعالى: ﴿وَعَبَقْرِيَّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦].

قال ابن جزي: (العبقري: الطنافس)^(٢).

وقيل: الزرابي^(٣).

وقيل: الدباج الغليظ^(٤).

وهو منسوب إلى عبقري، وتزعم العرب أنه بلد الجن فإذا أعجبته شيء نسبته إليه^(٥).

وعند قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيرِ﴾ [الانفطار: ٦].

قال ابن جزي: (هذا توبيخ وعتاب، معناه: أي شيء غرك بربك حتى كفرت به أو عصيته أو غفلت عنه، فدخل في العتاب: الكُفَّارُ وَغُصَاةُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَغْفُلُ عَنْ اللَّهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنَ الصَّالِحِينَ،

(١) التسهيل (٣١١/١ - ٣١٢).

انظر هذه الأقوال في: الأدب المفرد للبخاري (ص ٨)، والمطالب العالية لابن حجر برقم (٣٩٣٥)، والجعديات لعلي بن الجعد (٣٣٣٩)، وجامع البيان للطبري (٦/٦٤٦)، والسلسلة الصحيحة للألباني برقم (٢٨٩٨).

(٢) قاله الحسن. انظر: المصنف لابن أبي شيبة (١٣/١٣٧)، ومعاني القرآن للفراء (٣/١٢٠)، والدر المنثور للسيوطي (١٤/١٦٨).

(٣) قاله ابن عباس. انظر: جامع البيان (٢٢/٢٧٤ - ٢٧٦)، وشعب الإيمان للبيهقي برقم (٣٣٨) (٣٤٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/١٧١)، والدر المنثور للسيوطي (١٤/١٦٨).

(٤) قاله مجاهد، انظر: المصنف لابن أبي شيبة (١٣/١٣٧)، وجامع البيان للطبري (٢٢/٢٧٧)، المحرر الوجيز لابن عطية (٥/٢٣٦)، والدر المنثور للسيوطي (١٤/١٦٨).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠/١٧٢) وعزاه لابن الأنباري.

وروي أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الأنفطار: ٦] فقال: «غَرَّهُ جَهْلُهُ»^{(١)(٢)}.

وقال عمر: غره جهله وحمقه وقرأ^(٣): ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقيل: غرَّه الشيطان المسلط عليه^(٤).

وقيل: غرَّه ستر الله عليه^(٥).

وقيل: غرَّه طمعه في عفو الله عنه^(٦).

ولا تعارض بين هذه الأقوال؛ لأن كل واحد منها مما يغر الإنسان إلا أن بعضها يغر قومًا وبعضها يغر قومًا آخرين...^(٧).



(١) التسهيل (٤/٣٤٥).

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٤/١٦٧) برقم (١٤٦٤) وقال: رواه الثعالبي والواحدي في تفسيره الوسيط بسنده ومثته، ورواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن.

(٣) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٥/٤٤٦)، والكشاف للزمخشري (٤/١٩٢)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢/١٢٢)، والدر المنثور (١٥/٢٨٣).

(٤) قاله قتادة. انظر: جامع البيان للطبري (٢٤/١٧٨)، والكشاف للزمخشري (٤/١٩٢)، ومعالم التنزيل للبخاري (٤/٤٥٥)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢/١٢٢).

(٥) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢/١٢٢) حكاه عن الفضيل بن عياض.

(٦) انظر: الوسيط للواحدي (٤/٤٣٤).

(٧) التسهيل (٤/٣٤٥).

الْبَحْثُ الرَّابِعُ

وجوه وقواعد الترجيح عند المفسرين وأثرها في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة وجوه وقواعد الترجيح.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراساتها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات

✽ التعريفات:

القاعدة لغة: أصلُ الأس، والقواعد: الأساس، وقواعد البيت: أساسه^(١).

وفي التنزيل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقوله تعالى: ﴿فَأَنبَأَ اللَّهُ بُنْيَنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦].

قال الزجاج: (القواعد: أساطين البناء التي تَعْمِدُهُ)^(٢).

(٢) معاني القرآن (٣/١٥٨).

(١) لسان العرب (قعد) (١١/٢٥٠).

وقواعد الهودج: خَشَبَاتٌ مُعْتَرِضَةٌ فِي أَسْفَلِهِ تُرَكَّبُ عِيدَانُ الْهُودَجِ فِيهَا^(١).

قال أبو عبيد^(٢): (قَوَاعِدُ السَّحَابِ: أَصُولُهَا الْمُعْتَرِضَةُ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ؛ شُبَّهَتْ بِقَوَاعِدِ الْبِنَاءِ)^(٣).

وقال ابن الأثير^(٤) في معرض تفسير قوله ﷺ حين سأل عن سحابة مرت فقال: (كَيْفَ تَرَوْنَ قَوَاعِدَهَا وَبَوَاسِقَهَا؟): «أراد بالقواعد: ما اعترض منها وسُفْلَ تشبيهاً بقواعد البناء»^(٥).

والترجيح في اللغة:

قال ابن فارس^(٦): (الراء، والجيم، والحاء: أصل واحد يُدُلُّ على رزانة وزيادة.

يقال: رجح الشيء وهو راجح: إذا رزن)^(٧).

(١) تهذيب اللغة (قعد) (١/١٣٦).

(٢) هو: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، ولد سنة (١٥٧هـ)، أخذ عن جمهرة من العلماء منهم: الكساني، وهشيم بن بشير وغندر، ووكيع كان دينا ورعا دقيق النظر ذا فضل، له مؤلفات منها: غريب الحديث، والأموال، والأمثال. توفي سنة (٢٢٤هـ). انظر: مراتب النحويين لأبي الطيب (١٤٨)، الفهرست لابن النديم (٧٨).

(٣) غريب الحديث (٣/١٠٤).

(٤) هو: المبارك بن محمد الجزري، مجد الدين أبو السعادات ويعرف بـ (ابن الأثير)، ولد سنة (٥٤٤هـ)، تتلمذ على جلة علماء عصره فأتقن علومًا شتى، له مصنفات منها: جامع الأصول، المرصع، النهاية في غريب الحديث. توفي سنة (٦٠٦هـ). انظر: معجم الأدياء لياقوت (١٧/٧١)، إنباء الرواة للقفطي (٣/٢٥٧).

(٥) النهاية في غريب الحديث (٤/٨٧).

(٦) هو: أحمد بن فارس بن زكريا الرازي من أئمة اللغة، والأدب، أخذ عن أبي بكر الخطيب وأبي الحسن القطاني، وغيرهما، وأخذ عنه: علي المقري، والهمداني، والصاحب بن عباد، له مؤلفات جليلة منها: معجم مقاييس اللغة، والمجمل، والصاحبي. توفي عام (٣٩٢هـ). انظر: نزهة الألباء للأنباري (٣٩٣)، يتيمة الدهر (٣/٢١٤).

(٧) معجم مقاييس اللغة (رجح) (٢/٤٨٩).

وأرجح الميزان؛ أي: أثقله حتى مال^(١).

وفي الاصطلاح:

هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها^(٢).

وقيل: هي الأمر الكلي الذي ينطبق على جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منه^(٣).

والترجيح اصطلاحًا:

هو تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى للدليل، ولا يكون إلا مع وجود التعارض، فحيث انتفى التعارض انتفى الترجيح؛ لأنه فرعه لا يقع إلا مرتبًا على وجوده^(٤).

وعرّفه الباجي^(٥) بقوله: (إنه طريق لتقديم أحد الدليلين على الآخر)^(٦).

وعرّفه ابن مفلح^(٧) بقوله: (الترجيح: هو اقتران الأمانة بما تقوى

(١) لسان العرب (رجح) (١٦٥/٥).

(٢) التعريفات للجرجاني (١٤٧)، الكليات للكفوي (٤٨/٤)، التعريفات لابن الكمال (١٣٣).

(٣) شرح الكوكب المنير (٣٠/١).

(٤) شرح الكوكب المنير لابن النجار (٦١٦/١).

(٥) هو: الوليد بن سليمان بن خلف الباجي الأندلسي رحل إلى المشرق، ودخل بغداد، وتلمذ على جلة علماء عصره، له مؤلفات جلية منها: التعديل والتجريح، واختلاف الموطآت، وغيرهما، توفي سنة (٤٧٤هـ).

انظر: فوات الوفيات للكتبي (٦٤/٢ - ٦٥)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/٥٣٥ - ٥٤٥).

(٦) المنهاج في ترتيب الحجّاج (٢٢١).

(٧) هو: محمد بن مفلح بن محمد المقدسي الفقيه الأصولي، إمام من أئمة الحنابلة، ولد عام (٧٥٨هـ)، وأخذ عن ابن تيمية وغيره، له مؤلفات منها: الفروع والنكت، والآداب الشرعية. توفي عام (٧٦٣هـ) بدمشق.

انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٢٩٤)، المقصد الأرشد للعليمي (١٥٢).

به على معارضها^(١) وكلها عبارات متقاربة.

وأما التعريف بالمركب الإضافي لقواعد الترجيح فهو: ضوابط وقواعد أغلبية يتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله^(٢).

المطلب الثاني

موقف ابن جزي

في مسألة وجوه وقواعد الترجيح

أفرد ابن جزي رحمته الله باباً خاصاً تحدث فيه عن أسباب الخلاف بين المفسرين، والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم، وحصر هذه الوجوه في اثني عشر وجهاً، فقال: (وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر: - تفسير بعض القرآن ببعض، فإذا دلّ موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه، ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال. - حديث النبي ﷺ، فإذا ورد عنه ﷺ تفسير شيء من القرآن عولنا عليه سيما إن ورد في الحديث الصحيح. - أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين، فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه.

- أن يكون القول قول مَنْ يُقْتَدَى به من الصحابة؛ كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس، لقول رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ»^(٣).

(١) شرح الكوكب المنير (١/٦١٦).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي (١/٣٢).

(٣) مسند أحمد (٤/٢٢٥) برقم (٢٣٩٧)، وأخرجه: البخاري في كتاب الوضوء برقم (١٤٣) بلا زيادة: (وعلمه التأويل).

- أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب، أو التصريف، أو الاشتقاق.

- أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده.

- أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن، فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه.

- تقديم الحقيقة على المجاز، فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين، وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالاً من الحقيقة، ويسمى «مجازاً راجحاً» والحقيقة مرجوحة، وقد اختلف العلماء أيهما يقدم:

فمذهب أبي حنيفة^(١) تقديم الحقيقة؛ لأنها الأصل، ومذهب أبي يوسف^(٢) تقديم المجاز الراجح لرجحانه.

وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح.

- تقديم العمومي على الخصوصي، فإن العمومي أولى؛ لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص.

- تقديم الإطلاق على التقييد، إلا أن يدل دليل على التقييد.

- تقديم الاستقلال على الإضمار، إلا أن يدل دليل على الإضمار.

(١) هو: النعمان بن ثابت أحد الأئمة الأربعة، ولد سنة (٨٠هـ) وتوفي في بغداد سنة (١٥٠هـ).

انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣٢٥/١٣)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/١٦٣).

(٢) هو: القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب البغدادي صاحب أبي حنيفة، ولي القضاء ببغداد إلى أن توفي بها سنة (١٨٢هـ). انظر: الفهرست لابن النديم (٢٨٦)، البداية والنهاية لابن كثير (١٨٠/١٠).

- حمل الكلام على ترتيبه، إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير^(١).

هذه هي أوجه الترجيح التي سردها ابن جزى، ومن خلالها يتبين لنا منهجه الذي سلكه حيالها، وهذه الأوجه التي ذكرها مما تتميز بها هذه المقدمة العلمية التي قدمها بين يدي تفسيره، وأنها تدل على مساهمته الجادة في حقل التفسير.

وإن كان ﷺ قد أغفل أحياناً تطبيقها أثناء تفسيره^(٢).

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراساتها

ذكر ابن جزى ﷺ عند قوله تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠].

فقال: (يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون لفظه أمراً، ومعناه: الشرط ومعناه: إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، كما جاء في سورة المنافقين.

والآخر: أن يكون تخييراً، كأنه قال: إن شئت فاستغفر، وإن شئت فلا تستغفر لهم، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم، وهذا أرجح لقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرَنِي فَأَخْتَرْتُ»^(٣).

(١) التسهيل (١/ ٢٠ - ٢١).

(٢) راجع: ابن جزى ومنهجه في التفسير (٨٤٥/٢).

(٣) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين برقم (١٣٦٦).

وذلك حين قال عمر: أتصلي على عبد الله بن أبيّ وقد نهاك الله عن الصلاة عليه^(١).

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَهَا﴾ [هود: ١٥].

قال: (الآية نزلت في الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة، إذ هم لا يصدقون بها^(٢)).

وقيل: نزلت في أهل الربا من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا، حسبما ورد في الحديث في القارئ، والمنفق، والمجاهد الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك: «إِنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ»^(٣).

والأول أرجح لتقديم ذكر الكفار^(٤) المناقضين للقرآن، فإنما قصد بهذه الآية أولئك^(٥).

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

قال ابن جزي: (قيل: إن ذلك عند الموت^(٦)).

(١) التسهيل (١٥٢/٢). انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٢١/١٠).

(٢) التسهيل (١٩١/٢): قاله: الضحاك.

انظر: جامع البيان للطبري (٣٤٩/١٢ - ٣٥٠)، واختاره النحاس في معاني القرآن (٣٣٥/٣).

(٣) الحديث أخرجه: مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار برقم (١٩٠٥).

(٤) والذي يظهر أنه من باب الإطلاق والتقييد، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتِ عِبَادِي عَنِّي فَأَنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] فهذا ظاهره خبر عن إجابة كل داع دائماً على كل حال، وليس كذلك لقوله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن سَأَلْتِ﴾ [الأنعام: ٤١]، راجع: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٦/١١).

(٥) التسهيل (١٩١/٢).

(٦) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣٢٩/٣)، والنكت والعيون للماوردي (١٤٨/٣).

وقيل: في القيامة.

وقيل: إذا خرج عصاة المسلمين من النار، وهذا هو الأرجح لحديث روي في ذلك^(١).

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

قال ابن جزى: (أي: الظاهر للعقول بالأدلة والبراهين الدالة على الباطن الذي لا تدركه الأبصار، أو الباطن الذي لا تصل العقول إلى معرفة كنه ذاته).

وقيل: الظاهر: العالي على كل شيء، فهو من قولك: ظَهَرْتُ عَلَى الشيء: إذا عَلَوَتْ عليه، والباطن الذي بطن كل شيء؛ أي: علم باطنه، والأول أظهر وأرجح^(٢).



(١) التسهيل (٢/٢٦٩)، والحديث المشار إليه أخرجه: الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٥١٤٢) من حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَعْذِبُونَ بِذُنُوبِهِمْ، فَيَكُونُوا فِي النَّارِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونُوا، ثُمَّ يُعَيَّرُهُمْ أَهْلُ الشَّرِّكَ فَيَقُولُونَ: مَا نَرَى مَا كُنْتُمْ تُخَالِفُونَ فِيهِ مِنْ تَصَدِيقِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ نَفَعَكُمْ، فَلَا يَبْقَى مَوْحِدٌ إِلَّا أَخْرَجَهُ اللَّهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ» [الحجر: ٢]. وذكر السيوطي في الدر المنثور (٤/٩٢) وزاد نسبه لابن مردويه وصحح إسناده، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٧٩): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير بسام الصيرفي وهو ثقة.

(٢) التسهيل (٤/١٨٢). انظر: تفسير القرآن لابن كثير (٤/٣٣٤ - ٣٢٥).

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

اللغة العربية وأثرها في تفسيره

وفيه أربعة مباحث:

- لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ : أوجه الإعراب.
- لِلْبَحْثِ الثَّانِي : مفردات اللغة.
- لِلْبَحْثِ الثَّالِثِ : علم التصريف.
- لِلْبَحْثِ الرَّابِعِ : علم الفصاحة والبلاغة.

لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ

أوجه الإعراب وأثره في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة أوجه الإعراب.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً: التعريفات:

الإعراب لغة: الإفصاح، والإبانة.

يقال: أعرب عنه لسانه أي: أبان^(١).

واصطلاحاً: تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديرًا^(٢).

وإعراب القرآن: هو ضبط كلماته والبعد عن اللحن في نطقها حتى يظهر معناها الصحيح^(٣).

(١) انظر: لسان العرب (عرب) (١٢٩/٩)، القاموس المحيط (عرب) (ص ١١٣٠).

(٢) انظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (٦١/١).

(٣) انظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه لفهد الرومي (ص ١١٤).

❖ ثانياً: أهمية الموضوع:

النحو أهم علوم العربية وأعلىها منزلة، إذ به صلاح الألسن وإصلاحها، ولا يتولج لفهم كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ إلا من طريقه، وكفى بهذا أهمية، إذ فهم الكتاب والسُنَّة هو الغاية التي يتقصاها دارسُ العلوم العربية والإسلامية على اختلاف أنواعها، وفي هذا شرف أيُّ شرف وقد قيل: (ما الإنسان إلا اللسان، هل هو إلا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة)^(١).

ولا يقام اللسان إلا بالبيان، ولا بيان إلا بقواعد اللسان، ومن الدلائل على أهمية علم العربية ورفع قدره نزول القرآن وفق قواعده، فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢].

وقال: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِذُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبٌ مِنْ هَذَا لِسَانٌ عَكْرٌ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

والمراد باللسان في الآية: اللغة، وهو من مرادفاتها.

وفي إنزال القرآن عربياً تشريفاً من أعلى المراتب العلية وأسنَى المناقب لعلم العربية^(٢).

المطلب الثاني

موقف ابن جزي

في مسألة أوجه الإعراب

نصَّ ابن جزي في مقدمة تفسيره على المنهج الذي سيسلكه في إعراب القرآن واهتم به اهتماماً بارزاً يطالعك في كل صفحة من

(١) ينسب هذا إلى خالد بن صفوان كما في البيان والتبيين للجاحظ (١/١٧٠)، وبهجة المجالس لابن عبد البر (١/٢٥٥).

(٢) انظر: الصعقة الغضبية للطوفي (ص ٢٣٦).

صفحاته، كما ترددت أسماء أعلام أئمة هذا الشأن في كتابه مع مناقشتهم أحياناً، والاكتفاء بحكاية أقوالهم مرة أخرى.

وقد لخص ابن جزي رحمته الله منهجه هذا بقوله: (وأما النحو فلا بد للمفسر من معرفته، فإن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى معرفة اللسان، والنحو ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: عوامل الإعراب، وهي أحكام الكلام المركب.

والآخر: التصريف، وهي: أحكام الكلمات من قبل تركيبها، وقد ذكرنا في هذا الكتاب من إعراب القرآن ما يحتاج إليه من المشكل والمختلف، أو ما يفيد فهم المعنى أو ما يختلف المعنى باختلافه، ولم نتعرض لما سوى ذلك من الإعراب السهل الذي لا يحتاج إليه إلا المبتدئ، فإن ذلك يطول بغير فائدة كبيرة^(١).

ذلك هو المنهج الذي صار عليه ابن جزي في إعراب القرآن، وقد التزم في كتابه بما شرطه على نفسه.

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراستها

ذكر ابن جزي عند قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠].

(...) واسم ﴿اللَّهُ﴾ مرفوع بالابتداء، أو ﴿كَذَلِكَ﴾ خبره؛ فيجب وصله معه.

وقيل: الخبر: يفعل الله ما يشاء، ويحتمل ﴿كَذَلِكَ﴾ على هذا وجهين:

(١) التسهيل (١/١٩).

أحدهما: أن يكون في موضع الحال من فاعل ﴿يَقْعَلُ﴾ [آل عمران: ٤٠].
والآخر: أن يكون في موضع خبر مبتدأ محذوف، تقديره: الأمر
كذلك، أو أنتما كذلك^{(١)(٢)}.

وعند قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾
[الأنبياء: ٥٩].

قال: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا﴾ قبله محذوف، تقديره: فرجعوا من
عندهم فأروا الأصنام مكسورة فقالوا: من فعل هذا^(٣).

ومن ذلك ما أشار إليه عند قوله تعالى: ﴿مِثْلَ آبَائِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
[الحج: ٧٨].

قال: (انتصب ﴿مِثْلَ﴾ بفعل مضمّر تقديره: أعني بالدين ملة
إبراهيم، أو التزموا ملة إبراهيم^(٤).

وقال الفراء: انتصب على تقدير حذف الكاف، كأنه قال:
كَمِثْلِهِ^(٥).

وقال الزمخشري^(٦): انتصب بمضمون ما تقدم، كأنه قال: وَسَّعَ

(١) التسهيل (٢٤٨/١).

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٧٩/٣)، البحر المحيط (٤٥١/٢)، الدر المصون (١٦٢/٢).

(٣) التسهيل (٥٣/٣). انظر: التبيان للعكبري (ص ١٣٤)، والدر المصون للحلي (١٧٤/٨).

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣٥٧/٣)، التبيان للعكبري (ص ٥٩١).

(٥) معاني القرآن (٢٣١/٢).

(٦) هو: محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، إمام مفسر، علامة الأدب،
ونسابة العرب، ولد عام (٤٦٧هـ)، أخذ عن أبي الخطاب بن البطرك، وأبو مضر بن
منصور، له عدد من المؤلفات؛ منها: أساس البلاغة، والكشاف في التفسير، توفي
عام (٥٣٨هـ).

انظر: وفيات الأعيان (١٦٨/٥)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٥١/٢٠).

عليكم توسعة ملة أبيكم إبراهيم، ثم حذف المضاف، فإن قيل: لم يكن إبراهيم أباً للمسلمين كلهم؟ فالجواب: أنه أب لرسول الله ﷺ وكان أباً لأمته؛ لأن أمة الرسول في حكم أولاده^(١).

ولذلك قرئ^(٢) ﴿وَأَزْوَاجَهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَهُوَ أَبُ لَهُمْ﴾^(٣).

وعند قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف: ١٣].

قال: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾ ارتفع أخرى على أنه خبر ابتداء مضمّر، تقديره: ولكم نعمة أخرى^(٤)، أو انتصب على أنه مفعول بفعل مضمّر، تقديره: ويمنحكم أخرى^(٥).

وعند قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُنْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَيِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْفَتْحِ وَالْأَصَالِ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٧].

قال: ﴿يُجَالٌ﴾ فاعل ﴿يُسَيِّحُ﴾ على القراءة بكسر الباء، وأما على قراءة بالفتح فهو مرفوع بفعل مضمّر يدل عليه الأول^(٦).

ويظهر مدى تمكنه في الجانِبِ النحوي الإعرابي بروز الحس النقدي لديه من خلال تفسيره، ومن ذلك:

- إعراب (ما) عند قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ [البقرة: ١٠٢] فقد بيّن ابن جزّي بأن (ما) في الآية لها محلان من الإعراب: نافية، أو معطوفة على كلمة (السحر)، ورد الإعراب الثاني بقوله: (إلا أن ذلك يَرُدُّهُ آخِرُ الآية، وإن كانت معطوفة بمعنى (الذي)

(١) الكشف (٤١/٣).

(٢) وهذه القراءة في مصحف أبي ﷺ، وذكرها ابن خالويه في مختصر القراءات الشواذ (ص ١٣٩) عن ابن مسعود. انظر: معاني القرآن للفراء (٢/٣٣٥)، ومعاني القرآن للنحاس (٣/٣٦٨)، والمححر الوجيز لابن عطية (٤/٣٧٠).

(٣) التسهيل (٣/٨٨ - ٨٩). (٤) انظر: التبيان للعكبري (ص ٢٦١).

(٥) التسهيل (٤/٢٢٢). (٦) التسهيل (٣/١٢٧).

فالمعنى: أنهما أنزل عليهما ضرب من السحر ابتلاء من الله لعباده أو ليعرف فيحذر^(١).

- وعند قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَلِكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٤].

قال ابن جزى في إعراب كلمة ﴿أَيَّامًا﴾: (منصوب بالصيام، أو بمحذوف، ويبعد انتصابه بـ ﴿تَتَّقُونَ﴾)^(٢).

فقد بين ابن جزى أن كلمة ﴿أَيَّامًا﴾ منصوبة إما بالصيام وهو مصدر، وإما بفعل محذوف تقديره: صوموا أيامًا، ورد القول الثالث بأنه منصوب على ﴿يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧] إذ لا يصح أن يقال بأن التقوى تكون في أيام معدودات فقط.



(١) التسهيل (١/١٤٣).

(٢) التسهيل (١/١٧٤).

لِلْبَحْثِ الثَّانِي

مفردات اللغة وأثرها في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة مفردات اللغة.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراساتها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً: التعريفات:

اللغة: فعلة من لغوت؛ أي: تكلمت^(١) وأصلها لغوة من لغا إذا تكلم^(٢).

وجمعها لُغَى مثل بُرّة وبُرى، وقيل: لُغَاتٌ وَلُغُونٌ^(٣).

واللغة: اللّسُنُ والنُّطْقُ، يقال: هذه لغتهم التي يَلُغُونُ بها؛ أي: ينطقون، وَلُغَوَى الطير: أصواتها.

واصطلاحاً: عرّفها ابن جني^(٤) بقوله: (أصوات يعبر بها كل قوم

(١) لسان العرب (لغو) (١٢/٣٣٠). (٢) تهذيب اللغة (لغا) (٨/١٧٣).

(٣) المحكم لابن سيده (لغو).

(٤) هو: عثمان بن جني، أبو الفتح النحوي من حذاق أهل الأدب، وأعلمهم بالنحو، =

عن أغراضهم^(١).

وعرّفها ابن حزم^(٢) بقوله: (ألفاظ يعبر بها عن المسميات، وعن المعاني المراد إفهامها، ولكل أمة لغتهم)^(٣).

وعرّفها ابن خلدون^(٤) بقوله: (اعلم أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني فلا بد أن تصير مَلَكَه مُقَرَّرَةً في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم)^(٥).

وعليه فيكون المراد بهذا المبحث:

معرفة معاني جميع كلمات اللغة العربية الموجودة في القرآن الكريم.

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

رفع الله تعالى قدر لغة العرب حين أنزل القرآن بلسانها، وجعلها الباب لفهمه، وكتب لها البقاء ببقاء كتابه.

قال ابن فارس: (إن العلم بلغة العرب واجبٌ على كلٍّ متعلّقٍ من

= تتلمذ على أبي علي الفارسي، له تأليف كثيرة كالخصائص، وسر صناعة الإعراب، والمحاسب، وغيرها. توفي ببغداد سنة (٣٩٢هـ). انظر: بغية الوعاة للسيوطي (١٣٢/٢).

(١) الخصائص (٣٤/١).

(٢) هو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أبو محمد العالم الأصولي، المؤرخ المتكلم، كان وزيرًا فتركها، وتفرغ للعلم، له مؤلفات جليلة منها: المحلى، والإحكام، ومراتب الإجماع. توفي سنة (٤٥٦هـ). انظر: بغية الملتبس (ص ٤٣٠).

(٣) انظر: الإحكام في أصول الأحكام (٥٢/١).

(٤) هو: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون مؤرخ وقاض، اشتهر بمقدمة كتابه في التاريخ المسمى «العبر». انظر: الأعلام للزركلي (٣/٣٣٠).

(٥) المقدمة (ص ٥٤٦).

العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب؛ حتى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله ﷺ عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله ﷻ وما في سنة رسول الله ﷺ من كل كلمة غريبة؛ أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بدءاً^(١).

ومما يزيد في أهميتها أن الله تبارك وتعالى أثنى عليها، وندب إليها، وامتن بها على عباده، واصطفها لكلامه، وأكرم بها أهل جنته، فقال تعالى في معرض الامتنان: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ - ٤]^(٢).

وعلم المفردات هو العلم الوحيد الذي يستخدم في جميع الآيات، فما من آية في القرآن إلا وفيها حاجة إلى معرفة معنى الكلمة، إذ لا يمكن معرفة معنى الآية إلا بمعرفة معنى كلماتها.

المطلب الثاني

موقف ابن جزي

في مسألة مفردات اللغة

قدّم الإمام ابن جزي رحمه الله بين يدي تفسيره بمقدمتين، ذكر في الأولى علوم القرآن، وأصول التفسير، وأفرد المقدمة الثانية للألفاظ التي يكثر دورانها في القرآن، فبيّن معانيها بحيث صارت كأنها كتاب خاص بمفردات ألفاظ القرآن لما احتوت عليه من مئات المواد من غريب اللغة، وذكر ابن جزي أنه جمع هذه الكلمات في هذه المقدمة لثلاث فوائد، هي:

(١) الصاحبى في فقه اللغة (ص ٥٠).

(٢) ينظر: تنبيه الألباب على فضائل الإعراب للشنتريني (ص ٣٢).

- تفسيرها للحفظ، فإنها وقعت في القرآن متفرقة، وجمعها أسهل لحفظها.

- ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعاني التفسير.

- الاختصار، لِيُسْتَغْنَى بذكرها هنا عن ذكرها في مواضعها من القرآن خوف التطويل بتكرارها، وربما نبهنا على بعضها للحاجة إلى ذلك، ورتبناها في هذا الكتاب على حروف المعجم، فمن لم يجد تفسير كلمة في موضعها من القرآن فلينظر في هذا الباب^(١).

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراساتها

ومن أمثلة هذا الباب الذي عرض لها أثناء تفسيره علاوة على ما ذكر في هذه المقدمة الرصينة ما أشار إليه في مواطن عدة، منها:

(أجر: ثواب، وبمعنى الأجرة، ومنه:

﴿أَسْتَجِرُّهُ﴾ [القصص: ٢٦].

و﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ [القصص: ٢٧].

وَأَمَّا ﴿أَسْتَجَارَكَ فَآجِرُهُ﴾ [التوبة: ٦].

﴿وَيُجْزَكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١].

﴿لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ﴾ [الجن: ٢٢].

﴿وَهُوَ يُخِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

فذلك كله من الجوار؛ بمعنى: التأمين^(٢).

(١) التسهيل (٤٥/١).

(٢) التسهيل (٤٥/١ - ٤٦). انظر: المفردات في غريب القرآن (أجر) (ص ٦٥).

ومما ذكره أيضًا:

(آمن إيمانًا؛ أي: صدَّق، والإيمان في اللغة: التصديق مطلقًا، وفي الشرع التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

والمؤمن: في الشرع: المصدق بهذه الأمور، والمؤمن اسم الله تعالى؛ أي: المصدق لنفسه.

وقيل: إنه من الأمن؛ أي: يؤمن أوليائه من عذابه.

وأمن بقصر الهمزة وكسر الميم أمانًا وأمانة: ضد الخوف، وأمن من الأمانة وأمن غيره من التأمين^(١).

ومن النماذج أيضًا:

(بعل: له معنيان: زوج المرأة، وجمعه بعولة.

وقيل: والبعل أيضًا: الرب

وقيل: اسم صنم ومنه ﴿أَدْعُوكَ بَعْلًا﴾ [الصفات: ١٢٥]^(٢).

وقال ابن جزي:

(حَضَرَ: بالضاد من الحضور.

ومنه: ﴿مُحَضَّرُونَ﴾ [الروم: ١٦].

﴿شَرِبَ مُحَضَّرٌ﴾ [القمر: ٢٨].

وبالطاء: من المنع، ومنه ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]

﴿كَهَشِيرِ اللَّحْظِيرِ﴾ [القمر: ٣١].

(١) التسهيل (٤٦/١). انظر: نزعة القلوب للسجستاني (أمن) (ص ٤١٩).

(٢) التسهيل (٤٩/١). انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٧٢/٢)، والجمهرة لابن دريد (٣١٤/٣).

وبالذال من الحذر وهو الخوف ومنه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧] ^(١).

وقال ابن جزى:

(روح: له أربعة معان: النفس التي بها الحياة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

والوحي: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾ [النحل: ٢].

وجبريل: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

وملك عظيم: ﴿نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ﴾ [القدر: ٤].

ورَوْحُ بفتح الراء: رائحة طيبة، والريحان: الرزق.

وقيل: الشجر المعروف ^(٢).



(١) التسهيل (٥٢/١). انظر: المفردات في غريب القرآن للراغب (حضر) (ص ٢٤١ - ٢٤٣).

(٢) التسهيل (٥٦/١).

انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص ٤٨٥ وما بعدها).

لِلْبَحْثِ الثَّالِثِ

علم التصريف وأثره في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلبُ الأولُ : التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلبُ الثاني : موقف ابن جزي في مسألة علم التصريف.
- المطلبُ الثالثُ : جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

* * *

المطلبُ الأولُ

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً : التعريفات :

التصريف لغة : قال ابن فارس : (الصاد، والراء، والفاء، مُعْظَمُ بَابِهِ يَدُلُّ عَلَى رَجْعِ الشَّيْءِ؛ مِنْ ذَلِكَ : صَرَفْتُ الْقَوْمَ صَرْفًا وَانْصَرَفُوا : إِذَا رَجَعْتَهُمْ فَرَجَعُوا)^(١).

وفي لسان العرب : (الصَّرَفُ : رَدُّ الشَّيْءِ عَنْ وَجْهِهِ، صَرَفَهُ يَصْرِفُهُ صَرْفًا فَانْصَرَفَ، وَصَارَفَ نَفْسَهُ عَنِ الشَّيْءِ : صَرَفَهَا عَنْهُ)^(٢).

واصطلاحاً : (هو علم بأصول تُعَرَّفُ بِهَا أَحْوالُ أبنية الكلم التي ليست بإعراب، وهو أن تأتي إلى الكلمة الواحدة التي حروفها كلها

(١) معجم مقاييس اللغة (صرف) (٣/٣٤٢) . (٢) لسان العرب (٤/٢٤٣٤).

أصول فتصرف فيها بزيادة أو نقصان؛ أو نقل من زمان إلى زمان^(١).

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

التصريف علم جليل القدر يحتاج إليه كل عالم لإدراك أصول الكلم من زوائده، وصحيحه من معتله، حتى لا تلتبس عليه معاني الكلم ومبانيه، لذا كانت أهميته كبيرة، والحاجة إليه شديدة.

قال الإمام ابن عصفور الإشبيلي^(٢): (التصريف أشرف شطري العربية وأغمضهما، فالذي يبين شرفه احتياج جميع المشتغلين باللغة العربية من نُحَوِيٍّ ولُغَوِيٍّ إليه أيًّا حاجة؛ لأنه ميزان العربية، ألا ترى أنه قد يؤخذ جزء كبير من اللغة بالقياس ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف... وأنه لا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به)^(٣).

وبهذا تتبين أهمية علم التصريف، وأنه لا غنى لكاتب أو متكلم عن معرفته، وإلا خَبَطَ خَبَطَ عَشَوَاءَ؛ لأن بنية الكلمة لا تعرف إلا من جهته، ولا تنحاز المعاني إلا بمراعاة قواعده، وكفى بهذا شرفًا وأهمية.

لِلْمُطَلِّعِ الثَّانِي

موقف ابن جزي

في مسألة علم التصريف

عقد ابن جزي رحمته الله الباب الرابع من مقدمة تفسيره للكلام على الفنون التي تتعلق بالقرآن، ومن ضمن هذه العلوم النحو والصرف.

(١) شرح الشافية لابن الحاجب (١/١).

(٢) هو: علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور الإشبيلي، حامل لواء العربية في الأندلس، ولد عام (٥٩٧هـ)، وأخذ عن عمر الأزدي، وأبي الحسن الدباج، وغيرهما، له مؤلفات نافعة منها: الممتع، والمقنع، والمقرب وغيرها، توفي عام (٦٦٩هـ).

انظر: فوات الوفيات للكتبي (٢/٩٣)، بغية الوعاة للسيوطي (٢/٢١٠).

(٣) الممتع في التصريف (١/٢٧ - ٢٨).

فقال: (والنحو ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: عوامل الإعراب، وهي أحكام الكلام المركب.

والآخر: التصريف، وهي أحكام الكلمات قبل تركيبها).

وقد نشر ابن جزي رحمته الله جملة من علم التصريف أثناء تفسيره للآيات، كما جعل الدلالة اللغوية والنحوية من المرجحات التي تترجح بها بعض الأقوال على البعض الآخر، إذ يقول ابن جزي في معرض كلامه: (... أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب، أو التصريف والاشتقاق).

كما ذكر ابن جزي عدة أقوال في الآية الواحدة، أحياناً يرجح القول الأول ويسرد الأقوال الأخرى التي قيلت، ومرة أخرى يسردها دون الإشارة إلى ترجيح وجه على آخر.

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراستها

ذكر ابن جزي رحمته الله عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وَزَنَ كلمة الملائكة الواردة في الآية فقال: (الملائكة) جمع ملك، واختلف في وزنه، فقليل: فَعَلٌ فالميم أصلية، ووزن ملائكة على هذا مفاعلة.

وقيل: هي من الْأَوَكَّةِ، وهي الرسالة، فوزنه مَفْعَلٌ، ووزنه مَأْلَكٌ ثم حذفت الهمزة، ووزن ملائكة على هذا مفاعلة ثم قلبت وأُخْرِت الهمزة فصار مفاعلة، وذلك بعيد^(١).

(١) التسهيل (١/١١٦).

وأشار أيضًا عند قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ بِدُشْرِكَ بِكَلِمَةٍ إِنَّهُ أَسَمُهُ الْمَسِيحُ﴾ [آل عمران: ٤٥] فقال: ﴿الْمَسِيحُ﴾ قيل: هو مشتق من ساح في الأرض، فوزنه مَفْعِلٌ.

وقال الأكثرون: من مسح؛ لأنه مسح بالبركة، فوزنه فَعِيلٌ، وإنما قال عيسى بن مريم والخطاب لمريم لينسبه إليها إعلامًا بأنه يولد من غير والد^(١).

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَرَسِ حَرِمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ...﴾ [الأنعام: ١٤٦].

قال: ﴿أَوِ الْحَوَايَا﴾ هي: المباعر.

وقيل: المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوى في البطن، وواحد حوايا حَوِيَّة^(٢) على وزن فَعِيلَةٍ، فوزن حوايا على هذا فعائل كصحيفة وصحائف.

وقيل: واحدها حاوية على وزن فاعلة، فحوايا على هذا فواعل كضاربة وضوارب...^(٣).

وقال عند قوله تعالى: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠]:

(القرار: المستوي من الأرض، فمعناه: أنها بسيطة يمكن فيها

= انظر: رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري (ص ٥٧) ضمن بحوث وتحقيقات لعبد العزيز الميمني.

(١) التسهيل (٢٥٠/١). انظر: التبيان في غريب القرآن لابن الهائم (ص ١٢٣)، وذكر الفيروزابادي في القاموس مادة (مسح) أنه ذكر خمسين قولاً في اشتقاقه في شرحه على صحيح البخاري وشرحه على مشارق الأنوار.

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص ١٦٣).

(٣) التسهيل (٤٥/٢). انظر: جامع البيان للطبري (٥٥/٨).

الحرث والغراسة، وقيل: إن القرار هنا الثمار والحبوب، والمعين: الماء الجاري.

ف قيل: إنه مشتق من قولك: معن الماء إذا كثر، فالميم على هذا أصلية وزنه فعيل^(١).

وقيل: إنه مشتق من العين، فالميم زائدة ووزنه مفعول^(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿عَنِ اللَّيْنِ وَعَنِ الشَّامِلِ عِزِّينَ﴾ [المعارج: ٣٧].

قال: ﴿عِزِّينَ﴾؛ أي: جماعات شتى، وهو جمع عِزَّةً بتخفيف الزاي، وأصله عِزْوَةٌ.

وقيل: عزهة ثم حذفت لامها، وجمعت بالواو والنون عوضاً من اللام المحذوفة^(٣).

وقال عند قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]:

﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ٣٧] الولدان جمع وليد، وهو الطفل الصغير، والشَّيْبُ بكسر الشين جمع أَشْيَبَ، ووزنه فُعْلٌ بضم الفاء؛ وكسرت لأجل الياء^(٤).



(١) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/٤٦٤)، حكاه عن علي بن سليمان.

(٢) التسهيل (٣/٩١). انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/٤٩).

(٣) التسهيل (٤/٢٧٤).

انظر: مجمع البيان للطبرسي (١٠/٣٥٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١/٢٤٢).

(٤) التسهيل (٤/٢٩٤). انظر: الدر المصون للسمين الحلبي (١٠/٥٢٧).

لِلْبَحْثِ الرَّابِعِ

الفصاحة والبلاغة وأثرها في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة الفصاحة والبلاغة.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراساتها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً: التعريفات:

الفصاحة لغة: البيان.

فُصِّحَ الرجلُ فَصَاحَةً، فهو فَصِيحٌ مِنْ قَوْمٍ فَصَحَاءَ وَفَصَاحٍ وَفُصِّحَ .
تقول: رجل فصيح وكلام فصيح؛ أي: بليغ، ولسان فصيح؛ أي: طلق.

وأفصحَ تكلم بالفصاحة.

وأفصح عن الشيء إفصاحاً إذا بيَّنه وكشفه، وفُصِّحَ الرجلُ وتَفَصَّحَ:
إذا كان عَرَبِيَّ اللِّسَانِ فَازْدَادَ فَصَاحَةً^(١).

(١) لسان العرب (فصح) (٢٩٨/١٠)، القاموس المحيط (فصح) (ص ١٢٦).

واصطلاحًا: عبارة عن الألفاظ البينة الظاهرة المتبادرة إلى الفهم، والمأنوسة في الاستعمال بين الكتّاب والشعراء لمكان حسنها. وهي تقع وصفًا للكلمة والكلام والمتكلم حسبما يعتبر الكاتب اللفظة وحدها أو مسبوكة مع أخواتها^(١).
والبلاغة لغة: من قولهم: بَلَغْتُ الغاية: إذا انتهيت إليها، وبلغتها غيري.

ومَبْلَغُ الشيء: مُنتَهَاهُ.

والمبالغة في الشيء: الانتهاء إلى غايته.

فسميت البلاغة بلاغةً لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه^(٢).

واصطلاحًا: عرّفها ابن المعتز^(٣) بقوله: (البلاغة هي البلوغ إلى المعنى ولَمَّا يَظُلْ سَقَرُ الكلام)^(٤).

وقيل هي: (مَلَكَةٌ يُقْتَدَرُ بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح)^(٥).

وعرّفها ابن جزي رحمته الله بقوله: (وأما البلاغة فهي سياق الكلام على ما يقتضيه الحال والمَقَالُ من الإيجاز والإطناب، ومن التهويل والتعظيم والتحقيق، ومن التصريح والكناية والإشارة، وشبه ذلك، بحيث يهز

(١) انظر: سر الصناعة للخفاجي (ص ٥٩)، جواهر البلاغة للهاشمي (ص ١٦).

(٢) القاموس المحيط (بلغ) (ص ١٦٤).

انظر: كتاب الصناعتين للعسكري (ص ١٣).

(٣) هو: عبد الله ابن الخليفة المعتز بالله أبو العباس أحد خلفاء بني العباس، ولد سنة (٢٤٩هـ) وتولى الخلافة بضعة أشهر وقتل سنة (٢٩٦هـ). انظر: ابن المعتز وتراث.

(٤) البديع (ص ٤٧).

(٥) عروس الأفراح لابن السبكي (١/ ٢١٠).

النفوس، ويؤثر في القلوب، ويقود السامع إلى المراد أو يكاد^(١).
وهذا التعريف يتفق مع ما عرّفها به علماء البلاغة غير أنهم أضافوا
إلى ذلك قيد الفصاحة.
قال القزويني^(٢): (والبلاغة في الكلام مطابقتها لمقتضى الحال مع
فصاحتها)^(٣).

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

إن أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه
علم البلاغة ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى
الناطق بالحق، وإذا أخل الإنسان بمعرفة علم البلاغة وبمعرفة الفصاحة
لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف
وبراعة التركيب، وما حلّاه به من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف،
وضمّنه من الحلاوة، وجلّله من رونق الطلاوة مع سهولة كلمه وجزالتها
وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها
وتحيرت عقولهم فيها.

وإذا نظرت لأهمية هذا العلم للمفسر وجدته ألصق ما يكون بهذا
العلم وضروبه، والتفتن في إيراده، فإذا كان المفسر عَرِيًّا عنها مخلًّا
بطلبها مفرطًا في التماسها فاتته فضيلة العِلْمَيْنِ وعَقَى على جميع محاسنه،

(١) التسهيل (١/١٣).

(٢) هو: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني الشافعي، إمام قاض ولد
عام ٦٦٦هـ) وأخذ عن الفاروئي والبرزالي وغيرهما، وله مؤلفات جليلة منها:
الإيضاح وتلخيص المفتاح وغيرها. توفي سنة (٧٣٩هـ).

انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٥/٢٣٨)، والدرر الكامنة لابن حجر (٤/٣ - ٤).

(٣) تلخيص المفتاح للقزويني (ص ٨٥).

وعمى سائر فضائله؛ لأنه لا يفرق بين كلام جيد وآخر رديء، ولفظ حسن وآخر قبيح^(١).

واستمع إلى مبرز هذا الفن إذ يقول: (علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن برز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القُرَيْبِ^(٢) أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لَحْيَيْهِ، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق - يعني: طرائق التفسير - ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما: علم المعاني، وعلم البيان)^(٣).

ويقول ابن النقيب^(٤) في مقدمة تفسيره: (ومن لم يعرف هذا العلم كان عن فهم معاني الكتاب العزيز بمَعَزَلٍ، ولم يقم ببعض حقوق المُنَزَّل والمُنَزَّل)^(٥).

ويؤكد أيضًا تلك العلاقة القوية بهذا العلم وعلم التفسير: العلامة

(١) راجع: كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ص ١٣).

(٢) هو: أيوب بن زيد بن قيس الهلالي كان أحد بلغاء الدهر، وخطيبًا يضرب به المثل فيقال: أبلغ من ابن القُرَيْبِ، قتله الحجاج عام (٨٤هـ).
انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٣/٢٣٤).

(٣) انظر: الكشف للزمخشري (١/٤٢ - ٤٣).

(٤) هو: جمال الدين محمد بن سليمان بن الحسن البلخي الحنفي المعروف بـ (ابن النقيب) وصنّف تفسيرًا حافلًا جَمَعَ فيه خمسين مصنفًا. توفي سنة (٦٩٨هـ). انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢/١٤٩).

(٥) مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبدیع وإعجاز القرآن، (ص ١٦).

ابنُ عاشور^(١) بقوله: (ولعلمي البيان والمعاني مزيدُ اختصاص بعلم التفسير؛ لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني وإظهار وجه الإعجاز، ولذلك كان هذان العلمان يُسمَّيان في القديم: علم دلائل الإعجاز)^(٢).

وبالجملة فإن القرآن العظيم هو الذي أظهر هذين العلمين من جميع جوانبهما، فهو البحر الزاخر بالكنوز والجواهر، فأساليب تعبيره بهرت العقول، وأسرار بلاغته أخرست كل بليغ وقائل وشاعر، حتى قال قائلهم آنذاك وهو الوليد بن المغيرة - أشدُّ أعداء الدين -: (. . . فوالله ما فيكم من رجلٍ أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برَجَزٍ ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجنِّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إنَّ لقوليه الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمُثَمِّرٌ أعلاه، مُغْدِقٌ أسفله، وإنه ليعْلُو وما يُعلَى، وإنه ليحطُم ما تحته)^(٣).

المطلب الثاني

موقف ابن جزي

في مسألة الفصاحة والبلاغة

أفرد ابن جزي رحمته الله الباب العاشر من مقدمة تفسيره للكلام على الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان، فقال:

(١) هو: محمد الطاهر بن عاشور، علَّم من الأعلام وإمام متبحر في علوم شتى، ولد عام (١٢٩٦هـ)، له مؤلفات نافعة منها: مقاصد الشريعة الإسلامية، والتحرير والتنوير، وموجز البلاغة. توفي سنة (١٣٩٣هـ).

انظر: الأعلام للزركلي (١٧٤/٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٩/١).

(٣) أخرجه: الحاكم في المستدرك (٢/٥٥٠ - ٥٥١) وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي والبيهقي في دلائل النبوة (٢/١٩٨ - ١٩٩)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٧٢/١٥ - ٧٣)، وعزاه للحاكم والبيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(الباب العاشر: في الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان.

أما الفصاحة فلها خمسة شروط:

- أن تكون الألفاظ عربية، لا مما أحدثه المؤلّدون، ولا مما غلّطت فيه العامة.

- أن تكون من الألفاظ المستعملة، لا من الوحشية المستثناة.

- أن تكون العبارة واقعة على المعنى موفية له، لا قاصرة عنه.

- أن تكون العبارة سهلة سالمة من التعقيد.

- أن يكون الكلام سالمًا من الحشو الذي لا يحتاج إليه^(١).

ثم أدلف ابن جزى رَحِمَهُ اللهُ إلى تعريف البلاغة.

أما أدوات البيان فعرفها بقوله: (هي صناعة البديع، وهي تزيين الكلام كما يُزَيَّنُ العَلَمُ الثوب).

وقد أحصى رَحِمَهُ اللهُ منها اثنين وعشرين نوعًا وجدها في القرآن مع التنبيه على كل نوع في المواضع التي وقع فيها^(٢).

وقد أشار ابن جزى رَحِمَهُ اللهُ إلى ثلاثة مصطلحات وهي: الفصاحة والبلاغة، وأدوات البيان.

وهذه المصطلحات الثلاثة التي ذكرها المؤلف ترجع إلى باب واحد وهو باب البلاغة.

قال القزويني في التلخيص: (وكثيرٌ يُسمَّى الجميع: عِلْمَ البيان، وبعضهم يسمي الأول: علم المعاني، والآخرين: علم البيان، والثلاثة: عِلْمَ البديع)^(٣).

(٢) التسهيل (٣٩/١).

(١) التسهيل (٣٩/١).

(٣) تلخيص المفتاح (ص ٣٧).

وقد نشر ابن جزي رحمه الله أثناء تفسيره فوائد فائقة، ونكتا مستحسنة رائعة من البلاغة.

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراساتها

ذكر ابن جزي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [آل عمران: ٢٧] فقال: (قال عبد الله بن مسعود: هي النُّطْفَةُ تَخْرُجُ من الرجل ميتة وهو حي، ويخرج الرجل منها حيًا وهي ميتة^(١)).

وقال عكرمة: هي إخراج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة. وقيل: يخرج الكافر من المؤمن، والمؤمن من الكافر^(٢). فالحياة والموت على هذا استعارة، وفي ذكرِ الحَيِّ من الميت المطابقة وهي من أدوات البيان^(٣). وفيه أيضًا القلب؛ لأنه قدَّم الحي على الميت ثم عكس^(٤)^(٥).

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]. قال: (أحسنتم الأولى بمعنى: الحسنات، والثاني بمعنى: الإحسان، كقولك: أحسنت إلى فلان؛ ففيه تجنيس^(٦)، واللام فيه

-
- (١) انظر: جامع البيان (٣٠٤/٦ - ٣٠٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٦٢٦/٢ - ٦٢٨).
 (٢) جامع البيان للطبري (٣٠٦/٦)، والمحرر الوجيز لابن عطية (٤١٨/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨٦/٥).
 (٣) انظر: التلخيص للقرطبي (ص ٨٦).
 (٤) التسهيل (٢٤٣/١).
 (٥) انظر: جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر (ص ٤)، المثل السائر لابن الأثير (٣٩٤/١).
 (٦) هو: بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد من اللغة. انظر: النكت للرماني (ص ٣٩)، وتحرير التحبير لابن أبي الإصبع (ص ١٠٢).

بمعنى: إلى، وكذلك اللام في قوله^(١): ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧].

ويشير ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ إلى الالتفات الوارد في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢].

فقال: (...) فَإِنْ قِيلَ: لِمَ قَالَ: ﴿سَمِعْتُمُوهُ﴾ بلفظ الخطاب ثم عدل إلى لفظ الغيبة في قوله: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ولم يقل: ظننتم؟ فالجواب: أن ذلك التفات قصد به المبالغة والتصريح بالإيمان الذي يوجب ألا يُصَدَّقَ المؤمن على المؤمن شراً^(٢).

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢].

فقال: (هذا خطاب للمنافقين المذكورين خرج من الغيبة إلى الخطاب ليكون أبلغ في التوبيخ)^(٣).

وأشار عند قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا شَقَّ﴾ [الانشقاق: ١٨].

قال: (أي: إذا أكمل ليلة أربعة عشر، ووزن ﴿شَقَّ﴾: افْتَعَلَ، وهو مشتق من الوسق، فكأنه امتلأ نوراً، وفي الآية من أدوات البيان لزوم ما لا يلزم؛ لالترام^(٤) السين قبل القاف في وسق واتسق)^(٥).

(١) التسهيل (٣١٩/٢).

(٢) التسهيل (١١٦/٣). انظر: الكشاف للزمخشري (٦٤/٣)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (١٧٤/٨).

(٣) التسهيل (٩١/٤).

انظر: الكشاف للزمخشري (٤٥٧/٣).

(٤) وهو: أن يلتزم الناظر قبل حرف الروي حرفاً مخصوصاً أو حركة مخصوصة من الحركات قبل حرف الروي. انظر: الطراز للعلوي (٣١٠/٢)، المثل السائر لابن الأثير (٤٠١/١ - ٤٠٢).

(٥) التسهيل (٣٥٤/٤).

- ويظهر مدى تَمَكُّنِ ابن جزي في الجانب البلاغي ببروز الحس النقدي من خلال تفسيره، ومن ذلك:

- عند قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٩٣] فقال ابن جزي:

(﴿وَأَشْرَبُوا﴾ عبارة عن تَمَكُّنِ حُبِّ الْعِجْلِ من قلوبهم، فهو مجاز تشبيهاً بشرب الماء، أو بشرب الصبغ في الثوب، وفي الكلام محذوف؛ أي: أشربوا حب العجل. وقيل: إن موسى بَرَدَ الْعِجْلَ بِالْمِبْرَدِ، وَرَمَى بُرَادَتَهُ فِي الْمَاءِ فَشَرَبُوهُ، فالشرب على هذا حقيقة، وَيَرُدُّ هذا قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾^(١).

فرد ابن جزي القول الثاني الذي يدل على الحقيقة بقرينة الآية ﴿فِي قُلُوبِهِمُ﴾؛ لأن الشرب هنا لا يكون حقيقة وإنما هو تشبيه ومجاز. - وعند قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] قال ابن جزي:

(إخبار على وجه الامتنان، وقيل: معناه: الوعد بأن من اتقى علَّمه الله وألهمه، وهذا المعنى صحيح، ولكن لفظ الآية لا يعطيه؛ لأنه لو كان كذلك لجزم (يُعَلِّمُكُمُ) في جواب (اتَّقُوا))^(٢).

فقد بيَّن ابن جزي غرضاً بلاغياً، وهو الإخبار على وجه الامتنان، ورد القول الآخر بأن لفظ الآية لا يعطيه؛ بعلَّة جزم الفعل المضارع إذا وقع جواباً للطلب عند سقوط الفاء وقصد الجزاء، ويريد بذلك: لو أن اللفظة كانت: واتقوا الله فيعلمكم الله، لصح المعنى المذكور.

(١) التسهيل (١/١٣٨).

(٢) التسهيل (١/٢٢٨).

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

دلالات الألفاظ وأثرها في تفسيره

وفيه خمسة مباحث:

- للمَبْحَثِ الْأَوَّلِ : المتشابه اللفظي.
- للمَبْحَثِ الثَّانِي : العام والخاص.
- للمَبْحَثِ الثَّلَاثِ : المطلق والمقيد.
- للمَبْحَثِ الرَّابِعِ : الإظهار والإضمار.
- للمَبْحَثِ الْخَامِسِ : التقديم والتأخير.

لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ

المتشابه اللفظي وأثره في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة المتشابه اللفظي.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات

الشبه في اللغة: الشُّبُه، والشَّبه، والشَّيْبَة: المِثْلُ، والجمع: أشباه.

وأشبه الشيء الشيء: ماثله.

والمشبهات من الأمور: المشكلات.

والمتشابهات: المتماثلات.

والتشبيه: التمثيل، و﴿مُتَشَبِّهًا﴾ [البقرة: ٢٥]: يشبه بعضه بعضًا في الجودة والحسن^(١).

واصطلاحًا: عرّفه الزركشي بقوله: (هو إيراد القصة الواحدة في صُورٍ شَتَّى، وفواصلٍ مُخْتَلِفَةٍ، ويكثر في إيراد القصص والأنباء وحكمة

(١) لسان العرب (شبه) (٧/٢٤).

التصرف في الكلام، وإتيانه على ضروب ليُعْلِمَهُمْ عَجَزُهُمْ عن جميع طُرُق ذلك مُبْتَدَأً به ومُتَكَرِّراً^(١).

فيكون المراد به الآيات التي تكررت في القرآن الكريم في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة تقديمًا وتأخيرًا، وذكرًا وحذفًا وتعريفًا وتنكيرًا، وإفرادًا وجمعًا، وإيجازًا وإطنابًا، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى ونحو ذلك، مع اتفاق المعنى العام لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره لا يدركه إلا من آناه الله علمًا وفهمًا لأسرار كتابه، وهي بحق كَنْزٌ ثمين من كنوز إعجازه، وسر من أسرار بيانه^(٢).

المطلب الثاني

موقف ابن جزي في مسألة المتشابه اللفظي

اعتنى ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره بالمتشابه اللفظي، فضَمَّنَ تفسيره العديد من الفوائد والنكات المتعلقة بالآيات المتشابهة التي تُبْرِزُ هذا النوع من إعجاز القرآن، وهو اختيار اللفظ المناسب في الموضع المناسب والتنوع في الألفاظ مع اتحاد الموضوع لاختلاف السياق أو السورة.

ومن خلال ما تطرق إليه ابن جزي يظهر لنا بجلاء مدى تأثره رَحِمَهُ اللهُ بشيخه ابن الزبير، وأخذ عن كتاب الخطيب الإسكافي، وأجاد رَحِمَهُ اللهُ بفوائد من بَنَاتِ فِكْرِهِ.

(١) البرهان في علوم القرآن (١/١١٣).

(٢) انظر: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم؛ لصالح الشَّيْخِ (ص٤).

وعلى كل حال فإن تفسير ابن جزي رحمته الله قد زخر بجملته من هذا النوع من علوم القرآن، واهتم به اهتماماً حتى أصبح من جملة السمات التي يتصف بها هذا التفسير.

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراساتها

قال رحمته الله: (... فإن قيل: لِمَ قال في البقرة: ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾ [١٢٦] فعرف في إبراهيم، ونكر في البقرة؟ أجيب عن ذلك بثلاثة أجوبة:

الجواب الأول: قاله أستاذنا الشيخ أبو جعفر بن الزبير وهو أنه في البقرة ذكر البيت في قوله: ﴿الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ [١٢٧].

وذكر البيت يقتضي بالملازمة ذكر البلد الذي هو فيه، فلم يحتج إلى تعريف، بخلاف آية إبراهيم فإنها لم يتقدم قبلها ما يقتضي ذكر البلد ولا المعرفة به؛ فذكره بلام التعريف^(١).

الجواب الثاني: قاله السهيلي^(٢)، وهو: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة حين نزلت آية إبراهيم؛ لأنها مكة، فلذلك قال فيه: البلد بلام التعريف التي للحضور، كقولك: هذا الرجل؛ وهو حاضر، بخلاف آية البقرة فإنها مدنية، ولم تكن مكة حاضرة حين نزولها فلم يُعرفها بلام الحضور، وفي هذا نظر؛ لأن ذلك الكلام حكاية عن إبراهيم عليه السلام فلا فرق بين

(١) انظر: مَلَأَ التَّأْوِيلَ (١/٢٣٤).

(٢) هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، إمام واسع المعرفة غزير العلم حافظ للتاريخ، ولد سنة (٥٠٨هـ)، له مؤلفات جامعة منها: نتائج الفكر في النحو، والروض الأنف، وتفسير سورة يوسف، وغيرها، توفي سنة (٥٨١هـ). انظر: التكملة لابن الأبار (ص ٥٧٠)، بغية الملتبس للضبي (ص ٣٢٤)، بغية الوعاة للسيوطي (٨١/٢ - ٨٢).

نزوله بمكة أو المدينة^(١).

الجواب الثالث: قاله بعض المشاركة^(٢): أنه قال ﴿هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦] قبل أن يكون بلدًا فكأنه قال: اجعل هذا الموضع بلدًا آمِنًا، وقال: ﴿هَذَا بَلَدًا﴾ بعدما صار بلدًا، وهذا يقتضي أن إبراهيم دعا بهذا الدعاء مرتين، والظاهر أنه مرة واحدة حكى لفظه فيها على وجهين^(٣).

وذكر في موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَهُمْ اثْنَتَا عَشْرَةَ أَسْبَابًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ آبَا ضَرْبٍ يَعْصَاكَ الْحَجَرُ فَأَنْجَسْتَ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

فقال: (وقع الاختلاف في اللفظ بين هذا الموضع من هذه السورة وبين سورة البقرة في قوله: ﴿فَأَنْفَجَرْتَ﴾ [٦٠] و﴿فَأَنْجَسْتَ﴾ وقوله ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا﴾ [الأعراف: ١٦١] وقوله: ﴿وَكُلُوا﴾ [الملك: ١٥] بالواو، و﴿فَكُلُوا﴾ [البقرة: ٥٨] بالفاء، فقال الزمخشري: لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هنالك تناقض^(٤).

وعللها شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير في كتاب «ملاك التأويل»^(٥) وصاحب الدرة بتعليلات^(٦) منها قوية وضعيفة، وفيها طول

(١) المهمات (٨٦).

وقال صاحب منهج ابن جزى في تفسيره: إنها لا توجد في كتبه المطبوعة، هكذا أطلق وهي موجودة في كتاب الإعلام كما رأيت.

(٢) يعني به: الخطيب الإسكافي.

انظر: درة التنزيل (ص ١٦).

(٤) الكشف (٩٩/٢).

(٣) التسهيل (١٥٢/١).

(٥) ملك التأويل (٢١١/١ - ٢١٢).

(٦) يعني: درة التنزيل للإسكافي.

فتركتناها لطولها)^(١).

وفي نفس السياق ذكر ابن جزي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ النَّجْرَةِ﴾ [الجمعة: ١١].

فقال: (إن قيل: لم قَدَّم اللّهُو هنا على التجارة وقدم التجارة قبل هذا على اللّهُو؟

فالجواب: أن كل واحد من الموضعين جاء على ما ينبغي فيه، وذلك أن العرب تارة يبتدئون بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل، كقولك: فلان يخون في الكثير والقليل، فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه، وتارة يبتدئون بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر؛ كقولك: فلان أمين على القليل والكثير، فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه، ولو عكست في كل واحد من المثالين لم يكن حسناً، فإنك لو قدمت في الخيانة القليل لعلم أنه يخون في الكثير من باب أولى وأحرى، ولو قدمت في الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأحرى، فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة.

وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١].

قدَّم التجارة هنا ليبين أنهم ينفضون إليها، وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللّهُو الذي هو دُونَهَا، وقوله: ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ النَّجْرَةِ﴾ قدم اللّهُو ليبين أن ما عند الله خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وأنه أيضاً خَيْرٌ مِنَ التَّجَارَةِ التي هي أعظم منه، ولو عكس كل واحد من الموضعين لم يحسن)^(٢).

(١) التسهيل (٩٦/٢).

(٢) التسهيل (٢٢٧/٤).

لِلْبَحْثِ الثَّانِي

العام والخاص وأثرهما في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة العام والخاص.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً: التعريفات:

العام لغة: من عمَّ الشيء يعُمُّه عمومًا: شَمِلَهُ.

يقال: عمهم بالعطية.

والعامَّة: خلافُ الخاصة.

قال ثعلب^(١): (سميت بذلك لأنها تعم بالشر)^(٢).

(١) هو: أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيباني النحوي إمام الكوفيين في النحو، واللغة والأدب، ولد سنة مِثَّتَيْنِ، وأخذ عن محمد بن زياد الأعرابي وغيره، له أكثر من أربعين كتابًا منها: كتاب الفصيح، والمجالس. توفي سنة (٢٩١هـ). انظر: الفهرست لابن النديم (ص ١١٧).

(٢) لسان العرب (عمم) (٤٦٨/٩).

- واصطلاحًا: هو لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر^(١).
- الخاص لغة: حَصَّهُ بالشيء يَحْصُهُ حَصًّا وخصوصًا وخصوصيةً. واختصه: أفرده به دون غيره.
- واختص فلان بالأمر وتخصص له: إذا انفرد.
- والخاصة: خلاف العامة.
- واختصه بكذا: أعطاه شيئًا كثيرًا^(٢).
- واصطلاحًا: هو لفظ يختص ببعض الأفراد الصالحة له^(٣).
- وعرّفه البزدوي^(٤) بقوله: (كل لفظ وضع لمعنى على انفراد وقطع المشاركة)^(٥).
- وعرّفه السرخسي^(٦) بقوله: (هو كل لفظ وضع لمعنى واحد على الانفراد)^(٧).
- وكل هذه التعاريف صحيحة وإن اختلفت العبارة.

-
- (١) انظر: شرح مختصر الروضة للطوفي (٤٤٨/٢)، الإنقان للسيوطي (١٤١٢/٤)، والحدود الأنيقة للأنصاري (ص ٨٢).
- (٢) لسان العرب (خصص) (١٢٦/٤). (٣) الحدود الأنيقة للأنصاري (ص ٨٢).
- (٤) هو: علي بن محمد بن مجاهد البزدوي الملقب بـ (فخر الإسلام) فقيه حنفي وإمام وقته في الأصول، ولد عام (٤٠٠هـ)، له مؤلفات جليلة منها: المبسوط، الميسر، كنز الوصول وغيرها. توفي عام (٤٨٢هـ).
- انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/٦٠٢ - ٦٠٣)، الجواهر المضية للقرشي (٢/ ٥٩٤ - ٥٩٥).
- (٥) انظر: أصول البزدوي (١/ ٣٠ - ٣١) مع كشف الأسرار للبخاري.
- (٦) هو: محمد بن أحمد بن سهل السرخسي شمس الأئمة، فقيه من كبار الأحناف، من أشهر كتبه: المبسوط والنكت والأصول وشرح الجامع الكبير. توفي عام (٤٨٣هـ).
- انظر: الفوائد البهية (ص ١٥٨) والجواهر المضية للقرشي (٢/ ٢٨).
- (٧) أصول السرخسي (١/ ١٢٥).

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

خص الله ﷻ اللغة العربية بخصائص لم توجد في غيرها، ومن تلك الخصائص اشتغالها على العموم والخصوص، فالعموم مفيد للشمول والاستغراق، ثم يرد عليه ما يخرج عن هذا العموم إلى الخصوص، فيفهم أن العموم غير مراد من ذلك اللفظ العام، وهذا في القرآن الكريم كثير لا يحتاج إلى ضرب الأمثال، فهما يشكلان حينًا كبيرًا في كتاب الله تعالى، وما ذلك إلا لأهميتهما وكثرة فوائدهما ولبناء كثير من الأحكام عليهما.

وأسلوب الخاص والعام من خصائص لغة العرب التي تميزوا بها، والقرآن يخاطبهم بأسلوبهم الذي اعتادوا عليه.

لهذا كانت مباحث العموم والخصوص جلية القدر، ومن مظاهر جلالتهما تعاور أقلام العلماء عليهما عبر تخصصات شتى؛ وهذا واضح بين.

المطلب الثاني

موقف ابن جزري في مسألة العام والخاص

احتفى الإمام ابن جزري رحمته الله بموضوع العام والخاص وأولاه اهتمامًا بالغًا يطالعك عند كل آية ورد فيها عموم وخصوص.

ويُعدُّ ابن جزري رحمته الله - مع كونه مفسرًا - فقيهاً أصولياً مبرزاً، إذ يرى رحمته الله أن علم أصول الفقه مما يعين على فهم كتاب الله تعالى، ويعده من مهمات أدوات التفسير، وينعنى على غيره من المفسرين في عدم الاستعانة به في التفسير.

إذ يقول في مقدمة تفسيره: (وأما أصول الفقه فإنها من أدوات تفسير القرآن، على أن كثيراً من المفسرين لم يشتغلوا بها، وإنها لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال، وما أخوج المفسر إلى معرفة النص والظاهر، والمجمل والمبين، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، وفحوى الخطاب ولحن الخطاب ودليل الخطاب، وشروط النسخ، ووجوه التعارض وأسباب الخلاف، وغير ذلك من علم الأصول)^(١).

ومن خلال ما ذكره ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ نستطيع أن نلخص أبرز مواقفه في العام والخاص في النقاط التالية:

- ذكر تعليقات عند تخصيص العام.
- التخصيص بالقراءات.
- عطف الخاص على العام، وهو ما يسميه ابن جزي بالتجريد.
- ترجيح الأقوال التفسيرية بالعام والخاص.
- وسنرى في النماذج التالية التي سنوردها إلى أي مدى اعتمد ابن جزي في تفسيره على هذا الفن.

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراستها

ذكر ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ عند قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

فقال: (هم المؤمنون؛ فهو عموم يُراد به الخصوص؛ لأن المؤمنين هم الذين يُعْتَدُّ بِلْعَنِهِمُ للكافرين)^(٢).

(١) التسهيل (١/١٩).

(٢) انظر: جامع البيان للطبري (٢/٧٣٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/٤٨٣).

وقيل: يلعنهم جميع الناس^(١).

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

قال: (الضمير للذين ينبذ لهم العهد، أو للذين لا يعجزون، وحكمه عام في جميع الكفار)^(٢).

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَسَبَنَّ اللَّهَ تَخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلُهُ﴾ [إبراهيم: ٤٧].

قال: (فإن قيل: هلا قال: مُخْلِفَ رُسُلِهِ وعده؟ ولمَ قَدَّمَ المفعول الثاني على الأول؟

فالجواب: أنه قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً على الإطلاق، ثم قال: ﴿رُسُلُهُ﴾ ليعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس فكيف يخلف وعد رُسُلِهِ وخيرة خلقه؟ فقدم الوعد أولاً بقصد الإطلاق ثم ذكر الرسل لقصد التخصيص)^(٣).

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿كُلُّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩].

قال: (عموم معناه: الخصوصُ في الجياد والصحاح من السفن، ولذلك قرأ ابن مسعود: يأخذ كل سفينة صالحة)^(٤).

وذكر عند قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨].

(١) التسهيل (١/١٦٤). انظر: الكشاف للزمخشري (١/١٠٥).

(٢) التسهيل (٢/١٢٦).

(٣) التسهيل (٢/٢٦٦). انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص ١٩٣)، والكشاف للزمخشري (٢/٣٠٧).

(٤) التسهيل (٢/٣٧٢)، وقراءة ابن مسعود أخرجها ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان (١١/١٦) برقم (٢٣٢٤٤).

قوله: (خص النخل والرمان بالذكر بعد دخولهما في الفاكهة تشريفاً لهما وبياناً لفضلهما على سائر الفواكه، وهذا هو التجريد)^(١).



(١) السهيل (١٦٥/٤).

وقد عرّف ابنُ جزيٍّ ما يقصده بالتجريد في تفسيره لسورة الإخلاص بقوله: (هو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عموم ما تقدّم). وقال أبو حيان الأندلسي في تفسيره «البحر المحيط» (٣٤٦/١): (وكان أستاذنا العلامة أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفِي يذكّر لنا هذا التحوّل من العطف وأنه يُسمّى بالتجريد كأنه جُرد من الجملة وأُفرد بالذكر على سبيل التفضيل)، وأما التجريد عند البلاغيين فعرفه بعضهم بأنّه: (إخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه).

انظر: المثل السائر لابن الأثير (٤٢٣/١)، الإشارات الإلهية للطوفي (٣١٣/٢)، وانظر في تعريفاته وأنواعه: المعجم المفصّل في علوم البلاغة للدكتورة إنعام فوّال عكاوي (ص ٢٨٩ - ٢٩٢).

لِلْبَحْثِ الثَّالِثِ

المطلق والمقيد وأثرهما في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلبُ الأولُ : التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلبُ الثاني : موقف ابن جزى في مسألة المطلق والمقيد.
- المطلبُ الثالثُ : جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

* * *

المطلبُ الأولُ

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً: التعريفات:

المطلق لغة: الطاء، واللام، والقاف، أصل صحيح، وهو يدل على التخلية والإرسال.

يقال: انطلق الرجل ينطلق انطلاقاً، وأطلقت الناقة من عقالها وطلقتها فطلقت؛ أي: حُلَّ عقالها^(١).

اصطلاحاً: الدَّائِلُ على الماهية بلا قيد.

وهو مع القيد كالعامِّ مع الخاص^(٢).

(١) معجم مقاييس اللغة (طلق) (٣/٤٢٠)، لسان العرب (طلق) (٨/٢١٤).

(٢) انظر: الحدود للباجي (ص٤٧)، وشرح الكوكب المنير للفتوحى (٣/٣٩٢).

المقيد لغة: موضع القيد.

والجمع: أقيادٌ وقُيُودٌ، وقد قيده يقيده تقييدًا، وقيدت الدابة^(١).

واصطلاحًا: ما دلّ عليها بقيد^(٢).

وقيل: هو المتناول لمعين أو لغير معين موصوف بأمر زائد على الحقيقة الشاملة لجنسه^(٣).

❁ ثانيًا: أهمية الموضوع:

جاء في كثير من ألفاظ كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ كلمات مطلقة مرةً ومقيدةً أخرى، وقد يحمل المطلق على المقيد وقد لا يحمل؛ ومن هنا تأتي أهميتها، فإن الراغب في تفهم الكتاب والسُنَّة لا يستتب له الطريق إلا بعد العلم بهما وتنزيلهما المنزلة التي تليق بهما، وقد بذل علماؤنا جهودًا مضنية بالكشف عنهما وبيان الأحكام المتعلقة بهما مما تراه ظاهرًا في استنباطاتهم للأحكام الشرعية من الكتاب والسُنَّة، وكان لعلماء أصول الفقه في هذا الصدد القدحُ المُعلَّى.

وأسلوب المطلق والمقيد من خصائص لغة العرب التي تميزوا بها، والقرآن يخاطبهم بأسلوبهم الذي اعتادوا عليه.

فأهمية المطلق والمقيد كبيرة، والحاجة إلى معرفتهما مُلِحَّةٌ لمن يروم معرفة الأحكام الشرعية ليكون على بصيرة من أمره، وإلا اشتطت به المسالك وأوقعته في المهالك.

(١) لسان العرب (قيد) (١١/٣٨٨).

(٢) الحدود الأنيفة (ص ٧٨).

(٣) روضة الناظر لابن قدامة (ص ١٣٦).

المطلب الثاني

موقف ابن جزي
في مسألة المطلق والمقيد

تعرض ابن جزي رحمته الله لبيان حمل المطلق على المقيد مما ورد في الآيات القرآنية وفق طريقة واضحة تتجلى من خلال الصور التالية:

- اتحاد الحكم واختلاف السبب.
- اتحاد الحكم واتحاد السبب.
- اتحاد السبب واختلاف الحكم.
- ذكر تعليقات عند تقييد المطلق بقريئة كآية أو وجه إعرابي.
- ترجيح الأقوال التفسيرية بالعام والخاص.

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراستها

ذكر ابن جزي رحمته الله عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧].

قال: ﴿عَهْدَ اللَّهِ﴾ مطلق في العهود وكذلك ما بعده من القطع والفساد، ويحتمل أن يشار بنقض عهد الله إلى اليهود لأنهم نقضوا العهد الذي أخذ الله عليهم في الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ^(١).

وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا

(١) التسهيل (١/١١٣). انظر: معاني القرآن للزجاج (١/١٠٥)، والمححر الوجيز لابن عطية (١/١١٣).

أَهْلَ بِهِ، لِيَتَّيَرِ اللَّهُ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَابِغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِنْثَمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَجِيمٌ ﴿البقرة: ١٧٣﴾.

قال: (يريد المسفوح، لتقييد ذلك في سورة الأنعام^(١))، ولا خلاف في إباحة ما خالط اللحم من الدم^(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣].

قال: (لا يكون التيمم إلا في هذين العضوين، ويقدم الوجه على اليدين لظاهر الآية وذلك على الندب عند مالك^(٣)). ويستوعب الوجه بالمسح، وأما اليدين فاختلف هل يمسحهما إلى الكوعين أو إلى المرفقين، ولفظ الآية محتمل لأنه لم يحدد، وقد احتج من قال: إلى المرفقين بأن هذا مطلق فيحمل على المقيد، وهو تحديدها في الوضوء بالمرفقين^(٤).

وعند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفِي لَكُمْ﴾ [الأحقاف: ١٧].

قال: (وقيل: هي على الإطلاق فيمن كان على هذه الصفة من الكفر والعقوق لوالديه، ويدل على أنها عامة قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ [الأحقاف: ١٨] بصيغة الجمع، ولو أراد واحداً بعينه لقال: ذلك الذي حق عليه القول^(٥)).

(١) يعني: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥].

(٢) التسهيل (١٦٨/١) وانظر: أحكام القرآن لابن العربي (٥٣/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٠/١ - ٣١).

(٣) انظر: أحكام القرآن لابن الفرس (٢١٢/١)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٩٥/٦).

(٤) التسهيل (٣٢٧/١). انظر: التمهيد لابن عبد البر (٢٨٣/١٩)، المحرر الوجيز (٦١/٢).

(٥) التسهيل (٨١/٤). انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠٣/١٩) حكاه عن المهدوي.

الْبَحْثُ الرَّابِعُ

الإظهار والإضمار وأثرهما في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلبُ الأوَّلُ : التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلبُ الثَّانِي : موقف ابن جزي في مسألة الإظهار والإضمار.
- المطلبُ الثَّالِثُ : جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

* * *

المطلبُ الأوَّلُ

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً: التعريفات:

الإظهار لغة: قال ابن فارس: (الطاء، والهاء، والراء، أصل صحيح يدل على قوة وبروز، من ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهوراً فهو ظاهر إذا انكشف وبرز.

وفي التنزيل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

أي: برز واستعلن^(١).

واصطلاحاً: عرّفه علماء التجويد بأنه: إخراج كل حرف من مخرجه

(١) معجم مقاييس اللغة (ظهر) (٣/ ٤٧١).

من غير غنة ولا تشديد في الحرف المظهر^(١).
وكذلك عندهم: أن يؤتى بالحرفين منطوقاً بكل واحد منهما على صورته موثقاً جميع صفته مخلصاً إلى كمال بنيته^(٢).
وعند أهل البلاغة: هو مصطلح ذو كلمة واحدة في بيان ضده الذي هو الإضمار^(٣) على حد قول القائل^(٤): (وَبِضْهًا تَمَيِّزُ الْأَشْيَاءَ).
الإضمار لغة: هو الإخفاء، يقال: أضمر الشيء: أخفاه، ويقال: أضمر في نفسه شيئاً؛ أي: عزم عليه بقلبه، والضمير الذي تخفيه في نفسك ويصعب الوقوف عليه؛ وهو السر وداخل الخاطر^(٥).
واصطلاحاً: هو إسقاط الشيء لفظاً لا معنى.
وقال الكفوي^(٦): (والإضمار: ما ترك ذكره من اللفظ، وهو مراد بالنية)^(٧).
وقيل: هو ما كني به عن الظاهر اختصاراً.

-
- (١) انظر: شرح الجزرية لابن يالوشة (ص ٦٧).
(٢) انظر: معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات لإبراهيم الدوسري (ص ٢٩).
(٣) انظر: معجم البلاغة العربية للدكتور: بدوي طبانة (٢/ ٥١١).
(٤) القائل هو: المتنبي، وهو عجز بيت من قصيدة يمدح بها هارون بن عبد العزيز الأوارجي.
وصدره:
(وَنَذِيْمُهُمْ وَبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ)
والبيت في: ديوانه (١/ ١٢) مع التبيان.
(٥) معجم مقاييس اللغة (ضمـر) (٣/ ٣٧١)، القاموس المحيط للفيروزآبادي (ضمـر) (ص ١٠٦٣).
(٦) هو: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي أبو البقاء، قاضي من قضاة الأحناف بتركيا والقدس وبغداد، له مؤلفات منها: الكليات وبقاها بالتركية. توفي سنة (١٠٩٣هـ) وقيل: (١٠٩٥). انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ٣٨).
(٧) الكليات (ص ٣٨٤).

وقيل: ما دلَّ على حضور أو غيبة لا من مادتها^(١).

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

لقيت بلاغة «الإظهار في مقام الإضمار» في القرآن الكريم عناية واهتمامًا بالغًا من بعض المفسرين قديمًا وحديثًا^(٢)، ولعل السبب في هذا الاهتمام يعود أساسًا إلى أن العناية بالبلاغة تعتبر قاعدة أساسية في فهم النص القرآني عند هؤلاء المفسرين.

وأسلوب الإظهار والإضمار من خصائص لغة العرب التي تميزوا بها، والقرآن يخاطبهم بأسلوبهم الذي اعتادوا عليه.

كما لقي مصطلح الإظهار في مقام الإضمار عناية مميزة وتوضيحًا للفرق بينه وبين بعض المصطلحات الأخرى كالإيضاح بعد الإبهام.

قال ابن الأثير^(٣) في معرض حديثه عن أهمية هذا المصطلح وفائدته: (وهذا إنما يعتمد إليه لفائدة، وهي تعظيم شأن الأمر الذي أظهر عنده الاسم المضمّر أولًا)^(٤).

وقال يحيى العلوي^(٥): (واعلم أن هذا وإن كان معدودًا من علم

(١) أصول في التفسير لابن عثيمين (ص ٤٣).

(٢) انظر على سبيل المثال: الكشف، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود، والتحرير والتنوير لابن عاشور.

(٣) هو: نصر الله بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الملقب بـ (ضياء الدين) إمام كاتب ولد سنة (٥٥٨هـ) صنف تصانيف نافعة منها: المثل السائر، والوشى المرقوم، والبرهان، وكفاية الطالب، توفي سنة (٦٣٧هـ).
انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١٥٨/٢).

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (٢١٣/٢).

(٥) هو: يحيى بن حمزة بن علي الحسيني العلوي من أكابر أئمة الزيدية متكلم أصولي، نحوي بلاغي، ولد سنة (٦٦٩هـ)، صنف تصانيف عديدة منها: الشامل، ونهاية الوصول، والتمهيد، والحاوي، واللباب. توفي عام (٧٤٥هـ). انظر: المقطف من =

الإعراب لكن له تعلق بعلم المعاني، وذلك أن الإفصاح بإظهار في موضع الإضمار له موقع عظيم وفائدة جزلة، وهو تعظيم حال الأمر المُظهِر والعناية بحقه^(١).

وإن كان البلاغيون هم من سبق إلى الحديث عن هذا المصطلح تفریعًا وبيانًا لأهميته، وإبرازًا لفوارقه بينه وبين بعض المصطلحات البلاغية الأخرى فإن المفسرين والمؤلفين في علوم القرآن أولَّوه عناية فائقة، واستوعبوا أسرارهِ البلاغية.

وممن أوسع هذا الموضوع إظهارًا هو العلامة الزركشي، فقد بيَّن الإظهار مقام الإضمار بأسلوب مبدع وبحث نفيس، مما أكسبه حقًا أن يكون من فرسان الحَلَبَةِ في هذا الميدان، حيث عقد بابًا في كتابه «البرهان» في النوع السادس والأربعين تحت عنوان: في أساليب القرآن وفنونه البليغة.

أورد خلالها سبعة عشر سببًا من أسباب وضع الإظهار في موضع الإضمار^(٢).

وبالجملة فإن الإظهار مكان الإضمار أتى في القرآن الكريم كثيرًا محققًا فوائد عظيمة وصلت به إلى قمة البلاغة، وتسمنت به ذرًا الفصاحة وسنامها^(٣).

= تاريخ اليم (ص ١٢٧)، العقود اللؤلؤية (١٣١/٢)، مرآة الجنان (٣٩٦/١).

(١) انظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة (١٤٨/٢).

(٢) البرهان (٥٩/٣ - ٧٣).

(٣) نظرات لغوية في القرآن الكريم للعايد (ص ١٣٧).

المطلب الثاني

موقف ابن جزي
في مسألة الإظهار والإضمار

أخذ هذا النوع من البلاغة - أي: بلاغة الإظهار مقام الإضمار - حظاً من تفسير ابن جزي رحمته الله، فقد تطرق لها أثناء تفسيره للآيات التي ورد فيها ونثر جملة منه كلما وجد المناسبة سانحة لذلك، فتفسيره رحمته الله على رغم صغر حجمه ممتلئاً بألوان البلاغة ونكاتها، كيف لا والمفسر لا بد له من اتصال وثيق وأكد بهذا العلم.

وابن جزي رحمته الله تأثر بما سبقه به كل من الزمخشري وابن عطية في تفسيريهما، وما ذكره حازم القرطاجني في كتابه «منهاج البلغاء»^(١) وما استفاده رحمته الله من مشايخه ولا سيما أكابر شيوخه وعلى رأسهم شيخه أبو جعفر بن الزبير، أضف إلى ذلك: ما انتقاء من الكتب المؤلفة في هذا الشأن وخاصة كتاب «العمدة»^(٢) لابن رشيق^(٣) فقد كان مشهوراً عند أهل المغرب والأندلس آنذاك.

ومن خلال ما ذكره ابن جزي رحمته الله نستطيع أن نلخص أبرز مواقفه في الإظهار والإضمار في النقاط التالية:

- ذكر تعليقات عن سبب الإظهار والإضمار.

(١) كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء في البلاغة، وهو مطبوع بتحقيق: محمد الحبيب الخوجة طبع دار الغرب الإسلامي (١٩٨١م).

(٢) العمدة لابن رشيق، كتاب في نقد الشعر وهو كتاب طريف في بابه لم يؤلف أحد مثله على طريقته، وهو مطبوع بتحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ثم طبع بتحقيق: أحد تلاميذه.

(٣) هو: الحسن بن رشيق القيرواني أديب ناقد، ولد سنة (٣٨٥هـ)، أخذ عن القزاز والنهشلي، له مؤلفات جليلة منها: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، وقراءة الذهب. توفي سنة (٤٦٣هـ).

انظر: إنباء الرواة للقفطي (٢٩٨/١)، وفيات الأعيان لابن خلكان (١٣٣/١).

- ذكر أوجه بلاغية وإعرابية عند الإظهار والإضمار.
- الاستشهاد بأشعار العرب.
- ترجيح الأقوال التفسيرية بالإظهار والإضمار.

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراستها

ذكر ابن جزي رحمته الله الإظهار في مقام الإضمار عند قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُمْ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِبَايَتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

فقال: ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: ولكنهم، ووضع الظاهر موضع المضمّر للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم^{(١)(٢)}.

وكذلك عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

قال: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ هذا من إقامة الظاهر مقام المضمّر. معناه: فإنهم هم الغالبون^{(٣)(٤)}.

وذكر ابن جزي رحمته الله عند قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٢].

الإظهار الواقع مقام الإضمار وقال: ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ (ما) استفهامية يراد بها التعظيم، وهي مبتدأ، وخبرها: ما بعده، والجملة خبر الحاقة،

(١) التسهيل (١٥/٢).

(٢) انظر: الكشف للزمخشري (١١/٢)، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (١٢٦/٢).

(٣) التسهيل (٣٩٠/١).

(٤) انظر: الكشف للزمخشري (٣٤٧/١).

وكان الأصل: الحاقة ما هي؛ ثم وضع الظاهر موضع المضمّر زيادة في التعظيم والتهويل، وكذلك ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣] لفظه استفهام والمراد به التعظيم، والتهويل^{(١)(٢)}.

وكذلك يشير ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ إِلَى الإظهار في مقام الإضمار في سورة الناس بقوله: (فإن قيل: لِمَ أظهر المضاف إليه وهو الناس في المرة الثانية والثالثة، فهلاً أضمره في المرتين لتقديم ذكره في قوله: ﴿يَرْبِّ النَّاسِ﴾).

أو هلا اكتفى بإظهاره في المرة الثانية؟

فالجواب: أنه لما كان عَظْفَ بيان، حَسَنَ فيه البيان، وهو الإظهار دون الإضمار^(٣)، وقصد أيضاً الاعتناء بالمكرر، كقول الشاعر:

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَغْصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَ^{(٤)(٥)}



(١) التسهيل (٤/٢٦٣).

(٢) انظر: الكشف للزمخشري (٤/٦٠٢).

(٣) انظر: مدارك التنزيل للنسفي (١/٥٧٥)، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٢/٦٣٣).

(٤) التسهيل (٤/٤٤٣ - ٤٤٤).

(٥) البيت: لعدي بن زيد. انظر: ديوانه (ص ٦٥)، الكتاب لسبويه (١/٦٢)، الخصائص لابن جني (٣/٥٥)، أمالي ابن الشجري (١/٣٧٠)، الخزانة للبغدادي (١/٣٧٨).

لِلْبَحْثِ أُمَامِش

التقديم والتأخير وأثرهما في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة التقديم والتأخير.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

✻ أولاً: التعريفات:

التقديم لغة: قال ابن فارس: (القاف، والداد، والميم، أصل صحيح يدل على سبق)^(١).

ومقدمة كل شيء: أوله.

ومقدم كل شيء: نقيض مؤخره.

وقد استعير لكل شيء فليل: مقدمة الكتاب ومقدمة الكلام^(٢).

التأخير لغة: الآخر: خلاف الأول، والتأخير ضد التقديم.

ومؤخر كل شيء - بالتشديد -: خلاف مقدمه.

(١) معجم مقاييس اللغة (قدم) (٦٥/٥). (٢) لسان العرب (قدم) (٦٧/١١).

يقال: ضرب مقدم رأسه ومؤخره^(١).

واصطلاحًا: هو جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة^(٢).

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

أسلوب التقديم والتأخير من خصائص لغة العرب التي تميزوا بها، والقرآن يخاطبهم بأسلوبهم الذي اعتادوا عليه. وهو باب واسع من الأبواب الجميلة في لغة العرب، وله دلالات تتصف بتفضيل المقدم أو كثرته، أو الإشارة إلى شأنه وفضله أو تأثيره، أو بسبقه في الوجود والخلق.

فللتقديم والتأخير أهمية لا تخفى على من أنسَ بعلم البيان وصارت له مَلَكَةٌ فيه أفضى به إلى الكشف عن لطائف في هذا الأسلوب.

قال الجرجاني: (هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتَرُّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجدُ سببَ أَنْ رَاقَكَ وَلَطَّفَ عِنْدَكَ: أَنْ قُدِّمَ فِيهِ شَيْءٌ وَحُوِّلَ اللفظ عن مكان إلى مكان)^(٣).

وهذه الفوائد تعطيه أهمية كبيرة، فالعرب لم تسلك سنن التقديم والتأخير في أساليبها إلا لأهميته عندها.

قال سيبويه^(٤): (كأنهم - يعني: العرب - يقدمون الذي بيانه أهم

(١) لسان العرب (آخر) (٩٧/١).

(٢) انظر: الإكسير للطوفي (١٥٤ - ١٧٠)، وقواعد التفسير للسبت (٤١٩/١).

(٣) دلائل الإعجاز (ص ١٠٦).

(٤) هو: عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بـ (سيبويه) إمام النحاة، وأول من بسط علم =

لهم وهم ببيانه أَعْنَى، وإن كانا جميعًا يُهْمَانِهِمْ وَيَعْنِيَانِهِمْ^(١).
وقد ورد هذا الأسلوب في القرآن الكريم في مواطن كثيرة.

المطلب الثاني

موقف ابن جزي في مسألة التقديم والتأخير

تطرق ابن جزي رحمته الله أثناء تفسيره لبعض الآيات إلى أحد أساليب البلاغة الذي له في القلوب أحسن موقع وأعذب مقال، ألا وهو التقديم والتأخير، وإن كان بالنسبة إلى غيره من المفسرين غَيْضًا من فيض، فقد اعتمد رحمته الله في كثير من الأحيان على سابقيه وفي مقدمتهم الزمخشري، وهذا لا ينقص من قيمة تفسير ابن جزي رحمته الله أو يغض منه، فحسبه أنه اختار وانتقى وهذب وصفى وأوجز.

ومن خلال ما ذكره ابن جزي رحمته الله نستطيع أن نلخص أبرز مواقفه في التقديم والتأخير في النقاط التالية:

- ذكر تعليقات عن سبب التقديم والتأخير.
- ذكر أوجه بلاغية وإعرابية عند التقديم والتأخير.
- ترجيح الأقوال التفسيرية بالإظهار والإضمار.

= النحو ولد عام (١٤٨هـ) وأخذ من: حماد بن سلمة، والأخفش الأكبر، ويعقوب الحضرمي والخليل الفراهيدي، وغيرهم، وأخذ عنه: الأخفش «سعيد بن مسعدة» وقطرب، والناشي وغيرهم، صنف الكتاب في النحو، وقد شرحه عدد من العلماء رحمهم الله. توفي سنة (١٨٠هـ).

انظر: إنباه الرواة للقفطي (٢/ ٣٤٦ - ٣٦٠)، بغية الوعاة للسيوطي (٢/ ٢٢٩ - ٢٣٠).

(١) الكتاب (١/ ١٤).

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراساتها

ذكر ابن جزي رحمته الله عند قوله تعالى: ﴿يَمْرُؤُا أَفْنَىٰ لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَزْكِىٰ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

فقال: ﴿وَأَسْجُدِي وَأَزْكِىٰ﴾ أُمِرَتْ بالصلاة فذكر القنوت والسجود لكونها من هيئة الصلاة وأركانها، ثم قيل لها:

﴿وَأَزْكِىٰ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾؛ بمعنى: ولتكن صلاتك مع المصلين أو في الجماعة، فلا يقتضي الكلام على هذا تقديم السجود على الركوع؛ لأنه لم يرد الركوع والسجود المنضمين في ركعة واحدة.

وقيل: أراد ذلك وقدم السجود لأن الواو لا ترتب، ويحتمل أن تكون الصلاة في ملتهم بتقديم السجود على الركوع^(١).

ذكر ابن جزي رحمته الله عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالٍ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١].

قوله: ﴿مِثْقَالٍ ذَرَّةٍ﴾.

والذرة: صغار النمل، قال الزمخشري^(٢): إن قلت: لم قدمت الأرض على السماء بخلاف سورة سبأ؟ فالجواب: أن السماء تقدمت في سبأ؛ لأن حقها التقديم، وقدمت الأرض هنا لما ذكرت الشهادة على أهل الأرض^(٣).

وعند قوله تعالى: ﴿كُلُّ سَفِينَةٍ غَصْبَاءٌ﴾ [الكهف: ٧٩].

قال: (عموم معناه: الخصوص في الجياد، والصحاح من السفن؛

(١) التسهيل (٢٤٩/١). انظر: الكشاف للزمخشري (١٨٩/١)، وتفسير أبي السعود (٣٥/١).

(٢) الكشاف (١٩٥/٢). (٣) التسهيل (١٧٧/٢).

ولذلك قرأ ابن مسعود: يأخذ كل سفينة صالحة^(١).

وقيل: إن اسم هذا الملك هُدَد بن بُدَد^(٢)، وهذا يفتقر إلى نقل صحيح؛ وفي الكلام تقديم وتأخير.

لأن قوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] مؤخر في المعنى عن ذكر غصبتها؛ لأن خوف الغضب سبب في أنه عابها، وإنما قُدِّمَ للعناية به^(٣).

وعند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ [فاطر: ٣٢].

قال: (...) فإن قيل: لم قُدِّمَ الظالم ووسَّطَ المقتصد وأُخِّرَ السابق؟
فالجواب: أنه قُدِّمَ الظالم لنفسه رفقا به لثلاث يئس، وأُخِّرَ السابق لثلاث يعجب بنفسه.

وقال الزمخشري^(٤): قُدِّمَ الظالم لكثرة الظالمين، وأُخِّرَ السابق لقلة السابقين^(٥).

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

قال: (قال ابن عطية^(٦): ويجوز أن يكون ﴿كُفُوًا﴾ حالا لكونه كان صفة للنكرة فقدم عليها، فإن قيل: لِمَ قُدِّمَ المجرور، وهو: ﴿لَهُ﴾ على اسم كان وخبرها، وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر؟ فالجواب من وجهين:
أحدهما: أنه قدم للاعتناء به والتعظيم؛ لأنه ضمير الله تعالى،
وشأن العرب تقديم ما هو أهم وأولى...)^(٧).

(١) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣/٥٣٥).

(٢) انظر: تفسير أبي الليث (٢/٣٠٩).

(٣) التسهيل (٢/٣٧٢). انظر النص في: الكشف للزمخشري (٢/٣٩٩).

(٤) الكشف (٤/٢٧٦). (٥) التسهيل (٣/٢٩١).

(٦) المحرر الوجيز (٥/٥٣٧). (٧) التسهيل (٤/٤٣٧).

الْفَصْلُ الْخَامِسُ

موضوعات علوم القرآن الأخرى وأثرها في تفسيره

وفيه أربعة مباحث:

- للْبَحْثُ الْأَوَّلُ : النسخ.
- للْبَحْثُ الثَّانِي : الإسرائيليات والقصص القرآني.
- للْبَحْثُ الثَّلَاثُ : الوقف والابتداء.
- للْبَحْثُ الرَّابِعُ : إعجاز القرآن.

لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ

النسخ وأثره في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزري في مسألة النسخ.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراساتها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً: التعريفات:

- النسخ لغة: من نسخ الشيء ينسخه نسخًا وانتسخه واستنسخه.
- والنسخ: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه، وفي التنزيل: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].
- والآية الثانية: ناسخة، والأولى: منسوخة.
- والشيء ينسخ الشيء نسخًا أي: يزيله ويكون مكانه^(١).

(١) لسان العرب (نسخ) (١٤/١٣١).

وقال الفراء: (النسخ أن تعمل بالآية ثم تنزل آية أخرى فتعمل بها وتترك الأولى)^(١).

والعرب تقول: نسخت الشمس الظل وانتسخته: أزالته، والمعنى: أذهبت الظلَّ وحلَّتْ.

وَنَسَخَتِ الرِّيحُ آثَارَ الدِّيَارِ: غَيَّرَتْهَا^(٢).

وعرّفه ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ في مقدمة تفسيره بقوله: (النسخ في اللغة: الإزالة والنقل).

وفي الشريعة: رفع الحكم الشرعي بعدما نزل، ووقع في القرآن على ثلاثة أوجه:

- نسخ اللفظ والمعنى، كقوله: «لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفِّرَ بِكُمْ».

- نسخ اللفظ دون المعنى، كقوله: «الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

- نسخ المعنى دون اللفظ، وهو كثير وقع منه في القرآن على ما عدَّ بعض العلماء مئتا موضع، وثنتا عشرة مواضع منسوخة، إلا أنهم عدوا التخصيص والتقييد نسخًا، والاستثناء نسخًا، وبين هذه الأشياء وبين النسخ فروقٌ معروفة، وستتكلّم على ذلك في مواضعه، ونقدم هنا ما جاء من نسخ مسالمة الكفار والعفو عنهم والإعراض والصبر على أذاهم بالأمر بقتالهم، ليغني ذلك عن تكراره في مواضعه...^(٣).

(١) معاني القرآن (١/٦٤).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (نسخ) (٧/٨٤).

(٣) التسهيل (١/٣٠).

وذكر عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: ١٠١]. قوله: (التبديل هنا: النسخ)^(١).

واصطلاحًا: هو رفع الحكم الثابت بخطاب متقدّم بخطاب مُتَرَاخٍ عنه^(٢).

وقيل: الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتًا مع تراخيه عنه.

وهذا التعريف يعتبر تعريفًا للناسخ.

وأما النسخ فأصحُّ تعريفاته أنه: رفع الحكم الشرعي لخطاب شرعي مُتَرَاخٍ عنه^(٣).

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

علم الناسخ والمنسوخ علمٌ جليل القدر، عظيم الفائدة، لا يستغني عن معرفته العلماء، فهو من أجلّ المباحث في علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم أصول الفقه، ولأهميته توالى العلماء على العناية به والتأليف فيه بين مطول مبسوط، وآخر وسيط، ولأن علم النسخ تَكْمُنُ أهميته في كون مادته هي القرآن الكريم؛ تشدد الصحابة والتابعون رضي الله عنهم في اشتراط العلم بالناسخ والمنسوخ في كلِّ مَنْ نصب نفسه للفتوى أو الوعظ.

ومن ذلك ما يروى عن علي رضي الله عنه؛ أنه دخل المسجد فإذا رجل يخوف الناس فقال: (ما هذا؟ فقالوا: رجل يُذكر الناس، فقال: ليس

(١) التسهيل (٢/٣٠٤).

(٢) المستصفى للغزالي (١/٦٩)، الإحكام لابن حزم (٤/٥٦٤)، تقريب الوصول لابن جزي (ص ٣١٠).

(٣) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب للسبكي (٤/٣٢).

برجل يُذَكِّرُ النَّاسَ؛ ولكنه يقول: أنا فلان بن فلان فاعْرِفُونِي! فأرسل إليه: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ فقال: لا. قال: فأخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه^(١).

وقال الإمام الزهري^(٢): (من لم يعرف الناسخ من المنسوخ خلط في الدين)^(٣).

وقال الإمام الشافعي: (لا يقيس إلا من جمع آلات القياس، وهي: العلم بالأحكام من كتاب الله فرضه وأدبه، وناسخه ومنسوخه)^(٤).

وروى ابن عبد البر^(٥) بسنده عن يحيى بن أكثم^(٦) قال: (ليس من العلوم كلها علم هو واجب على العلماء وعلى المتعلمين وعلى كافة المسلمين: من علم ناسخ القرآن ومنسوخه؛ لأن الأخذ بناسخه واجب فرضاً والعمل به واجب لازم ديانةً، والمنسوخ لا يُعمل به ولا يُنتهى إليه، فالواجب على كل عالم: عِلْمُ ذلك؛ لئلا يوجب على نفسه وعلى

(١) انظر: الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحازمي (ص ٢٠)، صفوة الراسخ لمحمد شعله (ص ١٢٠).

(٢) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، أبو بكر الزهري أحد الأئمة الكبار، تابعي قرأ على أنس بن مالك، توفي سنة (١٢٤هـ). انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (ص ١٠٧).

(٣) صفوة الراسخ لمحمد شعله (ص ١٢١).

(٤) الرسالة (ص ٥٠٩ - ٥١٠).

(٥) هو: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، ولد سنة (٣٦٨هـ)، تلمذ على شيوخ عصره، ولم يرحل، كانت له اليد الطولى في المصنفات المفيدة منها: التمهيد، والاستذكار، والكافي في الفقه. توفي سنة (٤٦٣هـ). انظر: جذوة المقتبس للحمدي (ص ٣٤٤).

(٦) هو: يحيى بن أكثم بن محمد التميمي المروزي، عالي الشهرة، ورفيع القدر من نبلاء الفقهاء ولد بمرور عام (١٥٩هـ)، وتولى قضاء البصرة ثم قضاء بغداد، له مؤلفات منها: الأصول، والتنبيه. توفي عام (٢٤٢هـ).

انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٢١٧)، أخبار القضاة لوكيع (٢/ ١٦١ - ١٦٧).

عباد الله أمراً لم يوجب الله، أو يضع عنهم فرضاً أوجب الله^(١).
وقال مكي بن أبي طالب القيسي: (إن من أكد ما غني أهل العلم
والقرآن بفهمه وحفظه والنظر فيه من علوم القرآن وسارعوا إلى البحث
عن فهمه وعلمه وأصوله: علم ناسخ القرآن ومنسوخه، فهو علم لا يسع
كل من تعلق بأدنى علم من علوم الديانة جهله)^(٢).
وبالجملة فإن علم الناسخ والمنسوخ علم ضروري المأخذ، حيث
لا فهم للنص القرآني على وجهه الصحيح دون معرفة مواضع الناسخ
والمنسوخ، ومن لا يعلم الناسخ والمنسوخ فإنه سيضل الطريق في فهم
القرآن والسنة ومعرفة أحكام الشريعة.

المطلب الثاني

موقف ابن جزي في مسألة النسخ

أفرد ابن جزي رحمه الله في مقدمة تفسيره باباً تكلم فيه عن النسخ من
حيث تعريفه لغة واصطلاحاً، وعدّد وجوه وقوعه في القرآن الكريم.
واهتم به اهتماماً كبيراً أثناء تفسيره.

وابن جزي رحمه الله يقرر في مقدمة تفسيره أن علم النسخ من العلوم
المتعلقة بالقرآن الكريم، وأنه لا بد من معرفة ما وقع منه في القرآن
الكريم، كما رد رحمه الله على من أدخل في النسخ ما ليس منه، فقال:
(... إلا أنهم عدوا التخصيص والتقييد نسخاً، والاستثناء نسخاً،
وبين هذه الأشياء وبين النسخ فروقٌ معروفة، وسنتكلم على ذلك في
مواضعه)^(٣).

(١) جامع بيان العلم وفضله (٦٤/٢).

(٢) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (ص ٦٤).

(٣) التسهيل (١٤٤/١).

كما يقرر ﷺ أن النسخ يكون فيما يتعلق بالأحكام؛ لأنها محل النسخ؛ إذ لا تنسخ الأخبار.

ثم ذكر أن موضوع النسخ قد أفرد المصنفون بتصانيف كثيرة إلا أن أحسنها تأليفاً: تأليف القاضي أبي بكر بن العربي.

ثم ذكر عند قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦] قوله: (استدلال على جواز النسخ لأنه من المقدورات خلافاً لليهود - لعنهم الله - فإنهم أحالوه على الله، وهو جائز قولاً وواقعاً شرعاً، فلما نَسَخَتْ شَرِيعَتُهُمْ ما قبلها نَسَخَهَا ما بعدها).

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراساتها

ذكر ابن جزي ﷺ عند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

قال: (هذه الآية منسوخة، ومعناها: أن الرجل إذا مات كان لزوجته أن تقيم في منزله وينفق عليها من ماله وذلك وصية لها، ثم نسخ إقامتها سنة بالأربعة الأشهر والعشر، ونسخت النفقة بالربع أو الثمن الذي لها في الميراث حسبما ذكر في سورة النساء)^(١).

ويشير ابن جزي ﷺ عند قوله تعالى: ﴿فَأَنسِكُمُ فِي الْبُيُوتِ﴾ [النساء: ١٥].

فيقول: (كانت عقوبة الزنى: الإمساك في البيوت، ثم نسخ ذلك بالأذى المذكور بعد هذا وهو السب والتوبيخ).

(١) التسهيل (١/٢٠٩).

وقيل: الإمساك للنساء، والأذى للرجال فلا نسخ بينهما، ورجحه ابن عطية بقوله: في الإمساك: ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [النساء: ١٥] وفي الأذى: ﴿مِنْكُمْ﴾ [النساء: ١٦]، ثم نسخ الإمساك والأذى بالرجم للمحصن وبالجلد لغير المحصن، واستقر الأمر على ذلك^{(١)(٢)}.

وأما الجلد فمذكور في سورة النور، وأما الرجم فقد كان في القرآن ثم نسخ لفظه وبقي حكمه.

وقد رجم ﷺ ماعزًا الأسلمي^(٣) وغيره^{(٤)(٥)}.

وذكر ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ عند قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

(قيل: معنى: ﴿وَذَرُوا﴾ اتركوهم لا تُحَاجُّوهم ولا تتعرضوا لهم، فالآية على هذا منسوخة بالقتال)^(٦).

وأشار عند قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

فقال: (المراد بالسبيل هنا: الإسلام).

والحكمة هي: الكلام الذي يظهر صوابه.

(١) التسهيل (٣٠١/١).

(٢) المحرر الوجيز (٢٠/٢).

(٣) هو: ماعز بن مالك الأسلمي، صحابي جليل قال فيه النبي ﷺ: (لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي لَأَجْزَأَتْ عَنْهُمْ) رضي الله عنه وأرضاه، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٩/٤١٥ - ٤١٧).

(٤) أخرجه: البخاري كتاب الحدود، باب هل يقول الإمام للمقر: لعلك لمست أو غمزت؟ برقم (٦٨٢٤).

(٥) التسهيل (٣٠١/١).

(٦) التسهيل (١٠٣/٢). انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي القيسي (ص ٢٩١).

والموعظة هي: الترغيب والترهيب، والجدال هو الرد على المخالف، وهذه الأشياء الثلاثة يسميها أهل العلوم العقلية بالبرهان والخطابة والجدال، وهذه الآية تقتضي مُهَادَنَةً نُسَخَتْ بالسيف، وقيل: إن الدعاء إلى الله بهذه الطريقة من التلطف والرفق غير منسوخ، وإنما السيف لمن لا تنفعه هذه الملاطفة من الكفار، وأما العصاة فهي في حقهم مُحْكَمَةٌ إلى يوم القيامة باتفاق^(١).



(١) التسهيل (٣٠٩/٢). انظر: المصنف بأئف أهل الرسوخ، من علم الناسخ والمنسوخ لابن الجوزي (ص ٤٢)، والإيضاح لمكي (ص ٣٣٦).



الإسرائيليات والقصص القرآني وأثرها في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزى في مسألة الإسرائيليات والقصص القرآني.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً: التعريفات:

الإسرائيليات: جمع إسرائيلية.

وهي: القصة أو الحادثة التي تروى عن مصدر إسرائيلي^(١).

والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم "وهو أبو الأسباط الاثني عشر" وإليه ينسب اليهود فيقال: بنو إسرائيل^(٢).

القصص لغة: الخبر المقصوص، وقَصَّ عَلَيَّ خَبْرَهُ يَقْصُهُ قَصًّا وقصصًا: أورده.

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي (ص ١٣).

(٢) المعارف لابن قتيبة (ص ٢٣).

وتقصص كلامه: حفظه.

وتقصص الخبر: تتبعه.

والقصة: الأمر والحديث، واقتصصت الحديث: رويته على وجهه.

واقتصصت الحديث: رويته على وجهه^(١).

واصطلاحاً: هي حديث من القرآن الكريم ينسب عن آثار الغابرين، ويحكي أحداثاً ماضية من أجل العظة والاعتبار^(٢).

وعرفه ابن جزي رحمته الله بقوله: (القصص هو: ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم كقصة أصحاب الكهف وذوي القرنين)^(٣).

أقسام الإسرائيليات:

تنقسم الإسرائيليات إلى أقسام متعددة باعتبارات مختلفة:

فتنقسم أولاً باعتبار الصحة وعدمها إلى:

صحيح وضعيف.

وتنقسم الإسرائيليات ثانياً باعتبار موافقتها لما في شريعتنا ومخالفتنا

لها إلى ثلاثة أقسام:

- قسم موافق لما في شريعتنا.

- وقسم مخالف له.

- وقسم مسكوت عنه ليس في شرعنا ما يؤيده ولا ما يفنده.

(١) لسان العرب (قصص) (١١/١٩٩).

(٢) انظر: البيان القصصي في القرآن لإبراهيم عوضين (ص ١٨)، ومباحث في علوم القرآن (ص ٣٠٦).

(٣) التسهيل (١/١٤).

فمثال ما جاء موافقاً لما في شريعتنا: ما أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ومسلم قال: (حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن خالد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْرَةً وَاحِدَةً، يَتَكَفَّوْهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْرَتَهُ فِي السَّفَرِ، نَزْلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ» فأتى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أبا القاسمِ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِنَزْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْرَةً وَاحِدَةً... كما قال النبي ﷺ، فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه^(١).

وتنقسم الإسرائيليات باعتبار مواضعها إلى أقسام ثلاثة:

- قسم يتعلق بالعقائد.
- قسم يتعلق بالأحكام.
- قسم يتعلق بالمواعظ أو الحوادث التي لا تُمَثَّلُ إلى العقائد والأحكام بِصِلَةٍ.

❖ ثانياً: أهمية الموضوع:

امتن الله تبارك وتعالى على رسوله، بقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْقَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

إذ إن في تلك القصص لعبرة وفوائد للأمة؛ لذا فالقرآن تناول القصص بأسلوب بديع معبر مُفَعِّمٌ بالتذكير، وحاثٌ على التفكير فيما قصّه، إذ ساقها في مظان الاتعاض بها، ولم تأت في القرآن مُتَابِعَةً

(١) أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب يقبض الله الأرض، رقم (٦٥٢٠).

مقاربة، بل متفرقة موزعة على حسب مقامات تناسبها؛ لأن معظم الفوائد الحاصلة منها تستمد من توزيعها، فكان اشتمال القرآن العظيم على تلك القصص وظهور بلاغته بتكرار الكلام في الغرض الواحد، وهذا يكون له وقع في نفوس سامعيه.

المطلب الثاني

موقف ابن جزي في مسألة الإسرائيليات والقصص القرآني

تطرق ابن جزي رحمته الله للإسرائيليات والقصص القرآني في تفسيره، ورسم في مقدمته المنهج الذي سيسلكه اتجاهها، فقال: (وأما القصص فهي من جملة العلوم التي تضمنها القرآن فلا بد من تفسيره، إلا أن الضروري منه ما يتوقف التفسير عليه، وما سوى ذلك زائد مستغنى عنه، وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح، حتى إنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصير بمنصب الأنبياء عليهم السلام، أو حكاية ما يجب تنزيههم عنه.

وأما نحن فاقصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح^(١).

ومن خلال ما ذكره ابن جزي رحمته الله نستطيع أن نلخص منهجه في الإسرائيليات والقصص القرآني في النقاط التالية:

- يرى ابن جزي رحمته الله أن القصص فن من فنون العلم التي تتعلق تعلقًا وطيدًا بالقرآن، ولأن القصص من جملة العلوم التي تضمنها القرآن فلا بد من التعرض لتفسيره.

(١) التسهيل (١/١٨).

- تقسيم ابن جزي للإسرائيليات والقصص عموماً إلى قسمين:
- ضروري: وهو الذي يتوقف التفسير عليه.
- غير ضروري: وهو الذي لا يتوقف التفسير عليه؛ أي: مستغنى عنه.

- نقده لبعض المفسرين الذين أوردوا قصصاً لا تليق بمنصب الأنبياء، وحكوا ما يجب تنزيههم عنه؛ كقصة داود وسليمان ونبينا محمد ﷺ.

أما ما ذكره ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ من اقتصاره على الحديث الصحيح فهو منهج حسن، لكن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لم يلتزم بما شرطه على نفسه، بل أورد قصصاً وحكايات تروى حول بعض الآيات وأطال في سردها أحياناً، وهذا يتنافى مع ما اختطه في مقدمة تفسيره بأنه سيكون مختصراً وجيزاً، وإن كان قد ضرب صفحاً على كثير من هذه الروايات، والله أعلم^(١).

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراستها

ذكر ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ الرواية الإسرائيلية التي تروى حول قصة حواء مع إبليس اللعين في شأن حملها عند قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَتْهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

فقال: (...). وقيل: إن حواء لما حملت جاءها إبليس وقال لها: **إِنْ أَطَعْتَنِي وَسَمَّيْتِ مَا فِي بطنِكَ عبد الحارث فسأخلصه لك**، وكان اسم إبليس الحارث، وإن عصيتني في ذلك قتلته؛ فأخبرت بذلك آدم، فقال لها: إنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة، فلما ولدت مات الولد، ثم حملت مرة أخرى فقال لها إبليس مثل ذلك فعصته فمات الولد، ثم

(١) راجع: منهج ابن جزي للزبير (٤٧٩/١٥).

حملت مرة ثالثة فسمياه عبد الحارث طمعاً في حياته. فقوله: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠]؛ أي: في التسمية لا غير، لا في عبادة غير الله^(١).

وهذه الرواية التي ذكرها ابن جزى رَحِمَهُ اللهُ لم يُسَلِّمْ لها، بل ناقشها ورجح الصحيح الذي يسلك حيالها، فقال: (والقول الأول أصح لثلاثة أوجه: ...)^(٢).

والقول الذي ساقه هو: أنه لما آتاهما ولدًا صالحًا كما طلبا جعل أولادهما به شركاء، فالكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

والأوجه الثلاثة التي ذكرها ابن جزى لترجيح القول الأول هي: (...). والوجه الأول لهذا القول: أنه يقتضي براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره، وذلك هو حال الأنبياء.

والثاني: أنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته، لقوله تعالى: ﴿فَقَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] بضمير الجمع. والوجه الثالث: أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح، وهو غير موجود في تلك القصة^(٣).

ومع هذا البيان الذي ساقه ابن جزى وختم بأنه يفتقر إلى نقل بسند صحيح، وهذا الشرط شرطه على نفسه في مقدمة تفسيره وأنه غير ضروري إذ لا يتوقف عليه التفسير -: إلا أنه رَحِمَهُ اللهُ أوردتها كما أوردتها كثير من المفسرين.

(١) التسهيل (١٠٦/٢ - ١٠٧). انظر هذه الرواية في: جامع البيان للطبري (٣١١/١٣)، الدر المنثور للسيوطي (٧٠٠/٦).

(٢) التسهيل (١٠٦/٢ - ١٠٧). (٣) التسهيل (١٠٦/٢ - ١٠٧).

وقد وردت هذه الرواية بألفاظ مختلفة في كثير من كتب التفسير كما أخرجها الإمام أحمد بسنده عن سمرة^(١) عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا وَلَدَتْ حَوَاءٌ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ، وَكَانَ لَا يَعْيشُ لَهَا وَلَدٌ، فَقَالَ: سَمِّيَ عَبْدَ الْحَارِثِ؛ فَإِنَّهُ يَعْيشُ، فَسَمَّيْتُهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَعَاشَ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ»^(٢).

وكذلك أورد ابن جزي رحمه الله قصة داود عليه السلام، تلك الرواية الإسرائيلية التي تناقلها جم غفير من المفسرين ومحاولة بعضهم رفعها إلى النبي ﷺ مع ما فيها من إمساس بمقام الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وهذا تساهل بين.

قال ابن جزي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَةً وَلِيَ نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣].

(ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عليه السلام،

(١) هو: سمرة بن جندب بن هلال بن عمرو بن جابر الأنصاري صحابي جليل. مات سنة (٦٠هـ).

انظر: الإصابة لابن حجر (٦/٤٦١).

(٢) مسند الإمام أحمد برقم (٢١١٧)، وأخرجها: الترمذي في سننه، كتاب التفسير برقم (٣٢٧) عن محمد بن المثنى وقال: «حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة ورواه بعضهم عن عبد الصمد؛ يعني: ابن عبد الوارث - ولم يرفعه».

والحاكم في المستدرک برقم (٤٠٠٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وصححه الذهبي في التلخيص والحديث ضعيف لضعف عمر بن إبراهيم قال ابن عدي في الكامل عنه: (يروي عن قتادة ما لا يوافق عليه).

وقال ابن حجر في التقریب (٣٤٨٥): (صدوق؛ في حديثه عن قتادة ضعف) ولعدم سماع الحسن أيضاً من سمرة إلا حديث العقيقة، فقد ضعفه الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٣٤٢) وضعيف الجامع الصغير وزيادته برقم (٤٧٧)، وأعله الحافظ ابن كثير رحمه الله من ثلاثة أوجه. انظر: تفسيره (٢/٢٨٦).

رُوي أَنَّ أَهْلَ زَمَانِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَنْ يَنْزِلَ لَهُ عِنِ امْرَأَةٍ فَيَتَزَوَّجَهَا إِذَا أُعْجِبَتْهُ، وَكَانَتْ لَهُمْ عَادَةٌ فِي ذَلِكَ لَا يَنْكِرُونَهَا، وَقَدْ جَاءَ عَنِ الْأَنْصَارِ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ^(١)، فَاتَّفَقَ أَنْ وَقَعَتْ عَيْنُ دَاوُدَ عَلَى امْرَأَةٍ رَجُلٍ فَأُعْجِبَتْهُ، فَسَأَلَهُ النَّزُولَ عَنْهَا فَفَعَلَ، وَتَزَوَّجَهَا دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوُلِدَ لَهُ مِنْهَا سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ لِدَاوُدَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ امْرَأَةً، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَائِكَةً مِثَالًا لِقِصَّتِهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً﴾ [ص: ٢٣]؛ إِشَارَةً إِلَى التَّسْعِ وَالتَّسْعِينَ امْرَأَةً الَّتِي كَانَتْ لِدَاوُدَ، ﴿وَلِيَ نَجَّةً وَاحِدَةً﴾ [ص: ٢٣] إِشَارَةً إِلَى أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ لَمْ تَكُنْ لَهُ إِلَّا تِلْكَ الْمَرْأَةُ الْوَاحِدَةُ، ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا﴾ [ص: ٢٣]؛ إِشَارَةً إِلَى سُؤَالِ دَاوُدَ مِنَ الرَّجُلِ النَّزُولَ عَنِ امْرَأَتِهِ، فَأَجَابَهُ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجَّتِكَ إِنَّكَ يَنْجَاهُهَا﴾ [ص: ٢٤] فَقَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، فَتَبَسَّمَ الْمَلَكَانِ عِنْدَ ذَلِكَ وَذَهَبَا وَلَمْ يَرَهُمَا، فَشَعَرَ دَاوُدُ أَنَّ ذَلِكَ عِتَابٌ مِنَ اللَّهِ لَهُ عَلَى مَا وَقَعَ فِيهِ^(٢).

(...) وَرُوي هَذَا الْخَبَرُ عَلَى وَجْهِ آخَرَ، وَهُوَ أَنَّ دَاوُدَ انْفَرَدَ يَوْمًا فِي مُحَرَابِهِ لِلتَّعَبِيدِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ طَائِرٌ مِنْ كُوَّةٍ، فَوَقَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأُعْجِبَهُ فَمَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَهُ فَطَارَ عَلَى الْكُوَّةِ، فَصَعِدَ دَاوُدُ لِيَأْخُذَهُ فَرَأَى مِنَ الْكُوَّةِ امْرَأَةً

(١) يشير إلى الحديث الذي أخرجه: البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب إحياء النبي ﷺ برقم (٣٧٨٠) «لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن وسعد بن الربيع، فقال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك، فسَمَّها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها قال: بارك الله لك في أهلك ومالك! أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدو، ثم جاء يوماً وبه أثر صفرة، فقال النبي ﷺ: (مَهَيْمٌ؟) قال: تزوجت. قال: (كَمْ سَقَتْ إِلَيْهَا؟) قال: نواة من دَقِبٍ، أو: وزن نواة من ذهب».

(٢) التسهيل (٣/ ٣٣٧ - ٣٣٨).

تَغْتَسِلُ غُرْيَانَةً فَأَعْجَبَتْهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَسَأَلَ عَنْهَا؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهَا امْرَأَةٌ رَجُلٍ مِنْ جُنْدِهِ وَأَنَّهُ خَرَجَ لِلْجِهَادِ مَعَ الْجُنْدِ، فَكَتَبَ دَاوُدُ إِلَى أَمِيرِ تِلْكَ الْحَرْبِ أَنْ يُقَدِّمَ ذَلِكَ الرَّجُلَ يُقَاتِلُ عِنْدَ التَّابُوتِ، وَهُوَ مَوْضِعٌ قَلَمًا تَخْلَصُ أَحَدٌ مِنْهُ، فَقَدَّمَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، فَتَزَوَّجَ دَاوُدُ امْرَأَتَهُ؛ فَعُوتِبَ عَلَى تَعْرِيفِهِ ذَلِكَ الرَّجُلَ لِلْقَتْلِ وَتَزَوُّجِهِ امْرَأَتَهُ بَعْدَهُ مَعَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ امْرَأَةً سِوَاهَا.

وقيل: إن داود همَّ بذلك كله ولم يفعله، وإنما وَقَعَتِ المَعَاتِبَةُ عَلَى هَمِّهِ بذلك.

وروي: أن السبب فيما جرى له مثل ذلك أنه أَعْجَبَ بِعِلْمِهِ وَظَهَرَ مِنْهُ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُ لَا يَخَافُ الْفِتْنَةَ عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَرَ بِتِلْكَ الْقِصَّةِ.

وروي أيضًا أن السبب في ذلك أنه تَمَنَّى مَنْزِلَةَ آبَائِهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وَالتَزَمَ أَنْ يُبْتَلَى كَمَا ابْتُلُوا، فَابْتَلَاهُ اللَّهُ بِمَا جَرَى لَهُ فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ^{(١)(٢)}.

ومما يلاحظ على الإمام ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ انسياقه وراء الجَمِّ الغفير من المفسرين الذين أوردوها وتفننوا في زيادتها كل على حسب مصدره الذي نقل منه، ولم يقفوا عند هذا الحد بل بعضهم رفعها إلى النبي ﷺ!

وكان الأولى بالإمام ابن جزي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو الذي شرط على نفسه في مقدمة تفسيره الاقتصار على الصحيح من الأخبار مع عدم التطويل والاسترسال، نراه هنا قد بسط القول وَفَصَّلَهُ وهو مما لا يتوقف التفسير

(١) التسهيل (٣/ ٣٣٧ - ٣٣٨).

(٢) انظر هذه الرواية في: مصنف ابن أبي شيبة (١١/ ٥٥٤ - ٥٥٦)، جامع البيان للطبري (٢/ ٧٤)، البداية والنهاية (٢/ ٣٠٩)، أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٦٣٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٥٥ - ١٥٦) وغيرها.

عليه، إذ هو من الأباطيل التي تُروى وتَقْدَحُ في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقال القاضي عياض^(١) رَحِمَهُ اللهُ: (لا تلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب الذين بَدَّلُوا وَغَيَّرُوا، ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك في كتابه ولا ورد في حديث صحيح، والذي نص عليه في قصة داود ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ [ص: ٢٤]، وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت)^(٢).

وقال الألباني^(٣): (وقصة افتتان داود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنظره إلى امرأة الجندي أوريا مشهورة مبثوثة في كتب قصص الأنبياء وبعض كتب التفسير، ولا يشك مسلم عاقل في بطلانها؛ لما فيها من نسبة ما لا يليق بمقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)^(٤).



(١) هو: عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، إمام وقته في علوم الحديث، والتفسير، ولد سنة (٤٩٦هـ)، له مؤلفات منها: إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم، وشرح حديث أم زرع. توفي سنة (٥٤٤هـ).

انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/١٩٢).

(٢) الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى (٢/١٥٨).

(٣) هو: محمد ناصر الدين الألباني المحدث المعروف، ولد سنة (١٣٣٢هـ) ونشأ في أسرة متدينة له جهود قيمة في تصحيح الأحاديث وتضعيفها، ألف مؤلفات نافعة منها: السلسلة الصحيحة، السلسلة الضعيفة، إرواء الغليل، توفي سنة (١٤٢٠هـ). انظر: صفحات مشرقة من حياة شيخنا العلامة الألباني.

(٤) السلسلة الضعيفة (١/٤٨٤) (٣١٣).

الْبَحْثُ الثَّلَاثُ

الوقف والابتداء وأثرهما في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة الوقف والابتداء.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراساتها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

✻ أولاً: التعريفات:

الوقف لغة: الحبس.

يقال: وقف الأرض أو الدار على المساكين أو للمساكين وقفاً؛ أي: حبسها.

والوقف: مصدر قولك: وقفت الدابة ووقفت الكلمة وقفاً^(١).

واصطلاحاً: عرّفه ابن الجزري بقوله: (الوقف: عبارة عن قطع الصوت زمناً يتنفس فيه عادة بينة استئناف القراءة، إما بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله لا بينة الإعراض، ويأتي في رؤوس الآي

(١) الصحاح (وقف) (ص ٦٤٦)، لسان العرب (وقف) (١٥/٤٢٢).

وأوساطها، ولا يأتي في وسط الكلمة ولا فيما اتصل زمنًا، ولا بد من التنفس معه^(١).

وعرّفه الجعبري^(٢) بقوله: (الوقف: قطع صوت القارئ على آخر الكلمة الوضعية زمانًا)^(٣).

الابتداء لغة: يقال: ابتدأت الشيء: فَعَلْتُهُ ابتداءً، والبدء: فعل الشيء أولًا، وبَدَأْتُ بالشيء: قَدَّمْتُهُ^(٤).

اصطلاحًا: لم يعرفه العلماء المتقدمون في هذا الفن، وعرفه الجرجاني^(٥) بقوله: (الابتداء هو: أول جزء من المصراع الثاني، والابتداء العرفي يطلق على الشيء الذي يقع قبل المقصود فيتناول الحمدلة بعد البسمة)^(٦).

وقيل: هو استئناف القراءة بعد الوقف، أو هو الشروع في التلاوة بعد قطع أو وقف، فإن كان بعد قطع فعلى القارئ عند الشروع في التلاوة أن يستعيد ويسمل سواء كان في أوائل السور أم في أوساطها^(٧).

(١) النشر (١/٢٤٠).

(٢) هو: برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الربيعي الجعبري، ولد سنة (٦٤٦هـ) في قلعة جعبر، درس على والده في صباه، ورحل رحلات عديدة درس فيها على جلة علماء عصره، كان عالمًا مشاركًا في سائر العلوم والفنون، له تأليف منها: كنز المعاني شرح حرز الأمان، وجميلة أرباب المراصد، توفي سنة (٧٣٢هـ). انظر: مرآة الجنان (٤/٢٨٥) الدرر الكامنة (١/٥٥).

(٣) لطائف الإشارات للقسطلاني (١/٢٤٨).

(٤) انظر: لسان العرب (بدأ) (١/٤٠٦)، المفردات في غريب القرآن (بدأ) (ص١١٣).

(٥) هو: علي بن محمد بن علي المعروف بـ (الشريف الجرجاني) أبو الحسن فيلسوف من كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكو قرب أستراباذ، ودرس في شيراز. توفي سنة (٨١٦هـ). انظر: معجم المؤلفين لكحالة (٧/٢١٦).

(٦) انظر: التعريفات (ص٧)، الكلبيات (١/٢٣).

(٧) انظر: الوقف والابتداء وصلتها بالمعنى في القرآن الكريم لعبد الكريم إبراهيم.

الفرق بين الوقف والقطع والسكت:

القطع لغة: إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلاً.
يقال: قطعه يَقْطَعُهُ قَطْعًا.

والقطعُ: مصدر قطعُ الحبلَ قطعًا فانقطع^(١).

واصطلاحاً: هو الانصراف عن القراءة والانتهاء منها^(٢).

والسكت لغة: السين، والكاف، والتاء، يدل على خلاف الكلام
تقول: سكت يسكتُ سكوئًا.

ورجل سكيت، ورماء بِسُكَاةٍ؛ أي: بما أسكته، وبه سُكَاةٌ إذا
كان طويل السكوت^(٣).

واصطلاحاً: عبارة عن قطع الصوت زمناً هو دون زمن الوقف عادة
من غير تنفس^(٤).

❖ ثانياً: أهمية الموضوع:

للوقف والابتداء أهمية كبيرة، وهو من أعظم الموضوعات التي
لا بد لقارئ القرآن من معرفتها ومراعاتها أثناء قراءته تطبيقاً وامتنالاً
للتدبر الذي أمرنا الله ﷻ به في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ
لِيَذَبَّ رَوْءَاً إِيَّائِهِ﴾ [ص: ٢٩].

ولأهميته فقد حظي هذا الفن باهتمام العلماء فألفوا فيه التأليف
المفيدة^(٥)، وحثوا على تعلمه إذ لا بد لطالب علوم القرآن منه.

(١) لسان العرب (قطع) (٢٣٢/١١).

(٢) انظر: المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية لملا علي القاري (ص ٦٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة (سكت) (٨٩/٣)، أساس البلاغة (سكت) (ص ٢١٥).

(٤) انظر: النشر (٢٤٠/١)، الإتيان للسيوطي (١٥١/١).

(٥) منها: الوقف والابتداء لابن سعدان (ت ٢٣١)، ووقف القرآن للسجاوندي (ت ٥٦٠هـ)، =

قال ابن الأنباري^(١): (ومن تمام معرفة إعراب القرآن ومعانيه وغريبه: معرفة الوقف والابتداء فيه، فينبغي للقارئ أن يعرف الوقف التام والوقف الكافي الذي ليس بتأم ولا كافٍ)^(٢).

وقال الإمام اللغوي أبو حاتم السجستاني^(٣): (من لم يعرف الوقف لم يعلم القرآن)^(٤).

وقال الزركشي^(٥): (هو فن جليل، به يعرف كيف أداء القرآن، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة، واستنباطات غزيرة، وبه تتبين معاني الآيات، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات)^(٦).

ونص النكزاوي^(٧) على تعلمه فقال: (باب الوقف عظيم القدر،

= وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ).

(١) هو: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر بن الأنباري البغدادي، كان عالماً مشهوراً له بالفضل، والعلم، والتقدم، له مؤلفات جليّة منها: كتاب الزاهر، وكتاب شرح السبع الطوال، توفي سنة (٣٢٨هـ). انظر: الفهرست (١١٨)، وإنباء الرواة (٢٠٥/٣).

(٢) الإيضاح (١٠٨/١).

(٣) هو: سهل بن محمد بن عثمان السجستاني، إمام لغوي شاعر، أخذ من أبي زيد الأنصاري والأصمعي، وأبي عبيدة، والأخفش سعيد بن مسعدة، وأخذ عنه المبرد، وابن دريد له من المؤلفات: المذكر والمؤنث، والهجاء. توفي سنة (٢٥٥هـ). انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٤٠٦/٣).

(٤) لطائف الإشارات للقسطلاني (٢٤٩/١).

(٥) هو: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ولد سنة (٧٤٥هـ) إمام من الأئمة الأفاضل له الباع الطويل في مختلف العلوم الإسلامية، له مؤلفات منها: البرهان، وسلاسل الذهب، والبحر المحيط. (ت ٧٩٤هـ). انظر: طبقات الشافعية للسبكي (١٦٥/٥).

(٦) البرهان في علوم القرآن (٣٤٢/١).

(٧) هو: أبو محمد معين الدين عبد الله بن محمد بن عبد الله الإسكندري مقرئ له كتاب الشامل في القراءات، والافتداء في الوقف. توفي سنة (٦٩٨هـ). انظر: غاية النهاية (٤٠٢/١).

جليل الخطر؛ لأنه لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل^(١).

وبالجملة فالوقف حلية التلاوة، وزينة القارئ، وبلاغ التالي، وفهم للمستمع، وشرف للعالم، وبه يعرف الفرق بين المعنيين المختلفين، والقضيتين المختلفتين، والحُكْمَيْنِ الْمُتَعَارِفَيْنِ^(٢).

المطلب الثاني

موقف ابن جزي في مسألة الوقف والابتداء

تكلم الإمام ابن جزي رحمته الله في مقدمة تفسيره عن الوقف والابتداء، وأفرده بباب بيّن فيه أقسام الوقف، فقال: (الباب التاسع: في الوقف، وهي أربعة أنواع: وقف تام، وحسن، وكاف، وقبيح، وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى: فإن كان الكلام مفتقراً إلى ما بعده في إعرابه أو معناه وما بعده مفتقراً إليه كذلك لم يجز إليه الفصل بين كل معمول وعامله، وبين كل ذي خبر وخبره، وبين كل ذي جواب وجوابه، وبين كل موصول وصلته، وإن كان الكلام الأول مستقلاً يُفْهَمُ دون الثاني إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله فالوقف الأول كاف، وذلك في التوابع والفَصَلَات: كالحال، والتمييز، والاستثناء وشبه ذلك، إلا أن وَصَلَ المستثنى المتصل أكد من المنقطع، ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات أكد من وصلها إذا كانت جملة.

وإن كان الكلام مستقلاً والثاني كذلك فإن كان في قصة واحدة

(١) الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء (ص ١١).

(٢) انظر: لطائف الإشارات (٢٤٩/١).

فالوقف على الأول حسن، وإن كانا في قصتين مختلفتين فالوقف تام، وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب أو المعنى، وكذلك اختلف الناس في كثير من الوقف من أقوالهم فيها: راجح، ومرجوح، وباطل، وقد يقف لبيان المراد وإن لم يتم الكلام.

تنبيه: هذا الذي ذكرنا من رَغِي الإعراب والمعنى في المواقف: استقر عليه العمل وأخذ به شيوخ المقرئين، وكان الأوائل يراعون رؤوس الآيات فيقفون عندها لأنها في القرآن، كالْفَقَرِ في النَّثْرِ، والقوافي في الشعر، ويؤكد ذلك ما أخرجه الترمذي^(١) عن أم سلمة رضي الله عنها (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقْطَعُ قِرَاءَتَهُ؛ يَقُولُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ثُمَّ يَقِفُ، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ثُمَّ يَقِفُ))^{(٢)(٣)}.

ومن خلال ما عرضه ابن جزى رحمته الله يتراءى لنا منهجه في الوقف والابتداء في النقاط التالية:

١ - يعرض الأقوال أحياناً مرجحاً بينها، وتارة مكتفياً بحكاية ما في الآيات من الوقف والابتداء.

٢ - لم يستوعب كل ما يتعلق بهذا الموضوع في تفسيره، وهذا لا ينقص من قدره، فحَسْبُهُ مَزِيَّةٌ أَنَّهُ تكلم في المهم من هذا الفن مما له

(١) هو: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي؛ حافظ مشهور، إمام أهل الحديث، أخذ عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وقتيبة بن سعيد، وأخذ عنه محمد بن المنذر، والهيثم بن كليب، له عدد من المؤلفات منها: الجامع، والعلل. توفي في عام (٢٧٩هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٧٨/٤)، تذكرة الحفاظ (ص ٢٧٨).

(٢) الحديث أخرجه: الترمذي في: أبواب: القراءات عن رسول الله ﷺ برقم (٢٨٥١)، وأبو داود في سننه، كتاب الحروف والقراءات رقم (٢٤٨٦).

(٣) التسهيل (٣٨/١ - ٣٩).

صلة مباشرة وقوية بمعاني القرآن وتفسيره^(١).

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراساتها

بعد أن عرفنا الوقف والابتداء وأقسامه وأهميته، ناسب ذكر نماذج مما ذكره ابن جزي رحمته الله في كتابه، فمن ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَهْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦].

فقال: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون عطفًا على ما قبله فيوصل به، والمعنى: أن اليهود أحرص على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا، فحمل على المعنى كأنه قال: أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وخص ﴿الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس لأنهم لا يؤمنون بالآخرة بإفراط حبهم للحياة الدنيا.

والآخر: أن يكون: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ابتداء كلام فيوقف على ما قبله. والمعنى: من الذين أشركوا قوم^{(٢)(٣)}.

وفي نفس السياق يقول عند قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَأْتِيَنِي عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يُعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

(١) راجع: ابن جزي ومنهجه في التفسير (١٨٨/٢ - ١٨٩).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١٣٩/١).

(٣) انظر: إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري (١/٥٢٤ - ٥٢٥)، القطع والانتشاف للنحاس (ص ٧٦).

﴿لَا تَزِرِبَ عَلَيْكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢] عفو جميل.

والشريب: التعنيف والعقوبة.

وقوله: ﴿الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢] راجع إلى ما قبله فيوقف، وهو يتعلق بالشريب أو بالمقدار في ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من معنى الاستقرار.

وقيل: إنه يتعلق بـ ﴿يَغْفِرُ﴾ [يوسف: ٩٢] وهذا بعيد؛ لأنه تَحَكُّمٌ على الله، وإنما ﴿يَغْفِرُ﴾ دعاء؛ فكأنه أسقط حق نفسه بقوله: ﴿لَا تَزِرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقه^{(١)(٢)}.

وفي نفس السياق يقول عند قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَكُنْ لِمَا يَشَاءُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]. فقال: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ ﴿مَا﴾ نافية.

والمعنى: ما كان للعباد اختيار، إنما الاختيار والإرادة لله وحده، فالوقف على قوله: ﴿وَيَخْتَارُ﴾.

وقيل: إن ﴿مَا﴾ مفعولة بـ (يختار)، ومعنى الخيرة على هذا: الخير والمصلحة، وهذا يجري على قول المعتزلة، وذلك ضعيف لرفع ﴿الْخِيَرَةُ﴾ على أنها اسم ﴿كَانَ﴾^{(٣)(٤)}.



(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٢٣٨).

(٢) انظر: القطع والائتناف للنحاس (ص ٢٧٤)، المكتفى في الوقف والابتداء للداني (ص ٣٢٩).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٣/٢٠١).

(٤) انظر: جامع البيان للطبري (١٠/٩٤)، القطع والائتناف للنحاس (٣٨٩) منار الهدى للأشمونى (ص ٢٩٣).

لِلْبَحْثِ الرَّابِعِ

الإعجاز وأثره في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة الإعجاز.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراساتها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً: التعريفات:

الإعجاز: العين، والجيم، والزاء، أصلاً صحيحان يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء.

فالأول: عجز عن الشيء يعجز عجزاً فهو عاجز؛ أي: ضَعْفٌ.

والعجز: نقيض الحزم.

يقال: أعجزني فلان: إذا عَجَزَتْ عن طلبه وإدراكه^(١).

اصطلاحاً: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة^(٢).

(١) معجم مقاييس اللغة (عجز) (٢٣٠/٤).

(٢) انظر: الإتيان (١٨٧٣/٥)، ولشيخ الإسلام ابن تيمية اعتراض على التعريف. انظر: كتاب النبوات فإنه أطال الحديث عن معارضته التعريف.

وقيل: هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل، أو رأي، أو تدبير^(١).

وعرفه ابن جزي رحمته الله في مقدمته اللغوية بقوله: (أعجز الشيء: إذا فات ولم يقدر عليه، ومنه: ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: ٥١].
﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّمُعْجِزَةٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [فاطر: ٤٤] وأما ﴿مُعْجِزِينَ﴾ [الحج: ٥١] بالالف: فمعناه: مسابقين^(٢).

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

القرآن كلام الله المعجز للخلق في أسلوبه ونظمه، وفي علومه وحكمه، وفي تأثير هدايته، وفي كشفه الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلية، وفي كل باب من هذه الأبواب للإعجاز فصول، وفي كل فصل منها فروع ترجع إلى أصول.

وقد جاء رسول الله ﷺ النبي العربي الأمي العرب بما أثبت عجز العرب عن مماثلة ما جاء به وهم أهل اللغة والفصاحة والبلاغة، وحكى لهم عن ربه القطع بعجزهم عن الإتيان بسورة من مثله، فظهر عجزهم على شدة حرص بلعائهم على إبطال دعوته، واجتثاث نبتته، وهذا مدلول عليه بقوله: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

فالكلام في وجوه إعجاز القرآن واجب شرعًا، وهو من فروض الكفاية، وقد تكلم فيه المفسرون والمتكلمون وبلغاء الأدباء المتأفقون^(٣).

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي (١/٦٥).

(٢) التسهيل (١/٦٥).

(٣) راجع: إعجاز القرآن للرافعي (ص ٢٠).

وَأُولَؤُهُ اِهْتِمَامًا بِالْعَا، وَحَبَرُوا بِرَاعِيهِمُ التَّصَانِيفَ الْعَدِيدَةَ فِي بَيَانِهِ وَتَفْصِيلِ أَقْوَالِهِ.

المطلب الثاني

موقف ابن جزى في مسألة الإعجاز

أفرد ابن جزى رَحِمَهُ اللهُ موضوع إعجاز القرآن بباب في مقدمة تفسيره ذكر فيه عشرة أوجه في إقامة الدليل على أنه من عند الله ﷻ فقال: (الباب الحادي عشر: في إعجاز القرآن وإقامة الدليل على أنه من عند الله ﷻ، ويدل على ذلك عشرة وجوه:

- ١ - فصاحته التي امتاز بها عن كلام المخلوقين.
- ٢ - نظم العجيب وأسلوبه الغريب من مقاطع آياته وفواصل كلماته.
- ٣ - عجز المخلوقين في زمان نزوله وبعد ذلك إلى الآن عن الإتيان بمثله.
- ٤ - ما أخبر فيه من أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، ولم يكن النبي ﷺ يعلم ذلك ولا قرأه في كتاب.
- ٥ - ما أخبر فيه من الغيوب المستقبلية فوقعت على حسب ما قال.
- ٦ - ما فيه من التعريف بالبارئ ﷻ، وذكر صفاته وأسمائه، وما يجوز عليه وما يستحيل عليه، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده، وإقامة البراهين القاطعة والحجج الواضحة، والرد على أصناف الكفار، وذلك كله يُعَلِّمُ بالضرورة أنه لا يَصِلُ إليه بَشَرٌ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، بل بوحى من العليم الخبير، ولا يشك عاقل في صدق من عرف الله تلك المعرفة،

وعظم جلاله ذلك التعظيم، ودعا عباد الله إلى صراطه المستقيم.

٧ - ما شرع فيه من الأحكام، وبيّن من الحلال والحرام، وهدى إليه من مصالح الدنيا والآخرة، وأرشد إليه من مكارم الأخلاق، وذلك غاية الحكمة وثمره العلوم.

٨ - كونه محفوظًا عن الزيادة والنقصان، محروسًا عن التغيير والتبديل على طول الزمان، بخلاف سائر الكتب.

٩ - تيسيره للحفظ، وذلك معلوم بالمعانية.

١٠ - كونه لا يمله قارئه ولا سامعه على كثرة التردد بخلاف سائر الكلام^(١).

هذه هي الأوجه التي ذكرها ابن جزى رحمته الله للإعجاز، وهي التي كانت مرتكزًا لما ذكره الزركشي في «البرهان» والسيوطي في «الإتقان».

ومن خلال ما ذكره ابن جزى رحمته الله نستطيع أن نلخص موقفه من الإعجاز:

أن ابن جزى يرى بتعدد أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، ولم يحصرها في نوع واحد وهي بيانه وفصاحته ونظمه^(٢)، وتبيين هذا في ثنايا تفسيره كذلك - كما سيأتي عند ذكر النماذج التطبيقية بإذن الله -.

ومما يؤخذ على ابن جزى رحمته الله أنه عند تفسيره لآية الإسراء:

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [٨٨]: قَالَ رحمته الله:

(١) التسهيل (٤١/١ - ٤٢).

(٢) وممن ذهب إلى هذا الرأي الجاحظ في كتابه (نظم القرآن)، والجرجاني في (دلائل الإعجاز) والسخاوي في (جمال القراء وكمال الإقراء).

(ووجوه إعجازه كثيرة قد ذكرنا في غير هذا منها خمسة عشر وجهًا^(١)). مع أنه لم يذكر في مقدمته إلا عشرة وجوه، ولم أجد خلال التَّقْصِي لتفسيره زيادةً على ما ذكره في مقدمته.

المُظَلِّبُ الثَّلَاثُ

بعض النماذج التطبيقية ودراساتها

ذكر ابن جزري رَحِمَهُ اللهُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الأنعام: ٣٧] قوله:

(...) والمعنى: أنهم طلبوا أن يأتي النبي ﷺ بآية على نبوته، فإن قيل: فقد أتى بآية ومعجزاته كثيرة؛ فَلِمَ طَلَبُوا آيَةً؟ فالجواب من وجهين: أحدهما: أنهم لم يَعْتَدُوا بما أتى به، وكأنه لم يأت بشيء عندهم لعنادهم وجحدهم.

والآخر: أنهم إنما طلبوا آية تضطرهم إلى الإيمان من غير نظر ولا تفكير^(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ﴾ [هود: ١٣].

قال: (تحداهم أولاً بعشر سور، فلما بان عجزهم تحداهم بسورة واحدة، فقال: ﴿فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] والمماثلة المطلوبة: في فصاحته وعلومه)^(٣).

- وابن جزري رَحِمَهُ اللهُ رد القول بأن وجه الإعجاز في القرآن الكريم محصور في نوع واحد، ومن ذلك:

(٢) التسهيل (١٦/٢).

(١) التسهيل (٣٤٢/٢١).

(٣) التسهيل (١٩٠/٢). انظر: الكشاف للزمخشري (٢١٠/٢) إرشاد العقل السليم

لأبي السعود (١٩٠/٣).

عند قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨].

(عجز الخلق عن الإتيان بمثله لما تَضَمَّنَتْهُ من العلوم الإلهية، والبراهين الواضحة، والمعاني العجيبة التي لم يكن الناس يعلمونها ولا يَصِلُونَ إليها، ثم جاءت فيه على الكمال)^(١).

ثم ذكر قول الأكثرية بحصر وجه الإعجاز على بيانه وفصاحته ونظمه، ورَدُّهُ بتعدد أوجه إعجازه:

(وقال أكثر الناس: إنهم عجزوا عنه لفصاحته، وحسن نظمه. ووجوه إعجازه كثيرة قد ذكرنا في غير هذا منها خمسة عشر وجهًا)^(٢).



(١) التسهيل (٢/٣٤٢).

(٢) التسهيل (٢/٣٤٢)، وانظر: التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٦/٢٠٢).

الْفَصْلُ السَّادِسُ

تطبيقات لبعض مواضيع علوم القرآن الأخرى
لم يذكرها ابن جزي في مقدمته وأثرها في تفسيره

وفيه أربعة مباحث:

- للمَبْحَثِ الْأَوَّلِ : الرسم العثماني.
- للمَبْحَثِ الثَّانِي : الفروقات اللغوية.
- للمَبْحَثِ الثَّلَاثِ : المناسبات.
- للمَبْحَثِ الرَّابِعِ : المبهمات.

لِلْبَحْثِ الْأَوَّلِ

الرسم العثماني وأثره في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة الرسم العثماني.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراساتها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات

الرسم في اللغة: الأثر وحسن المشي، ورسم الدار: ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض، ورسم له كذا فارتسمه؛ أي: امتثله، ورسم على كذا وكذا؛ أي: كتب^(١).

وفي الاصطلاح: الوضع الذي ارتضاه الصحابة في عهد عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه^(٢).

والأصل في المكتوب أن يكون مطابقاً تماماً للمنطوق من غير زيادة ولا نقص، لكن المصاحف العثمانية خالفت هذا الأصل في عدة مواضع، وتنحصر هذه المواضع في ست قواعد، وهي:

(١) لسان العرب (٢٤٢/١٢) مادة (رسم)، ومختار الصحاح (١٠٢/١).

(٢) دراسات في علوم القرآن د. فهد الرومي (ص ٣١٥).

- الحذف.
 - الزيادة.
 - الهمز.
 - الإبدال.
 - الوصل والفصل.
 - وما فيه قراءتان فُكِّتَبَ على أحدهما.
- وهذه المواضع التي خالفت فيها الرسم القياسي.

المطلبُ الثاني

موقف ابن جزي

في مسألة الرسم العثماني

لم يذكر ابن جزي عن الرسم العثماني في مقدمته كما ذكر عن بقية علوم القرآن الأخرى، مع أن الرسم العثماني كان له أثر في تفسيره. وغاية ما ذكره في مقدمته:

(وأما نقط القرآن وشكله؛ فأوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذلك: الحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ بِأَمْرِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ؛ وزاد الحجاج تحزيه.

وقيل: أول من نقطه يحيى بن يعمر.

وقيل: أبو الأسود الدؤلي.

وأما وضع الأعراس فيه ففيل: إن الحجاج فعل ذلك.

وقيل: بل أمر به المأمون العباسي^(١).

(١) التسهيل (١/١١).

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراساتها

- عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣].

قال ابن جزي: (...) والهاء التي هي ضميرُ المفعول: للناس؛ فالمعنى: إذا كَالُوا أو وَزَنُوا لهم طعامًا أو غيره مما يُكَالُ أو يُوزَنُ: يُخْسِرُونَهُمْ حقوقهم.

وقيل: إن (هم) في كالوهم أو وزنوهم تأكيد للضمير الفاعل، وروي عن حمزة أنه كان يقف على (كالوا) و(وزنوا) ثم يبتدئ (هم) لبيان هذا المعنى، وهو ضعيف من وجهين:

أحدهما: أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في (كالوا) و(وزنوا) فدل ذلك على أن (هم) ضمير المفعول^(١).

رجح ابن جزي عدم صحة القول بأن (هم) ضمير المفعول وليس ضمير الفاعل برسم المصحف، وهو عدم وجود ألف بعد الواو.

- وعند قوله تعالى: ﴿سُقِّرْتُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ [الأعلى: ٦].

قال ابن جزي: (هذا خطاب للنبي ﷺ وعده الله أن يقرئه القرآن فلا ينساه، وفي ذلك معجزة له عليه الصلاة والسلام؛ لأنه كان أميًا لا يكتب وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عليه السلام من القرآن.

وقيل: معنى الآية كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦] فإنه ﷺ كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل خوفًا أن ينساه فضمن الله له ألا ينساه.

وقيل: فلا تنسى: نهى عن النسيان، وقد علِمَ الله أن ترك النسيان

ليس في قدرة البشر، فالمراد الأمر بتعاهده حتى لا ينساه، وهذا بعيد لإثبات الألف في ﴿تَنَسَّقَ﴾ [الأعلى: ٦] ^(١).

استبعد ابن جزى أن المراد من ﴿فَلَا﴾ [الأعلى: ٦]: النهي؛ بعلّة إثبات الألف رسمًا، وهذا مما يعرف بأثر الرسم العثماني على التفسير.



(١) التسهيل (٤/٣٦٦).

الْمَبْحَثُ الثَّانِي

الفروق اللغوية وأثرها في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة الفروق اللغوية.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

الفروق في اللغة: قال ابن فارس: (الفاء والراء والقاف أصل صحيح يدل على تمييز وتزليل بين شيئين)^(١).

ولا يخرج الفرق في اللغة عن معنى الفصل بين شيئين أو التمييز بينهما^(٢).

ويأتي معناه بالمفهوم اللغوي في القرآن الكريم فيراد منه الفصل والتمييز^(٣)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٠] وذلك لانفصال البحر: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

(١) مقاييس اللغة (٢/٣٥٠).

(٢) انظر: لسان العرب (١٠/٣٠٠)، والصاح (٤/١٥٤٠).

(٣) التبيان في تفسير غريب القرآن (ص ٨٥).

ومنه قوله تعالى: ﴿فَالْفَرْقَتِ فَزَقَا﴾ [المرسلات: ٤]؛ يعني: الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل^(١).

وفي الاصطلاح: هي المعاني الدقيقة التي يلتبسها اللغوي بين الألفاظ المتقاربة المعاني^(٢).

وعلم الفروق اللغوية من العلوم الهامة التي تعنى بإبراز الفروق اللغوية بين الألفاظ القرآنية والمعنى الدقيق لها، وأن القرآن الكريم قد اختار كل لفظة في مكانها بحيث لو استبدلت بكلمة أخرى لَتَغَيَّرَ المعنى المقصود الدقيق من الآية، ويُعْنَى بإظهار الحكمة من استخدام تلك الألفاظ في مواضعها، ويعد هذا من أهم قضايا الإعجاز البياني. وهذا مما يساعد على فهم آيات القرآن الكريم إذ لا يمكن معرفة المعنى إلا بمعرفة وبيان الفروق اللغوية الدقيقة للكلمات المترادفة^(٣).

المطلب الثاني

موقف ابن جزي

في مسألة الفروق اللغوية

لم يذكر ابن جزي شيئاً عن الفروق اللغوية في مقدمة تفسيره، ولكنه تعرض لها بصورة بارزة وواضحة في ثنايا تفسيره؛ وهو ما يدل على إدراكه لأهمية هذا العلم.

وإبرازه لها في تفسيره في مواضع عديدة أضاف ميزة إلى تفسيره، فقلَّ من يهتم بهذا من المفسرين، وهو مما يزيل اللبس في معنى اللفظة عند إبراز معاني الفروق لكل لفظة مترادفة.

(١) الجامع لأحكام القرآن (١/٣٨٧).

(٢) انظر: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني لمحمد ياس خضر (ص٦).

(٣) انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص٦).

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراساتها

- عند قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

قال ابن جزى: (وصية عامة، والفرق بين البر والتقوى: أن البر عام في فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات وفي كل ما يقرب إلى الله، والتقوى في الواجبات وترك المحرمات دون فعل المندوبات. فالبر أعم من التقوى)^(١).

- وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].

قال ابن جزى: (يعني بالعدل: فعل الواجبات، وبالإحسان: المندوبات، وذلك في حقوق الله وحقوق المخلوقين)^(٢).

- وعند قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠].

قال ابن جزى: (الفحشاء؛ يعني: الزنى، واللفظ أعم من ذلك، والمنكر هو أعم من الفحشاء؛ لأنه يعم جميع المعاصي)^(٣).

- وعند قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

قال ابن جزى: (... أن الإيمان هو التصديق بالقلب، والإسلام هو الانقياد بالنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح، فالإسلام والإيمان في هذا الموضع متباينان في المعنى...)^(٤).

(١) التسهيل (١/٣٦٣).

(٢) المصدر السابق (٢/٣٠٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق (٤/١١٤).

لِلْبَحْثِ الثَّالِثِ

المناسبات وأثرها في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلب الثاني: موقف ابن جزري في مسألة المناسبات.
- المطلب الثالث: جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراستها.

* * *

المطلب الأول

التعريفات وأهمية الموضوع

❖ أولاً: التعريفات:

المناسبة لغة: المقاربة والمشاكلة، وفلان يناسب فلاناً؛ أي: يقرب منه ويشاكله، ومنه النسب الذي هو: القريب المتصل كالأخوين وابن العم، ونحوه^(١).

واصطلاحاً: عرّفه الزركشي في البرهان بقوله: (...) وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها - والله أعلم - إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة

(١) لسان العرب (نسب) (١٤/١٣٠)، المصباح المنير (نسب) (ص ٣١٠).

والمعلول، والنظيرين^(١) والضدَّين^(٢)، ونحوه. أو التلازم الخارجي، كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيَقْوَى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المُحَكَّم المتلائم (الأجزاء)^(٣).

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

المناسبة علم شريف، تُحَزَّرُ به العقول، ويعرف به قدر القائل فيها، وتتجلى أهميته وتكمن فائدته في جعله أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.

قال الإمام الرازي: (أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيب والروابط، وقال بعض الأئمة: من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعًا، وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم، وفوائده غزيرة)^(٤).

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: (ارتباط آي القرآن بعضه ببعض حتى تكون الكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني: عِلْمٌ عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عَمِلَ فيه سورة البقرة، ثم فتح الله ﷻ لنا فيه، فلما لم نجد له حَمَلَةً، ورأينا الخَلْقَ بأوصافِ البَطَلَةِ، ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه)^(٥).

(١) النظير: المثل. انظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص ٧٠٢).

(٢) الضدان: صفتان يستحيل اجتماعهما. انظر: التعريفات للجرجاني (ص ١١٤).

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٣٥ - ٣٦).

(٤) مفاتيح الغيب (٧/ ١٢٨).

(٥) البرهان (١/ ٣٦) نقلًا من كتاب سراج المريدين.

وقال العز بن عبد السلام^(١) رَحِمَهُ اللهُ: (المناسبةُ عِلْمٌ حَسَنٌ، لَكِنْ يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يُصَانُ عن مثله حَسَنُ الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض)^(٢).

وقال البقاعي^(٣): (المقصود بالترتيب معان جليلة الوصف، بديعة الرصف، عالية الأمر، عظيمة القدر، مباحدة لمعاني الكلام على أنها منها أخذت، فسبحان من أحكمه وفصله، وغطاه وجلّاه، وبَيَّنَّه غاية البيان وأخفاه، وبذلك أيضاً يُوقَفُ على الحق من معاني آيات حار فيها المفسرون لتضييع هذا الباب من غير ارتياب... وبه يتبين لك أسرار القصص المكررات وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أدعى في تلك السورة استدلل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سَيِّقَتْ له في السورة السابقة).

ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظم

(١) هو: العز بن عبد السلام السلمي الشافعي الملقب بـ «سلطان العلماء» شيخ الإسلام، وأحد الأئمة الأعلام، ولد عام (٥٧٧هـ)، أخذ عن بهاء الدين بن عساكر، وجمال الدين الحرستاني، وأخذ عنه ابن دقيق العيد، وأبو شامة المقدسي، له من المؤلفات: القواعد الكبرى، وتفسير القرآن العظيم. توفي عام (٦٦٠هـ). انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢٣٥/١٣)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة (١٣٧/٢).

(٢) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص ٢٢١).

(٣) هو: إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي المعروف بـ (برهان الدين) مفسر أديب ولد عام (٨٠٩هـ) له من المؤلفات: نظم الدرر، ومصاعد النظر. توفي عام (٨٨٥هـ). انظر: البدر الطالع للشوكاني (١٩/١)، الضوء اللامع للسخاوي (١٠١/١ - ١١١).

بالتقديم والتأخير، والإيجاز والتطويل، مع أنه لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة، وعلى قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها^(١).

أول من أظهر علم المناسبة:

قال أبو الحسن الشهرابي^(٢): (أول من أظهر علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو: الشيخ أبو بكر النيسابوري^(٣)، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية: لِمَ جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة^(٤)).

المطلب الثاني

موقف ابن جرير

في مسألة المناسبات

لم يعرج ابن جرير رحمته الله على ذكر المناسبة في مقدمة تفسيره - رغم ذكره لكثير من أنواع علوم القرآن - أو المنهج الذي سيتخذه في تناولها،

(١) نظم الدرر (١٢/١ - ١٤).

(٢) هو: علي بن محمد بن محمد بن وضاح البغدادي أبو الحسن الشهرابي الفقيه الحنبلي الزاهد، ولد سنة (٥٩٠هـ) وتوفي سنة (٦٧١هـ). انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ١٤٦٣)، بغية الوعاة (٢/ ٢٠٠).

(٣) هو: أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري الفقيه الشافعي الحافظ، رحل في طلب العلم إلى العراق، والشام، ومصر، سكن بغداد، وصار إماماً للشافعية بالعراق توفي سنة (٣٢٤هـ).

انظر: اللباب (٣/ ٢٥٢) طبقات القراء للذهبي (١/ ٤٤٦).

(٤) البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٦).

ومن خلال البحث والاستقراء تبين أن الإمام ابن جزى كان من الْمُقْلِينَ في تناولها والإلمام بها.

هذا وقد تكلم ابن جزى رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره على بعض المناسبات بين الآيات والصور فكان رَحِمَهُ اللهُ يُجَلِّيها للقارئ، ويكشف عن غُورِها بكلِّ مهارة وذكاء.

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تمكن ابن جزى رَحِمَهُ اللهُ في هذا العلم؛ وذلك لأنَّ أشهر مؤلف في هذا الفن لشيخه ابن الزبير الغرناطي، وتأثر التلميذ بشيخه كان واضحاً جلياً.

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراساتها

وبعد أن عرفنا المناسبة فيما تقدم يحسن بنا عرض بعض النماذج مما ذكره ابن جزى رَحِمَهُ اللهُ.

قال تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَا تَهُمَّ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

قال ابن جزى رَحِمَهُ اللهُ: (...) ما مناسبة قوله: ﴿فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لقوله: ﴿وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ﴾ والأليق مع ذكر المغفرة أن لو قيل: فإنك أنت الغفور الرحيم؟ والجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: يظهر لي أنه لما قصد التسليم لله والتعظيم له كان قوله: ﴿فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أليق، فإن الحكمة تقتضي التسليم له، والعزة تقتضي التعظيم له، فإن العزيز هو الذي يفعل ما يريد ولا يغلبه غيره، ولا يمتنع عليه شيء أراده، فاقتضى الكلام تفويض الأمر إلى الله في المغفرة لهم أو عدم المغفرة؛ لأنه قادر على كلا الأمرين؛ لعِزَّتِهِ، وأيهما فعل فهو جميل لحكمته.

الجواب الثاني: قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: إنما لم يُقَل: الغفور الرحيم؛ لثلا يكون في ذلك تعريض في طلب المغفرة لهم، فاقصر على التسليم والتفويض دون الطلب؛ إذ لا تُطَلَبُ المغفرة للكفار. وهذا قريب من قولنا.

الثالث: حكى شيخنا الخطيب أبو عبد الله بن رشيد عن شيخه إمام البلغاء في وقته حازم بن حازم^(١) أنه كان يقف على قوله: ﴿وَأَنْ تَغْفِرَ لَهُمْ﴾ [المائدة: ١١٨] ويجعل ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ [المائدة: ١١٨] استثناءً، وجواب إن في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] كأنه قال: إن تعذبهم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك على كل حال^{(٢)(٣)}.

وذكر عند قوله تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدًا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

قوله: (...) فإن قيل: ما المناسبة بين أمر الله لسيدنا محمد ﷺ بالصبر على أقوال الكفار، وبين أمره له بذكر داود؟ فالجواب عندي: أن ذكر داود ومن بعده من الأنبياء في هذه السورة فيه تسلية للنبي ﷺ ووعد له بالنصر، وتفريج الكرب، وإعانة له على ما أمر به من الصبر، وذلك أن الله ذكر ما أنعم به على داود من تسخير الطير والجبال وشدة ملكه، وإعطائه الحكمة وفضل الخطاب، ثم الخاتمة له في الآخرة بالزلفى وحسن المآب، فكأنه يقول: يا محمد كما أنعمنا على داود بهذه النعم

(١) هو: حازم بن محمد بن حسن الأنصاري القرطاجني شيخ البلاغة والأدب، حبر البلغاء، وبحر الأدباء، ولد عام (٦٠٨هـ)، له من المؤلفات: كتاب منهاج البلغاء، وكتاب القوافي. توفي عام (٦٨٤هـ). انظر: بغية الوعاة للسيوطي (١/٤٩١)، نفح الطيب للمقري (٢/٥٨٤).

(٢) التسهيل (١/٤١٣).

(٣) انظر: الكشف للزمخشري (١/٣٧٥).

كذلك ننعم عليك فاصبر ولا تحزن على ما يقولون، ثم ذكر ما أعطى سليمان من الملك العظيم وتسخير الريح والجن والخاتمة بالزلفى وحسن المآب، ثم ذكر بعد ذلك من الأنبياء، والمقصد ذكر الإنعام عليهم لتقوية قلب النبي ﷺ، وأيضاً فإن داود وسليمان وأيوب أصابتهن شدائد ثم فرجها الله عنهم، وأعقبها بالخير العظيم، فأمر سيدنا محمد ﷺ بذكرهم ليعلمه أنه يفرج عنه ما يلقي من إذاية قومه، ويعقبها بالنصر والظهور عليهم، فالمناسبة في ذلك ظاهرة^(١).

ويمضي ابن جزى رحمه الله في نفس السياق فيقول عند قوله تعالى:
﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٦]:

(فإن قيل: لم ختم القرآن بالمعوذتين وما الحكمة في ذلك؟
فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده، والنعم مظنة الحسد، فختم بما يطفى الحسد من الاستعاذة^(٢).

الثاني: يظهر لي أن المعوذتين ختم بهما لأن رسول الله ﷺ قال فيهما: «أُنزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يَرِ مِثْلُهُنَّ قَطُّ»^(٣).

كما قال في فاتحة الكتاب: «لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا»^(٤).

(١) التسهيل (٣/٣٣٥). انظر: البرهان لابن الزبير (ص ١٥٥)، الكشاف (٣/٣١٩).

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن (ص ٢٢٥).

(٣) الحديث أخرجه: مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين رقم (٢٦٤).

(٤) الحديث أخرجه: مالك بن أنس في الموطأ، كتاب الصلاة، باب: ما جاء في أم القرآن، رقم (٢٢٢).

فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها، واختتم بسورتين لم ير مثلهما، ليجمع حسن الافتتاح والاختتام، ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما يُنظرُ فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها.

الوجه الثالث: يظهر لي أيضًا أنه لما أمر القارئ أن يفتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القراءة، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء، وليكون القارئ محفوظًا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره، وبالله التوفيق^(١).

وعند قوله تعالى: ﴿فَلِئِمَّا حَسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

قال: (...) وانظر كيف افتتح السورة بفلاح المؤمنين وختمها بعدم فلاح الكافرين لِيُبَيِّنَ الْبُؤْنَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ^(٢).



(١) التسهيل (٤/٤٤٥)، وساق هذا الكلام كله الإمام السيوطي في معترك الأقران (١/٧٧ - ٧٨) دون عزو.
(٢) التسهيل (٣/١٠٧).

الْبَحْثُ الرَّابِعُ

المبهمات وأثرها في تفسيره

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلبُ الأوَّلُ : التعريفات وأهمية الموضوع.
- المطلبُ الثاني : موقف ابن جزري في مسألة المبهمات.
- المطلبُ الثالثُ : جمع بعض الأمثلة التطبيقية ودراساتها.

* * *

المطلبُ الأوَّلُ

التعريفات وأهمية الموضوع

✽ أولاً: التعريفات:

المبهم لغة: الباء، والهاء، والميم، أن يبقى الشيء لا يُعرَفَ المأتى إليه^(١).

يقال: هذا أمر مُبْهِمٌ، وطريقٌ مُبْهِمٌ: إذا كان خفياً لا يستبين.

واستبهم الأمر: إذا استغلق فهو مُسْتَبْهِمٌ.

وفي حديث علي: (كان إذا نزل به إحدى المُبْهِمَاتِ كَشَفَهَا)، يريد مسألة معضلة مشكلة شاقة سميت مبهمة؛ لأنها أبهمت عن البيان فلم يُجعلَ عليها دليل.

(١) معجم مقاييس اللغة (بهم) (١/٣١١).

وقال ابن السكيت^(١): (أَبْهَمَ عَلَيَّ الْأَمْرَ: إِذَا لَمْ يَجْعَلْ لَهُ وَجْهًا أَعْرَفَهُ)^(٢).

وإبهام الأمر أن يشتبه فلا يعرف وجهه.

واصطلاحًا: كل ما ورد في القرآن غير مسمى باسمه الذي يعرف به من إنسان أو غيره^(٣).

أسباب الإبهام في القرآن:

للإبهام في القرآن الكريم أسباب:

- ١ - الاستغناء ببيانه في موضع آخر.
- ٢ - أن يتعين لاشتهاره.
- ٣ - قصد الستر عليه ليكون أبلغ في استعطافه.
- ٤ - ألا يكون في تعيينه كبير فائدة.
- ٥ - التنبيه على العموم، وأنه غير خاص؛ بخلاف ما لو عُيِّنَ.
- ٦ - تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم.
- ٧ - تحقيره بالوصف الناقص^(٤).

(١) يعقوب بن السُّكَيْت، إمام في اللغة والأدب، ولد عام (١٨٦هـ) وتعلم ببغداد، أخذ عن: أبي عمرو الشيباني والفراء والأنثرم وغيرهم، كما أخذ عنه: أبو سعيد السكري وأبو عكرمة الضبي وميمون بن هارون الكاتب، له مؤلفات عديدة منها: «إصلاح المنطق» و«الألفاظ» و«القلب والإبدال» و«الأمثال» وغيرها. توفي سنة (٢٤٤هـ). انظر: الفهرست لابن النديم (ص ٧٢ - ٧٣)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٠٩/٢).

(٢) لسان العرب (بهم) (١/٦٤٤).

(٣) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/٢١٥ - ٢١٦)، وقواعد التفسير للسبت (٢/٢٧٩).

(٤) انظر: البرهان للزركشي (١/١٥٥)، والإتقان للسيوطي (٤/٧٩).

❖ ثانيًا: أهمية الموضوع:

علم المبهمات علم شريف اعتنى به كثير من السلف. أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَكُنْتُ سَنَةً أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عَمْرَ عَنِ الْمَرَاتِينِ اللَّتَيْنِ تَظَاهَرَتَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وهذا الحديث أصل في علم المبهمات، وهو دليل على شرف هذا العلم وأن الاعتناء به حسن ومعرفة فضل.

وقال ابن عسكر^(١): (وإن من أشرف علومه، وأطرف مفهومه: عِلْمُ ما أبهم فيه من الأسماء الذين نزلت فيهم الآيات، وكانوا سببًا لما فيه من الأخبار والحكايات).

ومما يزيد في أهميته أن مرجعه النقل المحض ولا مجال للرأي فيه والقول بالاجتهاد، وإنما يرجع فيه إلى قول النبي ﷺ وأصحابه الآخذين عنه، والتابعين الآخذين عن الصحابة رضوان الله عليهم.

ولصلة هذا العلم بعلوم كتاب الله كانت النفوس إلى معرفته متشوقة، وبكل ما كان من علوم الكتاب متحلية ومتشرفة، فأهل الأدب يفرحون بمعرفة شاعرٍ أبهمَ اسمه في كتاب، وكذلك أهل كل صناعة يُعَنِّونَ بأسماء أهل صناعتهم، ويرونه من نفيس بضاعتهم.

فالقارئون لكتاب الله العزيز أولى أن يتنافسوا في معرفة ما أبهم فيه ويتحلوا بعلم ذلك عند المذاكرة، وكل ذلك في حدود المنقول الصحيح.

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن عبيد الله ابن عسكر الفسائي المالقي، ولد سنة (٥٨٤هـ) أخذ عن عدة شيوخ بالأندلس، وتولى قضاء مالقة، كان مقرئًا، نحويًا، توفي سنة (٦٣٦هـ)، له مؤلفات جلييلة منها: التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام للسهيلى، والمشرح الرُّويّ، في الزيادة على غريبى الهروي. انظر: الذيل والتكملة للمراكشي (٤٤٩/٦).

والذي يظهر للمتأمل في هذا الموضوع أن المبهمات في القرآن الكريم يجب ألا يُرهِقَ النَّاسُ أَنْفُسَهُمْ فِي تَتَبُعِهَا، وَلَا يَتَكَلَّفُوا بِالْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ وَرَاءَهَا، فَلَوْ كَانَ فِيهَا خَيْرٌ لَنَا فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ لَذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا وَبَيَّنَّهُ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ الْعَلِيمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ.

المطلب الثاني

موقف ابن جزي في مسألة المبهمات

نشر ابن جزي رحمته الله جملة من علم المبهمات أثناء تفسيره وإن كان رحمته الله قد جعل كتاب السهيلي عهدته في هذا الباب، وإن لم يسلم له في كل المواضع التي ذكرها بل تعقبه في عدة مواضع. ومن خلال ما ذكره ابن جزي رحمته الله نستطيع أن نلخص موقفه في المبهمات في النقاط التالية:

- توسع في ذكر مبهمات دون مستند منقول صحيح.
- ردَّ تفسير مبهمات أحياناً ورجَّح خلافه؛ بناءً على قرائن أخرى قوية.
- وفيما يلي بعض ما تناوله في هذا الموضوع.

المطلب الثالث

بعض النماذج التطبيقية ودراستها

ذكر ابن جزي رحمته الله عند قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]. فقال: (نزلت هذه الآية وما بعدها في قصة طُعْمَةَ بْنِ الْأُبَيْرِقِ إِذْ سَرَقَ طَعَامًا وَسِلَاحًا لِبَعْضِ الْأَنْصَارِ، وَجَاءَ قَوْمُهُ إِلَى النَّبِيِّ صلوات الله عليه وَقَالُوا: إِنَّهُ بَرِيءٌ وَنَسَبُوا السَّرْقَةَ إِلَى غَيْرِهِ، وَظَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه أَنَّهُمْ صَادِقُونَ،

فجادَلْ عنهم ليدفع ما نسب إليهم حتى نزل القرآن فافتضحوا، فالخائنون في الآية: هم السراق بنو الأبيرق، وقال السهيلي: هم بشر وبشير ومبشر وأسيد^(١).

ومعناها: لا تكن لأجل الخائنين مخاصماً لغيرهم^(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ [المائدة: ٢٣].

قال: ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾: هما يوشع وكالب^(٣).

وعند قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

فقال: (أساطير الأولين؛ أي: قصصهم وأخبارهم، وهو جمع أسطار وأسطورة، قال السهيلي: حيثما ورد في القرآن أساطير الأولين فإن قائلها هو النضر بن الحارث، وكان قد دخل بلد فارس وتعلم أخبار ملوكهم فكان يقول: حديثي أحسن من حديث محمدا)^{(٤)(٥)}.

وعند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦] فقال: (الضمير في ﴿وَجَعَلُوا﴾ لكفار العرب، قال السهيلي: هم حي من خولان يقال لهم: الأديم، كانوا يجعلون من زروعهم وثمارهم ومن أنعامهم نصيباً لله ونصيباً لأصنامهم، ومعنى ﴿ذَرَأَ﴾: خلق وأنشأ، ففي ذلك رد عليهم؛ لأن الله الذي خلقها وذرأها هو مالکها لا رب غيره)^{(٦)(٧)}.

(١) التعريف والإعلام (ص ٤١). (٢) التسهيل (١/ ١٧١).

(٣) التسهيل (١/ ٣٧٤). انظر: التعريف والإعلام للسهيلي (ص ٤٦).

(٤) التعريف والإعلام (ص ٥١). (٥) التسهيل (٢/ ١٢).

(٦) التعريف والإعلام (ص ٥٤).

(٧) التسهيل (٢/ ٤٢).

وعند قوله تعالى: ﴿فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] فقال: (يعني: الذين يقرءون التوراة والإنجيل).
قال السهيلي: هم عبد الله بن سلام، ومُخِيرِقٌ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنَ
الأحبار، وهذا بعيد؛ لأن الآية مكية وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة، فحمل
الآية على الإطلاق أولى^{(١)(٢)}.



(١) التعريف والإعلام (ص ٧٢).
(٢) التسهيل (١/ ١٨٣).

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن وآله؛ وبَعْدُ:

فأحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات والشكر له على توفيقه وإعانتة لي على إتمام هذا البحث وإنجازه، وما كان ليتم لولا توفيقه وتسديده، فله الحمد أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

ولقد قضيت في هذا البحث الذي يدور حول الإمام ابن جزي الكلبي رحمته الله في مواضيع علوم القرآن الكريم من خلال تفسيره «التسهيل لعلوم التنزيل» ثلاث سنوات تقريبًا، ويضاف إليها ثلاث سنوات عشتُ فيها مع هذا الإمام وتفسيره في مرحلة الماجستير أيضًا من خلال ترجيحاته التفسيرية رافقته فيها مرافقة المتأمل المستفيد الناقد.

وبعد دراسة مستفيضة وقراءة في تلك المُدَّة غير القصيرة لهذا الكتاب؛ اتضح أن هذا الكتاب من الكتب المعتمدة في التفسير، إذ تميز بسهولة العبارة، والاختصار غير المخل، والفوائد المتنوعة المبنية على أساس علمي متين، ومؤلفه رحمته الله ذو عبارات قليلة محددة الهدف تنم عن موسوعية في فنون شتى، وظَّفَهَا خَيْرَ توظيف في تبين معاني كلام الله تعالى معتمدًا على مصادر متينة ممن سبقه من أهل العلم المتقنين المتفنيين، إضافة إلى ما يمتلكه من ثقة في النفس واستقلالية في الرأي وقوة شخصية، وهذا مما يُمكنُ مَنْ سَبَرَ أغوار هذا التفسير أن يتحصل على ملكة تفسيرية متميزة.

ولأنَّ النفس البشرية يعترها نقصان فابن جزي رَحِمَهُ اللهُ لم يوفق في عدد من المواضع، ويبدو ذلك راجعاً ليس لقلة علم، وإنما للظروف التي تحيط به مما تؤثر على أدائه وإلقائه.

وأما النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث فيمكن تلخيصها في الآتي:

أولاً: أجاد ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ في عرض مادة كتابه العلمية وقدرته على التوفيق بين الأقوال وتمحيصها ببيان صحيحها من سقيمها.

ثانياً: انفراده بمقدمات علمية صدر بها كتابه تعد ذات قيمة علمية كبيرة لما اشتملت عليه من أنواع علوم القرآن وفوائدها.

ثالثاً: التزام ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ بما شرطه على نفسه بتطبيق القواعد التي قررها في مسائل علوم القرآن.

رابعاً: يظهر تأثر ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ بابن عطية والزمخشري في كتابه، وإن كان لا يأخذ أقوالهما دون مناقشة أو تصحيح لما يحتاج منها إلى ذلك.

خامساً: كان ابن جزي رَحِمَهُ اللهُ فقيهاً مالكيًا بارعاً، بيد أنه لا يتعصب إليه تعصباً جامداً؛ بل كان منفتحاً على المذاهب الأخرى، فإنه يناقش المسألة من المسائل التي يكون قد وقع فيها خلاف بين الأئمة ويرجح ما لاح له دليله. كما يظهر ذلك في تفسيره وغيره من مصنفاته.

سادساً: أفنى ابن جزي حياته في سبيل طلب العلم وتعليمه، متصدياً لمختلف الوظائف الدينية - كالوعظ والإفتاء والخطابة والإمامة والتصنيف والتأليف - وختمها بالجهاد في سبيل الله رغبة منه في نيل الشهادة رَحِمَهُ اللهُ.

سابعاً: حرص ابن جزي على تنشئة أبنائه تنشئة علمية متينة منذ

الصغر، وأولى هذا الأمر عناية واهتمامًا، وفي سبب تأليفه لكتاب في الحديث، وآخر في أصول الفقه وإهدائه لبعض أبنائه دلالة واضحة.

هذا، وأما التَّوَصِيَّاتُ؛ فهي ناتجة عن تجربتي ورحلتي مع ابن جزي رحمته الله في كتابه، وتتلخص فيما يلي:

١ - أوصي الطلبة المقبلين على الدراسات العليا في الماجستير والدكتوراه أن يولوا اتجاهاتهم وبحوثهم نحو استخراج علوم القرآن من كتب المفسرين وعرضها عرضًا علميًا؛ ليستفيد منها المختصون وغيرهم، فإن بقاءها في بطون كتب التفسير يؤخر الاستفادة منها أو يقللها والله أعلم.

٢ - إعادة طباعة كتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» وأن يحقق تحقيقًا علميًا نافعًا، ويُعَمَلَ على نشره بين عامة الناس، وطلاب العلم على وجه الخصوص. فالطباعات الموجودة حاليًا مليئة بالأخطاء، وبعضها يحيل المعنى، وبعض المواضع يلاحظ فيها النص غير مكتمل.

فالكتاب على ما يحتويه من قيمة علمية، وإيجاز العبارة، وصغر حجمه، مما جعله سهل القراءة والفهم، فهو بحاجة إلى إقامة مشروع يُتَبَنَّى من إحدى الجهات العلمية لتصحيح عباراته، وتخراج أحاديثه، والتعليق والتوضيح في بعض المواضع. وبالجمله فالكتاب مُعَيَّن على تدبر القرآن.

٣ - إبراز شخصية الإمام ابن جزي رحمته الله بصورة أوسع، والاستفادة من سيرته وتراثه، فقد تنوعت مؤلفاته في عدة فنون، وخاض ميدان الدعوة من خلال الخطابة والإمامة والتدريس والإفتاء، ومشاركته في ساحات القتال إذ قد مات شهيدًا في سبيل الله في إحدى المعارك.

٤ - وأقترح على الجهات التي تُعنى بجوانب تربية الأبناء:

الاستفادة من جانب التربية والتنشئة الصالحة التي عمل بها الإمام ابن جزى مع أبنائه، فقد كانت له طريقة مثلى في التعامل مع أبنائه من خلال زرع الثقة في نفوسهم، وشحذ الهمة، والوصول إلى القمة. ويتضح هذا من خلال إهدائهم مؤلفات قام بتأليفها، فعند تأليفه لكتاب «الأنوار السنية، في الألفاظ السنية» قال في خطبة الكتاب:

(... أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ عِلْمَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ هُوَ الْهُدَى وَالنُّورُ وَالشِّفَاءُ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَالْوَسِيلَةُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ النُّشُورِ، وَلَمَّا يَسَّرَ اللَّهُ عَلَى ابْنِي أَحْمَدَ الْمَكْنَى أَبَا بَكْرٍ - أَبْلَغَ اللَّهُ فِيهِ الْأَمَلَ، وَجَعَلَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ - حَفِظَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ؛ أَحَبَّبْتُ أَنْ يَفُوزَ بِحُظٍّ مِنْ حِفْظِ حَدِيثِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ، فَجُمَعَتْ لَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ جُمْلَةٌ صَالِحَةٌ مِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...).

وقال في خطبة كتابه «الوصول إلى علم الأصول»: (... ولذا أَحَبَبْتُ أَنْ يَضْرِبَ ابْنِي مُحَمَّدٌ - أَسْعَدَهُ اللَّهُ - فِي هَذَا الْعِلْمِ بِسَهْمٍ، فَصَنَفْتُ هَذَا الْكِتَابَ بِرِسْمِهِ، وَوَسَمْتُهُ بِوَسْمِهِ؛ لِيَنْشَطَ لِدَرْسِهِ وَفَهْمِهِ...). وكان ثمرة هذه التربية أَنْ خَلَفَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَبْنَاءِ النُّجَبَاءِ مِمَّنْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ وَالكِتَابَةَ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى.

وبعد، فهذه أهم النتائج والتوصيات التي ظهرت لي من خلال هذا البحث، أسأل الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها، وأن يغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين، إنه وليّ ذلك والقادر عليه. وصلى الله على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.



فَهْرُسُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاJِعِ

* القرآن الكريم (جلّ منزله وعلا).

(١)

- ١ - الإبانة: لمكي القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط. المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ، ط٣.
- ٢ - ابن جزري ومنهجه في التفسير: لعلّي محمد الزبيري، ط. دار القلم، دمشق، سوريا، ١٤٠٧هـ، ط١.
- ٣ - ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان: ل. د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط. دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٤١١هـ.
- ٤ - أبو علي الفارسي حياته ومكانته بين أئمة التفسير وآثاره في القراءات والنحو: ل. د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ط. دار المطبوعات الحديثة، جدة، ١٤٢٤هـ.
- ٥ - الانتقان في علوم القرآن: لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، ط. مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.
- ٦ - الإحاطة في أخبار غرناطة: للسان الدين ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ)، تحقيق: محمد عنان، ط. مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٧هـ.
- ٧ - أحكام القرآن: لابن الفرس الأندلسي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: طه بو سريح وزملائه، ط. دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ، ط١.
- ٨ - أحكام القرآن: لأبي بكر محمد بن العربي (ت٥٤٣هـ)، تحقيق: علي البجاوي، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ.
- ٩ - الإحكام في أصول الأحكام: لعلّي بن حزم الظاهري (ت٤٥٦هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، ط. دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٠٤هـ، ط١.
- ١٠ - أخبار القضاة: لوكيح محمد بن خلف، طبع في القاهرة بمصر عام ١٣٦٦هـ، ويقع في ثلاثة مجلدات.

- ١١ - أخبار النحويين البصريين: لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، ط. دار الاعتصام، القاهرة - مصر، ١٤٠٥هـ، ط ١.
- ١٢ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ١٣ - إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: محمد سعيد البدري، ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ، ط ٤.
- ١٤ - أساس البلاغة: لمحمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرحيم محمود، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٥ - الإسرائيليات في التفسير والحديث: لمحمد حسين الذهبي (ت ١٣٩٧هـ)، ط. مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، ١٤٢٥هـ، ط ٥.
- ١٦ - الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز: للعز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق: رمزي سعد الدين دمشقية، ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ، ط ١.
- ١٧ - الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الله التركي، ط. دار هجر، القاهرة - مصر، ١٤٢٩هـ، ط ١.
- ١٨ - أصول في التفسير: لمحمد صالح العثيمين (ت ١٤١٦هـ)، ط. دار ابن حزم، القاهرة - مصر، ١٤٣٠هـ، ط ١.
- ١٩ - أصول الإمام البزدوي (ت ٤٨٢هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ، ط ٢.
- ٢٠ - أصول السرخسي، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٢١ - الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار: لمحمد بن موسى الحازمي (ت ٥٨٤هـ)، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، ط. مكتبة عاطف، القاهرة - مصر.
- ٢٢ - إعراب القرآن: لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: زهير غازي زاهد، ط. عالم الكتب، الرياض، ١٤٠٥هـ، ط ٢.
- ٢٣ - إعراب القراءات الشواذ: لأبي البقاء العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، ط. عالم الكتب، الرياض، ١٤٣١هـ، ط ٢.

- ٢٤ - الأعلام: لخير الدين الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، ط. دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٩٨٠م، ط ٥.
- ٢٥ - الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء: لعبد الله بن محمد النكزاوي (ت٦٨٣هـ)، تحقيق: مسعود أحمد إلياس، رسالة جامعية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية ١٤١٣هـ.
- ٢٦ - الإكسير في علم التفسير: لسليمان بن عبد القوي الطوفي (ت٧١٦هـ)، تحقيق: عبد القادر حسين، ط. مكتبة الآداب، القاهرة - مصر.
- ٢٧ - أمالي ابن الشجرى: لهبة الله ابن علي الشجري (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي، ط. مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر.
- ٢٨ - إنباه الرواة على أنباه النحاة: لجمال الدين القفطي (ت٦٢٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، ١٤٠٦هـ، ط ١.
- ٢٩ - الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: لمكي القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، ط. دار المنارة، جدة، ١٤٠٦، ط ١.
- ٣٠ - إيضاح الوقف والابتداء: لأبي بكر الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: محيي الدين رمضان، ط. مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٠هـ.
- (ب)
- ٣١ - البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: عرفات حسونة، ط. المكتبة التجارية، مكة المكرمة.
- ٣٢ - بحوث في أصول التفسير ومناهجه: لفهد بن عبد الرحمن الرومي، ط. فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٨هـ، ط ٨.
- ٣٣ - البداية والنهاية: لعلماد الدين ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، ط. مكتبة المعارف، دار ابن حزم، بيروت - لبنان.
- ٣٤ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، ط. مطبعة السعادة، القاهرة - مصر، ١٣٤٨هـ، ط ١.
- ٣٥ - البديع: لعبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ)، بعناية إفناطوس كراتشوفسكي، ط. مكتبة المثنى، بغداد - العراق، ١٣٩٩هـ، ط ٢.
- ٣٦ - برنامج المجاري: لمحمد المجاري الأندلسي (ت٨٦٢هـ)، تحقيق: محمد أبو الأجفان، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٩٨٢م، ط ١.

- ٣٧ - البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٣٨ - البرهان في تناسب سور القرآن: لابن الزبير الشقي (ت٧٠٨هـ)، تحقيق: د. سعيد بن جمعة الفلاح، ط. دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٨هـ، ط١.
- ٣٩ - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، ط. المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
- ٤٠ - بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس: لأحمد بن يحيى الضبي (ت٥٩٩هـ)، ط. مطبعة مدريد، ١٨٨٤م.
- ٤١ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. المكتبة العصرية، صيدا - لبنان.
- ٤٢ - بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذاهن والهائجس: لابن عبد البر (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: محمد مرسى الخولي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٤٣ - البيان والتبيين: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط. دار الجيل، بيروت - لبنان.
- ٤٤ - البيان في عد آي القرآن: لأبي عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ط. مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت، ١٤١٤هـ، ط١.
- ٤٥ - البيان القصصي: لمحمد عويضين، بدون.

(ت)

- ٤٦ - تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام: لشمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ط. مكتبة القدسي، القاهرة - مصر.
- ٤٧ - التاريخ الصغير: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ، ط١.
- ٤٨ - تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا: لأبي الحسن علي بن عبد الله النباهي (القرن ٨هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين الهواري، ط. المكتبة العصرية، صيدا - لبنان، ١٤٢٦هـ، ط١.

- ٤٩ - تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٥٠ - التبيان في آداب حملة القرآن: لأبي زكريا يحيى النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: محمد الحجار، ط. دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ، ط٣.
- ٥١ - التبيان في إعراب القرآن: لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٠هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ط. دار الحديث، القاهرة - مصر.
- ٥٢ - التبيان في تفسير غريب القرآن: لشهاب الدين ابن الهاشم (ت٨١٥هـ)، تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي محمد، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٣م، ط١.
- ٥٣ - تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري: لأبي القاسم بن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٥٤ - التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، ط. دار سحنون، تونس.
- ٥٥ - تذكرة الحفاظ: لأبي عبد الله الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٥٦ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)، تحقيق: أحمد بكير محمود، ط. دار الحياة، بيروت - لبنان، ١٣٨٧هـ.
- ٥٧ - التسهيل لعلوم التنزيل: لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ)، تحقيق: رضا فرج الهمامي، ط. المكتبة العصرية، صيدا - لبنان، ١٤٣١هـ. وطبعة دار الضياء، الكويت - ١٤٣٠هـ، تحقيق: محمد سيدي محمد مولاي.
- ٥٨ - التعريفات: لعلي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط. دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ.
- ٥٩ - التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام: لعبد الرحمن السهيلي (ت٥٨١هـ)، تحقيق: هشام عياش، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٩٨٨م، ط١.
- ٦٠ - التفسير والمفسرون: لمحمد حسين الذهبي (ت١٣٩٧هـ)، ط. دار الكتب الحديثة، القاهرة - مصر، ١٣٩٦هـ، ط٢.

- ٦١ - تفسير القرآن العظيم: لابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ، ط ١.
- ٦٢ - تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط. مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ، ط ١.
- ٦٣ - تفسير القرآن: لابن المنذر (ت ٣١٩هـ)، تحقيق: سعد محمد السعد، ط. دار المآثر، المدينة، ١٤٢٣هـ، ط ١.
- ٦٤ - تفسير القرآن: لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، ط. مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٨٩م.
- ٦٥ - تفسير القرآن: لأبي الليث السمرقندي (ت ٣٧٣هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وزملائه، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٣م.
- ٦٦ - التفسير الكبير: لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، ط. المطبعة البهية، القاهرة - مصر.
- ٦٧ - تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٩٨هـ.
- ٦٨ - تقريب التهذيب: لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل مرشد، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ، ط ١.
- ٦٩ - تقريب الوصول إلى علم الأصول: لمحمد بن أحمد بن جزى الكلبي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: د. محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي، ١٤٢٣هـ، ط ٢.
- ٧٠ - التكملة لكتاب الصلة: لابن الأَبَّار القُضَاعِي (ت ٦٥٨هـ)، ط. مطبعة روخس، مدريد - أسبانيا، ١٨٨٧م.
- ٧١ - تلخيص المفتاح مع شرح المختصر: للفتازاني (ت ٧٩١هـ)، ط. دار الحكمة، إيران.
- ٧٢ - تنبيه الألباب على فضائل الإعراب: لابن السراج الشنتريني (ت ٥٤٠هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح الحموز، ط. دار عمار، عمان - الأردن، ١٤١٦هـ، ط ١.
- ٧٣ - تهذيب اللغة: لأبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط. دار الصادق. وطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ، تعليق: عمر سلامي وعبد الكريم حامد.

- (ج)

- ٧٨ - جامع البيان عن تأويل آيات القرآن: لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمود شاكر، أحمد شاكر، ط. دار المعارف، القاهرة - مصر، ١٣٧٤هـ، ط١. وطبعة دار ابن حزم، بيروت، وطبعة دار الإعلام. الأردن.
- ٧٩ - جامع بيان العلم وفضله: لابن عبد البر القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، ط. مؤسسة الريان ودار ابن حزم، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ، ط١.
- ٨٠ - الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٢٧هـ، ط١.
- ٨١ - جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس: لمحمد بن عبد الله الحميدي (ت٤٨٨هـ)، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ط. مكتبة الخانجي، مصر.
- ٨٢ - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: لأحمد بن إبراهيم الهاشمي (ت١٩٤٣م)، تحقيق: د. محمد التونجي، ط. مؤسسة المعارف، بيروت - لبنان.
- ٨٣ - جواهر الألفاظ: لأبي الفرج البغدادي (ت٣٣٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. المكتبة العلمية.
- ٨٤ - الجواهر المضية في طبقات الحنفية: لمحيي الدين القرشي (ت٧٧٥هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط. دار العلوم، الرياض، ١٣٩٨هـ، ط١.

(ح)

- ٨٥ - الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: لزكريا محمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ١.
- ٨٦ - الحدود في الأصول: للباجي (ت ٤٧٤هـ)، تحقيق: نزيه حماد، ط. دار الآفاق العربية، القاهرة - مصر، ١٤٢٠هـ، ط ١.

(خ)

- ٨٧ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: لعبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط. مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ١٤١٨هـ، ط ٤.
- ٨٨ - الخصائص: لابن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، ط الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط ٣.
- ٨٩ - دراسات في علوم القرآن الكريم: لفهد الرومي، ط. مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٤هـ، ط ١٢.

(د)

- ٩٠ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط. دار هجر، القاهرة - مصر، ١٤٢٤هـ، ط ١.
- ٩١ - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، ط. دار القلم، دمشق - سوريا، ١٤٢٤هـ، ط ٢.
- ٩٢ - الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد: لمجير الدين العليمي (ت ٥٢٨هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين، ط. مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ، ط ١.
- ٩٣ - الدر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، ط. دار الكتب الحديثة، مصر، ١٩٦٦م.
- ٩٤ - الديباج المذهب: لإبراهيم بن فرحون المالكي (ت ٧٩٩هـ)، تحقيق: مأمون الجنان، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ، ط ١.
- ٩٥ - ديوان حسان بن ثابت الأنصاري (ت ٥٤هـ)، تحقيق: د. وليد عرفات، ط. دار صادر، بيروت - لبنان، ١٩٧٤م.

- ٩٦ - ديوان المتنبي مع التبيان (ت٣٥٤هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وزملائه، ط. مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٩١هـ.
- ٩٧ - ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعبيد، طبع في بغداد عام ١٩٦٥م.
- ٩٨ - دلائل الإعجاز: لعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧٠هـ)، تحقيق: محمود شاكر، ط. مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ١٤١٠هـ، ط٢ وطبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ، علق على حواشيه: السيد محمد رشيد رضا.
- ٩٩ - دلائل النبوة: للبيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلنجي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ، ط١.

(ر)

- ١٠٠ - الرسالة: للإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٠١ - رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب: لتاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وزميله، ط. دار عالم الكتب، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ، ط١.
- ١٠٢ - روضة الناظر وجنة المناظر: لموفق الدين ابن قدامة (ت٦٢٠هـ)، تحقيق: د. شعبان إسماعيل، ط. مؤسسة الريان، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ، ط١.

(س)

- ١٠٣ - السبعة في القراءات: لابن مجاهد (ت٣٢٤هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط٢.
- ١٠٤ - سر صناعة الإعراب: لابن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: د. حسن هندراوي، ط. دار القلم، دمشق - سوريا، ١٤٠٥هـ، ط١.
- ١٠٥ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ على الأمة: لناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ، ط٥.
- ١٠٦ - سنن ابن ماجه القزويني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، ط. المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٠٧ - سنن الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٩٩٨م، ط٢.

١٠٨ - السنن الكبرى: للبيهقي (ت ٤٥٨هـ)، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ.

١٠٩ - السنن الكبرى: للنسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الغفار البنداري، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١١هـ، ط ١.

١١٠ - السنن: لأبي داود (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار إحياء السُّنة النبوية، بيروت - لبنان.

١١١ - سير أعلام النبلاء: لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزملائه، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ، ط ٢.

(ش)

١١٢ - شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية: لمحمد بن محمد مخلوف (ت ١٣٦٠هـ)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.

١١٣ - شرح ألفية ابن مالك: لنور الدين الأشموني (ت ٩١٨هـ)، تحقيق: أحمد محمد عَزُوز، ط. المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ١٤٣١هـ، ط ١.

١١٤ - شرح أصول الاعتقاد: لهبة الله اللالكائي (ت ٤١٨هـ)، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان الغامدي، ط. دار طيبة، المدينة المنورة، ١٩٩٥هـ.

١١٥ - شرح الجزرية: لابن يالوشة (ت ١٣١٤هـ)، تحقيق: د. جمال فاروق الدقاق، ط. مكتبة الآداب، القاهرة - مصر.

١١٦ - شرح شافية ابن الحاجب: لرضي الدين الأسترباذي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وزميله، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٢هـ.

١١٧ - شرح القوائد السبع الطوال الجاهليات: لابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، ط. دار المعارف، مصر، ط ٥.

١١٨ - شرح الكوكب المنير: لمحمد ابن النجار (ت ٩٧٢هـ)، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، ط. مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ، ط ١.

١١٩ - شرح مختصر الروضة: لسليمان الطوفي (ت ٧١٦هـ)، تحقيق: عبد الله التركي، ط. مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ، ط ٢.

١٢٠ - شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جزي، شرحها: د. مساعد الطيار، ط. دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٣٢هـ، ط ١.

- ١٢١ - شعب الإيمان: للييهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد بسيوني زغلول، ط. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ.
- ١٢٢ - الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى: للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ)، ط. مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٦٩هـ.

(ص)

- ١٢٣ - الصاحبى في فقه اللغة: لابن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط. مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.
- ١٢٤ - صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: مؤسسة الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، ١٤٣٢هـ، ط١.
- ١٢٥ - صحيح مسلم: لأبو الحُسَيْن القشيري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ.
- ١٢٦ - صحيح ابن خزيمة (ت٣١١هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.
- ١٢٧ - صحيح ابن ماجه (ت٢٧٥هـ): لناصر الدين الألباني، ط. دار المعارف، الرياض، ١٤١٧هـ، ط١.
- ١٢٨ - الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية: لسليمان الطوفي (ت٧١٦هـ)، تحقيق: د. محمد فاضل، ط. مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٧هـ، ط١.
- ١٢٩ - صفحات مشرقة من حياة شيخنا العلامة الألباني ودوره في الدفاع عن الحديث النبوي وتأسيس المنهج السلفي: لإبراهيم خليل الهاشمي، ط. مكتبة الصحابة، الشارقة - الإمارات، ومكتبة التابعين، عين شمس - مصر، ١٤٢١هـ، ط١.
- ١٣٠ - صفوة الراسخ في علم المنسوخ والناسخ: لأبي عبد الله محمد بن أحمد شعله (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم عبد الرحمن، ط. مطابع الدار الهندسية، ١٤٢٢هـ، ط٢.
- ١٣١ - صلة الخلف بموصول السلف: لمحمد الروداني (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: د. محمد حجي، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ، ط١.
- ١٣٢ - الصناعتين (الكتابة والشعر): لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط. المكتبة العصرية، صيدا - لبنان، ١٤٢٧هـ، ط١.

(ض)

- ١٣٣ - ضعيف سنن الترمذي: لناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٩هـ)، ط. المكتب الإسلامي بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ، ط ٢.
- ١٣٤ - ضعيف الجامع الصغير وزياداته: لناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ، ط ٢.
- ١٣٥ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: لشمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، ط. دار الكتب الإسلامية، القاهرة - مصر.

(ط)

- ١٣٦ - طبقات ابن سعد: لمحمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠هـ)، ط. دار صادر، بيروت - لبنان.
- ١٣٧ - طبقات الحفاظ: لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ، ط ١.
- ١٣٨ - طبقات الحنابلة: لابن أبي يعلى (ت ٥٦٠هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط. مطبعة السُّنة المحمدية، القاهرة - مصر، ١٣٧٠هـ.
- ١٣٩ - طبقات الشافعية: لعبد الوهاب السبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود الطناحي وزميله، ط. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - مصر.
- ١٤٠ - طبقات الشافعية: لابن قاضي شعبة (ت ٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، ط. دار الندوة، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ.
- ١٤١ - طبقات القراء: لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. أحمد خان، ط. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٨هـ، ط ١.
- ١٤٢ - طبقات المفسرين: لمحمد الداودي (ت ٩٤٥هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، ط. مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، ١٣٩٢هـ، ط ١.
- ١٤٣ - طبقات المفسرين: لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، ط. مطبعة الحضارة العربية، القاهرة - مصر، ١٣٩٦هـ، ط ١.
- ١٤٤ - طبقات النحاة واللغويين: لابن قاضي شعبة (ت ٨٥١هـ)، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم (٢١٤٦).
- ١٤٥ - طبقات النحويين واللغويين: لمحمد الزبيدي (ت ٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط. دار المعارف، القاهرة - مصر.

١٤٦ - الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: ليحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشربيني شريدة، ط. دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٣١هـ.

١٤٧ - طبية النشر في القراءات العشر: لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: محمد تميم الزعبي، ط. دار الفوناني، دمشق - سوريا، ١٤٣٣هـ، ط ١.

(ع)

١٤٨ - عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: لبهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ)، تحقيق: د. خليل إبراهيم خليل، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ، ط ١.

١٤٩ - العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية: لعلي بن الحسن الخزرجي (ت ٨١٢هـ)، طبع في مصر ١٣٢٩هـ.

١٥٠ - علوم القرآن بين البرهان والإتقان دراسة موازنة: لحازم سعيد حيدر، ط. دار الزمان، المدينة المنورة، ١٤٢٧هـ، ط ٢.

١٥١ - علوم القرآن في تفسير ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ): لسناء بنت عبد الرحيم حلواني رسالة دكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن بكلية التربية بجامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ.

١٥٢ - علوم القرآن الكريم في تفسير القرطبي (ت ٦٧١هـ): لعلي عبد الله علان، رسالة دكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن بكلية الشريعة بجامعة اليرموك بالأردن، ١٤٢٦هـ.

(غ)

١٥٣ - غاية النهاية في طبقات القراء: لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، ط. مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ١٤٣١هـ، ط ١.

١٥٤ - غريب الحديث: لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق: د. عبد المعيد خان، ط. دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الهند، ١٣٨٤هـ، ط ١.

(ف)

١٥٥ - فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: للإمام أحمد بن حنبل العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ط. المكتبة السلفية، القاهرة - مصر، ١٤٠٧هـ، ط ٣.

- ١٥٦ - فصول في أصول التفسير: لمساعد بن سليمان الطيار، ط. دار ابن الجوزي، الرياض، ١٤٢٠هـ، ط ٣.
- ١٥٧ - الفهرست: لابن النديم (ت ٣٨٠هـ)، تحقيق: د. يوسف علي طویل، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٦هـ، ط ١.
- ١٥٨ - الفوائد البهية في تراجم الحنفية: لمحمد عبد الحي اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ)، طبع بمصر سنة ١٣٢٤هـ.
- ١٥٩ - فوات الوفيات: لمحمد شاکر الکتبی (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، ط. دار الثقافة، بيروت - لبنان، ١٩٧٤م.

(ق)

- ١٦٠ - القاموس المحيط: للفيروزآبادي (٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ، ط ٢.
- وطبعة دار الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م، اعتناء: حسان عبد المنان.
- ١٦١ - القطع والائتناف: لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ، ط ١.
- ١٦٢ - قواعد الترجيح عند المفسرين (دراسة نظرية تطبيقية): لـ د. حسين علي الحربي، ط. دار القاسم، الرياض، ١٤٢٩هـ، ط ٢.

(ك)

- ١٦٣ - الكتاب: لسيبويه عمرو بن عثمان (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ، ط ٣.
- ١٦٤ - الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): لأبي إسحاق أحمد الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ١٦٥ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٦٦ - الكفاية في علم الرواية: للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: إبراهيم الدمياطي، ط. دار الهدى مصر، ١٤٢٣هـ، ط ١.
- ١٦٧ - الكليات: لأبي البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش وزميله، ط. منشورات الثقافة والإرشاد القومي، دمشق - سوريا، ١٩٧٤م.
- ١٦٨ - الكوكب السائرة في أعيان المئة العاشرة: لنجم الدين الغزي (ت ١٠٦١هـ)، ط. المطبعة الأميركية، بيروت - لبنان، ١٩٤٠م.

(J)

١٦٩ - اللباب في تهذيب الأنساب: لابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، ط. دار صادر، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ، ط٢.

١٧٠ - لسان العرب: لابن منظور (ت٧١١هـ)، ط. دار صادر، بيروت - لبنان، ١٣٨٨هـ. وطبعة المكتبة الوقفية، القاهرة، تحقيق: ياسر أبو شادي ومجدي فتحي السيد.

١٧١ - لطائف الإشارات لفنون القراءات: لشهاب الدين القسطلاني (ت٩١٨هـ)، تحقيق: د. عامر السيد عثمان ود. عبد الصبور شاهين، ط. مطابع الأهرام مصر، ١٣٩٢هـ.

(م)

١٧٢ - مباحث في علوم القرآن: لمناح القطان (ت١٤٢٠هـ)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ، ط٣.

١٧٣ - المبسوط في القراءات العشر: لابن مهران الأصبهاني (ت٣٨١هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، ط. دار القبة، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ، ط٢.

١٧٤ - المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسواره البلاغية: لصالح عبد الله التستري، ط. مجمع الملك فهد، المدينة، ١٤٢٥هـ.

١٧٥ - المثل السائر: لضياء الدين ابن الأثير (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، ط. دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ، ط٢.

١٧٦ - مجمع البيان في تفسير القرآن: لأبي علي الطبرسي (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: الحاج السيد هاشم المحلاتي، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٣٧٩هـ.

١٧٧ - مجمع الزوائد: لنور الدين الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، ط. مكتبة القدسي، القاهرة - مصر، ١٣٥٢هـ.

١٧٨ - مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم، ط. مجمع الملك فهد، المدينة، ١٤١٦هـ.

١٧٩ - محاضرات في علوم القرآن: لغانم قدوري الحمد، ط. دار عمار، عمان - الأردن، ١٤٢٣هـ، ط١.

١٨٠ - المحرر الوجيز: لأبي محمد عبد الحق بن عطية (ت٥٤٦هـ)، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، ط. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط - المغرب، ١٣٩٧هـ، ط٢.

- ١٨١ - المحرر في علوم القرآن: لمساعد بن سليمان الطيار، ط. مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، ١٤٢٩هـ، ط٢.
- ١٨٢ - المخصص: لأبي الحسن علي بن سيده (ت ٤٥٨هـ)، ط. دار الفكر، دمشق - سوريا.
- ١٨٣ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل: لعبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧١٠هـ)، تحقيق: مروان محمد الشعار، ط. دار النفائس، بيروت - لبنان، ١٤١٦هـ، ط١.
- ١٨٤ - المدخل لدراسة القرآن الكريم: لمحمد أبو شهبه (ت ١٤٠٣هـ)، ط. مكتبة السنة، القاهرة مصر، ١٤١٢هـ، ط١.
- ١٨٥ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان: لعبد الله اليافعي (ت ٧٦٨هـ)، ط. حيدر آباد، ١٣٣٧هـ.
- ١٨٦ - مراتب النحويين: لأبي الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. دار نهضة مصر، الفجالة - مصر، ١٣٩٤هـ.
- ١٨٧ - المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٥٥هـ)، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٣٩٨هـ.
- ١٨٨ - المستصفى في علم الأصول: لمحمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٣٢٢هـ، ط١.
- ١٨٩ - المسند: للإمام أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤١٦هـ، ط١.
- ١٩٠ - المسند: لأبي محمد الدارمي (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط. دار القلم، دمشق - سوريا، ١٩٩١م.
- ١٩١ - مشكاة المصابيح: لمحمد الخطيب التبريزي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ، ط٢.
- ١٩٢ - المصباح المنير: لأحمد محمد الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط. المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ، ط١. والطبعة الثانية سنة ١٤٣١هـ.

- ١٩٣ - الْمُصَفَّى بِأَكْفَ أَهْلِ الرُّسُوحِ مِنْ عِلْمِ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوحِ: لجمال الدين ابن الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: حاتم الضامن ضمن سلسلة الناسخ والمنسوخ، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ، ط ١.
- ١٩٤ - المصنف في الأحاديث والآثار: لعبد الله ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني، ط. الدار السلفية، الهند، ١٩٨٠م.
- ١٩٥ - المعارف: لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: د. ثروت عكاشة، ط. دار المعارف، مصر.
- ١٩٦ - معالم التنزيل: لأبي محمد البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وزملائه، ط. دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ.
- ١٩٧ - معاني القرآن: لأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شليبي، ط. دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٢٦هـ، ط ١.
- ١٩٨ - معاني القرآن: لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط. مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة، ١٤٠٨هـ، ط ١. وطبعة دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ، تحقيق: يحيى مراد.
- ١٩٩ - معاني القرآن: للفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وزملائه، ط. دار السرور، بيروت - لبنان.
- ٢٠٠ - معجم الأدباء: لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ، ط ١.
- ٢٠١ - المعجم الأوسط: للطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: محمود الطحان، ط. دار المعارف، الرياض، ١٩٨٥م.
- ٢٠٢ - معجم البلاغة العربية: لبدوي طبانة، ط. دار العلوم، الرياض، ١٤٠٢هـ.
- ٢٠٣ - معجم المصطلحات في علمي التجويد والقراءات: لإبراهيم سعيد الدوسري، ط. عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٥هـ، ط ١.
- ٢٠٤ - المعجم الكبير: للطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، ط. وزارة الأوقاف العراقية، ١٩٨٣م.
- ٢٠٥ - معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة (ت ١٤٠٨هـ)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ، ط ١.
- ٢٠٦ - معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط. دار الجيل - بيروت.

- ٢٠٧ - مفردات غريب القرآن: للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد خليل عيتاني، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ، ط ١. وطبعة دار القلم، دمشق، ودار الشامية، بيروت، ١٤١٢هـ، تحقيق: صفوان عدنان داودي. وطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٨هـ، ضبط هيثم طعيمة.
- ٢٠٨ - مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٢٠٩ - المقتطف من تاريخ اليمن: لعبد الله الجرافي، طبع في مصر سنة ١٣٧٠هـ.
- ٢١٠ - مقدمة تفسير ابن النقيب: لأبي عبد الله ابن النقيب (ت ٦٩٨هـ)، تحقيق: زكريا سعيد علي، ط. مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ١٤١٥هـ، ط ١.
- ٢١١ - مقدمة جامع التفاسير: للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: أحمد فرحات، ط. دار الدعوة، الكويت، ١٤٠٥هـ، ط ١.
- ٢١٢ - مقدمة في أصول التفسير: لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٦٦١هـ)، تحقيق: د. عدنان زرزور، ط. دار الرسالة، مكة، ١٤١٥هـ، ط ١.
- ٢١٣ - المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد: لبرهان الدين ابن مفلح (ت ٨٨٤هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن العثيمين، ط. مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ، ط ١.
- ٢١٤ - المكتفى في الوقف والابتداء: لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحقيق: يوسف المرعشلي، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٠٤هـ، ط ١.
- ٢١٥ - الملائكة: لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٩٩٥م، ط ١، ضمن بحوث وتحقيقات.
- ٢١٦ - ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل: لابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)، تحقيق: سعيد الفلاح، ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ، ط ١.
- ٢١٧ - الممتع في التصريف: لابن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط. دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ، ط ١.
- ٢١٨ - منار الهدى في الوقف والابتداء: لأحمد الأشموني (ت ٩١٨هـ)، ط. مصطفى الحلبي، القاهرة - مصر، ١٣٩٣هـ، ط ٢.

- (ن)

- ٢٢٧ - الناسخ والمنسوخ: لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: سليمان
اللاحم، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤١١هـ، ط١.
- ٢٢٨ - الناسخ والمنسوخ: لقتادة بن دعامة السدوسي (ت١١٧هـ)، تحقيق: د. حاتم
الضامن، ضمن سلسلة كتب الناسخ والمنسوخ، ط. مؤسسة الرسالة،
بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ، ط٣.
- ٢٢٩ - نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز: لأبي بكر محمد السجستاني،
تحقيق: يوسف المرعشلي، ط. دار المعرفة، بيروت، ١٤٣١هـ.
- ٢٣٠ - النشر في القراءات العشر: لابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمد
الضباع، ط. دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٢٣١ - نظرات لغوية في القرآن الكريم: لـ د. صالح حسين العايد، ط. دار
إشيليا، الرياض، ١٤٢٣هـ، ط٢.
- ٢٣٢ - نظم الدرر في تناسب الآي والسور: للبقاعي (ت٨٨٥هـ)، تحقيق: محمد
عبد المعين خان، ط. وزارة المعارف الهندية.

- ٢٣٣ - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: لأحمد المَقْرِي (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، ط. دار صادر، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ.
- ٢٣٤ - النكت على كتاب ابن الصلاح: لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: د. ربيع هادي عمير، ط. دار الراية، الرياض، ١٤١٧هـ، ط ٤.
- ٢٣٥ - النكت والعيون: لأبي الحسن الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٢٨هـ، ط ٢.
- ٢٣٦ - النهاية في غريب الحديث والأثر: لمجد الدين محمد الجزري (ابن الأثير) (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود الطناحي و طاهر الزاوي، ط. أنصار السُّنة المحمدية، باكستان.
- ٢٣٧ - النور السافر عن أخبار القرن العاشر: لعبد القادر العيدروس (ت ١٠٣٨هـ)، طبع في بغداد عام ١٣٥٣هـ.

(و)

- ٢٣٨ - الوافي بالوفيات: لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء والمستشرقين ١٣٨١هـ.
- ٢٣٩ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأحمد بن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، ط. دار الثقافة، بيروت - لبنان.
- ٢٤٠ - الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم: لـ د. عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، ط. دار السلام، الإسكندرية - مصر، ١٤٣١هـ، ط ٣.

(ي)

- ٢٤١ - يتيمة الدهر: للثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، ط. مطبعة الصاوي، مصر، ١٣٥٢هـ.

فَهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الصفحة	الموضوع
١	مقدمة كرسي القرآن الكريم وعلومه
٥	المقدمة
٦	أولاً: أهمية الموضوع
٩	ثانياً: أسباب اختيار الموضوع
١١	ثالثاً: الدراسات السابقة
١٣	رابعاً: حدود البحث
١٣	خامساً: مميزات ابن جزي الكلبي وتفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل)
١٦	سادساً: خطة البحث
٢٥	سابعاً: منهج البحث
٢٩	التمهيد
٣١	الفصل الأول: علوم القرآن تعريفها ونشأتها
٣٢	المبحث الأول: علوم القرآن بالمعنى اللغوي
٣٦	المبحث الثاني: علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي
٣٨	المبحث الثالث: مصطلح (علوم القرآن) ومرادفاته في أحاديث النبي ﷺ وآثار الصحابة والتابعين
٤٠	المبحث الرابع: نشأة علوم القرآن
٤٣	الفصل الثاني: التأليف في علوم القرآن وأنواعها
٤٤	المبحث الأول: من القرن الأول الهجري إلى نهاية القرن الرابع الهجري
٥٣	المبحث الثاني: من نهاية القرن الرابع الهجري إلى بداية القرن التاسع الهجري
٦١	المبحث الثالث: من بداية القرن العاشر الهجري إلى العصر الحالي
٦٥	المبحث الرابع: علوم القرآن وعلاقته بالتفسير، والفرق بينه وبين أصول التفسير
٦٦	المبحث الخامس: الفرق بين التأويل والتفسير

الباب الأول

٦٩	التعريف بابن جزي بإيجاز
٧١	الفصل الأول: عصر ابن جزي بإيجاز
٧٢	المبحث الأول: الحياة السياسية
٧٤	المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية
٧٦	المبحث الثالث: الحياة العلمية
٧٩	الفصل الثاني: حياة ابن جزي الشخصية بإيجاز
٨٠	المبحث الأول: اسمه ونسبه ونسبته
٨٢	المبحث الثاني: مولده ونشأته وفضله
٨٤	المبحث الثالث: معتقده ومذهبه
٩١	الفصل الثالث: حياة ابن جزي العلمية بإيجاز
٩٢	المبحث الأول: نشأته ومكانته العلمية
٩٤	المبحث الثاني: شيوخه وتلاميذه
٩٦	المبحث الثالث: مؤلفاته وآثاره
١٠١	المبحث الرابع: وفاته

الباب الثاني

١٠٣	التعريف بكتاب «التسهيل» ومنهج ابن جزي
١٠٥	الفصل الأول: التعريف بكتاب «التسهيل لعلوم التنزيل»
١٠٦	المبحث الأول: القيمة العلمية للكتاب
١١١	المبحث الثاني: نسخ الكتاب وطبعاته
١١٣	الفصل الثاني: طريقة المصنف في كتابه ومنهجه
١١٨	منهج ابن جزي في تفسيره

الباب الثالث

١٢٧	منهج ابن جزي في علوم القرآن
	الفصل الأول: نبذة عن مقدمة الكتاب «التسهيل لعلوم التنزيل» وعرض
١٢٩	موضوعات علوم القرآن
١٣٠	نبذة عن مقدمة الكتاب وعرض موضوعاتها
١٣٣	الفصل الثاني: منهج ابن جزي في علوم القرآن

- المبحث الأول: مراد علوم القرآن ومفهومه عند ابن جزى ١٣٤
- المبحث الثانى: لماذا سمى كتابه بـ: «التسهيل لعلوم التنزيل» ١٣٩
- المبحث الثالث: أنواع علوم القرآن التى ذكرها ابن جزى فى مقدمته،
وعلاقتها بالتفسير عمومًا، وأثرها فى تفسيره ١٤٢
- المبحث الرابع: مصادره فى علوم القرآن ١٤٤
- المبحث الخامس: الإضافات فى علوم القرآن التى احتواها كتابه «التسهيل
لعلوم التنزيل» ١٤٧

الباب الرابع

- موضوعات علوم القرآن عند ابن جزى وأثرها فى تفسيره ١٤٩
- الفصل الأول: تاريخ توثيق القرآن ١٥١
- المبحث الأول: فضائل القرآن وأثرها فى تفسيره ١٥٢
- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع ١٥٢
- المطلب الثانى: موقف ابن جزى فى مسألة فضائل القرآن ١٥٤
- المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراساتها ١٥٥
- المبحث الثانى: نزول القرآن وجمعه وترتيبه وأثره فى تفسيره ١٥٩
- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع ١٥٩
- المطلب الثانى: موقف ابن جزى فى مسألة نزول القرآن وجمعه وترتيبه ١٦٢
- أولًا: موقف ابن جزى فى مسألة مدة نزول القرآن ١٦٢
- ثانيًا: موقف ابن جزى فى مسألة أول ما نزل من القرآن ١٦٥
- ثالثًا: موقف ابن جزى فى مسألة جمع القرآن وكتابته ١٧٠
- المبحث الثالث: الوحي وأثره فى تفسيره ١٧٣
- المطلب الأول: التعريفات ١٧٣
- المطلب الثانى: موقف ابن جزى فى مسألة الوحي ١٧٤
- المبحث الرابع: أسباب النزول وأثره فى تفسيره ١٧٨
- المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع ١٧٨
- المطلب الثانى: موقف ابن جزى فى مسألة أسباب النزول ١٨٠
- المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراساتها ١٨١
- المبحث الخامس: المكى والمدنى وأثره فى تفسيره ١٨٤

الصفحة

الموضوع

١٨٤	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
١٨٦	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة المكي والمدني
١٨٨	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراستها
١٩٢	المبحث السادس: القراءات وأثرها في تفسيره
١٩٢	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
١٩٦	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة القراءات
١٩٨	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراستها
٢٠١	الفصل الثاني: أصول التفسير عند ابن جزي وأثرها في تفسيره
٢٠٢	المبحث الأول: أنواع التفسير وأثرها في تفسيره
٢٠٢	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٢٠٤	أنواع التفسير
٢٠٧	موقف العلماء من التفسير بالرأي
٢١٠	تفسير القرآن بالسنة النبوية
٢١٠	تفسير القرآن بأقوال الصحابة
٢١٣	تفسير القرآن بأقوال التابعين
٢١٦	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة أنواع التفسير
٢٢٢	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراستها
٢٢٧	المبحث الثاني: طبقات المفسرين
٢٢٧	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٢٢٩	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة طبقات المفسرين
٢٣٥	المبحث الثالث: أسباب الخلاف بين المفسرين وأثرها في تفسيره
٢٣٥	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٢٣٧	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة أسباب الخلاف بين المفسرين
٢٣٨	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراستها
٢٤٢	المبحث الرابع: وجوه وقواعد الترجيح عند المفسرين وأثرها في تفسيره
٢٤٢	المطلب الأول: التعريفات
٢٤٥	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة وجوه وقواعد الترجيح
٢٤٧	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراستها

الصفحة

الموضوع

٢٥١	الفصل الثالث: اللغة العربية وأثرها في تفسيره
٢٥٣	المبحث الأول: أوجه الإعراب وأثره في تفسيره
٢٥٣	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٢٥٤	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة أوجه الإعراب
٢٥٥	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراستها
٢٥٩	المبحث الثاني: مفردات اللغة وأثرها في تفسيره
٢٥٩	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٢٦١	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة مفردات اللغة
٢٦٢	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراستها
٢٦٥	المبحث الثالث: علم التصريف وأثره في تفسيره
٢٦٥	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٢٦٦	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة علم التصريف
٢٦٧	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراستها
٢٧٠	المبحث الرابع: الفصاحة والبلاغة وأثرها في تفسيره
٢٧٠	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٢٧٤	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة الفصاحة والبلاغة
٢٧٦	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراستها
٢٧٩	الفصل الرابع: دلالات الألفاظ وأثرها في تفسيره
٢٨٠	المبحث الأول: المتشابه اللفظي وأثره في تفسيره
٢٨٠	المطلب الأول: التعريفات
٢٨١	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة المتشابه اللفظي
٢٨٢	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراستها
٢٨٥	المبحث الثاني: العام والخاص وأثرهما في تفسيره
٢٨٥	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٢٨٧	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة العام والخاص
٢٨٨	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراستها
٢٩١	المبحث الثالث: المطلق والمقيد وأثرهما في تفسيره
٢٩١	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٢٩٣	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة المطلق والمقيد

الصفحة

الموضوع

٢٩٣	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراساتها
٢٩٥	المبحث الرابع: الإظهار والإضمار وأثرهما في تفسيره
٢٩٥	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٢٩٩	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة الإظهار والإضمار
٣٠٠	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراساتها
٣٠٢	المبحث الخامس: التقديم والتأخير وأثرهما في تفسيره
٣٠٢	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٣٠٤	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة التقديم والتأخير
٣٠٥	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراساتها
٣٠٧	الفصل الخامس: موضوعات علوم القرآن الأخرى وأثرها في تفسيره
٣٠٨	المبحث الأول: النسخ وأثره في تفسيره
٣٠٨	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٣١٢	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة النسخ
٣١٣	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراساتها
٣١٦	المبحث الثاني: الإسرائيليات والقصص القرآني وأثرها في تفسيره
٣١٦	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٣١٩	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة الإسرائيليات والقصص القرآني
٣٢٠	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراساتها
٣٢٦	المبحث الثالث: الوقف والابتداء وأثرها في تفسيره
٣٢٦	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٣٣٠	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة الوقف والابتداء
٣٣٢	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراساتها
٣٣٤	المبحث الرابع: الإعجاز وأثره في تفسيره
٣٣٤	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٣٣٦	المطلب الثاني: موقف ابن جزي في مسألة الإعجاز
٣٣٨	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراساتها
	الفصل السادس: تطبيقات لبعض مواضيع علوم القرآن الأخرى لم يذكرها
٣٤١	ابن جزي في مقدمته وأثرها في تفسيره

الصفحة

الموضوع

٣٤٢	المبحث الأول: الرسم العثماني وأثره في تفسيره
٣٤٢	المطلب الأول: التعريفات
٣٤٣	المطلب الثاني: موقف ابن جزري في مسألة الرسم العثماني
٣٤٤	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراستها
٣٤٦	المبحث الثاني: الفروق اللغوية وأثرها في تفسيره
٣٤٦	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٣٤٧	المطلب الثاني: موقف ابن جزري في مسألة الفروق اللغوية
٣٤٨	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراستها
٣٤٩	المبحث الثالث: المناسبات وأثرها في تفسيره
٣٤٩	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٣٥٢	المطلب الثاني: موقف ابن جزري في مسألة المناسبات
٣٥٣	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراستها
٣٥٧	المبحث الرابع: المبهمات وأثرها في تفسيره
٣٥٧	المطلب الأول: التعريفات وأهمية الموضوع
٣٦٠	المطلب الثاني: موقف ابن جزري في مسألة المبهمات
٣٦٠	المطلب الثالث: بعض النماذج التطبيقية ودراستها
٣٦٣	الخاتمة
٣٦٧	فهرس المصادر والمراجع
٣٨٧	فهرس الموضوعات
٣٩٥	ملخص الرسالة
٣٩٧	Thesis abstract

ملخص الرسالة

علوم القرآن عند الإمام ابن جزي الكلبي رَحِمَهُ اللهُ
واثرها في تفسيره
من خلال كتابه «التسهيل لعلوم التنزيل»

تعرضت الرسالة لمواضيع علوم القرآن من خلال كتابه «التسهيل لعلوم التنزيل»، وناقشتها، وبيّنت أهميتها، وقارنتها بأراء جملة من المفسرين المتقدمين والمتأخرين، وما استدلووا به من أدلة لأقوالهم، ومن ثمّ بيان منهجية ابن جزي فيه وأثرها في تفسيره من خلال تطبيقاته على الآيات من خلال تفسيره استنادًا إلى ما ألزم به نفسه من خلال مقدمته، واستنادًا إلى الوجوه والقواعد المقررة في هذا الفن.

وتألّفت الرسالة من مقدمة، وتمهيد، وأربعة أبواب:

المقدمة: وتحتوي على أهمية الموضوع، أسباب اختياره، الدراسات السابقة، خطة البحث، منهج الكتابة فيه.

التمهيد: في التعريف بعلوم القرآن ونشأتها؛ وفيه فصلان:

الفصل الأول: علوم القرآن تعريفها ونشأتها.

الفصل الثاني: التأليف في علوم القرآن وأنواعها.

الباب الأول: التعريف بابن جزي بإيجاز.

الباب الثاني: التعريف بكتاب «التسهيل» ومنهج ابن جزي فيه.

الباب الثالث: منهج ابن جزي في علوم القرآن.

الباب الرابع: موضوعات علوم القرآن عند ابن جزي وأثرها في تفسيره.

وخلصت الرسالة إلى ما يلي:

- ١ - أجاد ابن جزي في عرض مادة كتابه العلمية وقدرته على التوفيق بين الأقوال وتمحيصها وبيان صحتها من سقيمها.
- ٢ - انفرد به بمقدمات علمية صدر بها كتابه تُعدُّ ذاتَ قيمة علمية كبيرة لما اشتملت عليه من أنواع علوم القرآن وفوائدها.
- ٣ - التزام ابن جزي بما شرطه على نفسه بتطبيق القواعد التي قررها في مسائل علوم القرآن.

إشراف

أ. د. سليمان الصادق سليمان البيرة

إعداد الطالب

طارق بن أحمد بن علي الفارس